السنة الثامنة / يوليو ٢٠١٧ / العدد: ١٦

العمل الإيجابي ٢

- دور الفعل الايجابي في توجيه قانون التضاد لبناء عالم أفضل
- الجهاد الفكري وعلاقته بالعمل الإيجابي في رسائل النور
- الأبعاد الإيجابية لمفهوم الجهاد في ضوء رسائل النور
- غياب العمل الإيجابي أو تغييبه في حياة المسلمين المعاصرة

al-Nur

Academic Studies on Thought and Civilization

An Academic Biannual Journal (January-July)
Published by the Istanbul Foundation for Science and Culture
Year 8, Number 16 (July 2017)
ISSN 1309 4424 (En-Nur)

Addresses for Subscriptions and all Communications

Istanbul Ilim ve Kultur Vakfi,
Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk. No: 6
Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY
Tel : +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com

Abdulkerim Baybara: kerimbaybara@gmail.com
Sozler Publications,
30 Gafar al-Sadiq Street, al-Hayy al-Sabi',
Nasr City, Cairo, Egypt.
Tel. / Fax: +20 2 22 602 938

www.nurmajalla.com

ISSN 1309-4424
9 771309 442006 16

للدراسات الحضارية والفكرية

تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم

THE ISTANBUL FOUNDATION FOR SCIENCE AND CULTURE

صاحب الامتياز والمدير المسؤول: كنعان دميرطاش kenandemirtas@gmail.com

رئيس التحرير: أ.د. عمار جيدل editor@nurmajalla.com

المشرف العام: إحسان قاسم الصالحي ihsankasim@gmail.com

هيئة التحرير

أ.د. ثروت أرماغان؛ أ.د. محمد خليل جيجَك؛

د. سعاد الناصر؛ د. محمد جنيد شِمشَك

اللجنة الاستشارية

أ.د. حسن الأمراني؛ أ.د. سليمان عشراتي؛ أ.د. عبد العزيز برغوث؛ أ.د. عبد العزيز خطيب؛
أ.د. عبد الكريم عكيوي؛ أ.د. عبد المجيد النجار؛ أ.د. عماد الدين خليل؛ أ.د. محسن عبد الحميد؛
أ. د. محمد عبد النبي؛ د. بوكاري كيندو؛ د. سمير بو دينار؛ د. محمد كنان ميغا.

الإخراج الفني

سعيد طاقطاق، حسن الحفيظي

رقم الإيداع الدولي

ISSN: 1309 – 4424 (En-Nur)

الطباعة

العدد: ١٦/ يوليو ٢٠١٧

İmak Ofset Basım Yayın Ticaret ve Sanayi Ltd. Şti.
Atatürk Caddesi Göl Sok. No: 1. Yenibosna/Bahçelievler–İstanbul
Tel: +90 (212) 656 49 97

المركز الرئيسي

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk. No: 6
Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY
Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com
www.nurmajalla.com
www.iikv.org

النور للدراسات الحضارية والفكرية

١- التعريف بالمجلة:

مجلة علمية أكاديمية محكّمة نصف سنوية (يناير- يوليو)، تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم.

تُعَد مجلة ''النور للدراسات'' مجلة الباحث والمفكر المجدد فضلا عن من يتمرّس بالبحث من شباب هذه الأمة، وهي منبر علمي أكاديمي مفتوح أمام كلّ المفكرين والباحثين الجادين.

تعمل المجلة على توجيه النظر إلى الجمع بين أصالة الأمة ممثلة في أستاذها الأول ''مصادر الإسلام'' (القرآن الكريم والسنّة المطهّرة) وثقافة العصر فيما لا تتعارض وحقيقة ثقافة الأمة وأصالتها، كما تعمل على الإفادة منها في التأسيس لبعث معرفي وحضاري، إنساني البعد إسلامي الروح، يسعى إلى فحص المتداول في الدرس الاجتماعي والإنساني بقصد تمحيصه والتأسيس للبديل المنبثق عن التصور التوحيدي للعالم والحياة والإنسان، وتَعَهُّد هذا الكسب (العلم المنجز) بالمراجعة والاستدراك المستمر، وتدريب المثقف الرسالي على التوقّف المنهجي والمعرفي عند ''الكونية'' التي يراد من خلالها تمرير مشاريع التحكّم في المعرفة ومن ثمَّ الهيمنة على مؤسسات صناعة الوعي في برامجها ومناهجها، والحيلولة الموضوعية دون ضياع سائر موارد القرار في مختلف مجالات الحياة.

٢- تتناول المجلة وفق الخط العام المشار إليه أعلاه:

قضايا المنهجية الإسلامية الجامعة بين مخاطبة العقل والقلب في ذات لحظة التذكير، حتى يغدو الفصل بينهما في عداد المحال المنهجي والمعرفي على السواء.

قضايا المعرفة من حيث خلفيتها النظرية، ومصادرها ونظمها وفلسفتها وإنتاجها.

العودة بالأمة إلى أستاذها الأول ''القرآن الكريم''، مبعث نهضتها، ومؤسس فعاليتها في شعاب الحياة المعرفية.

الحث على البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية في إطار النظرة الإسلامية وفي كنف تكاملها مع سائر علوم الشريعة، بقصد بعث الفعالية الحضارية المنشودة.

دراسة وفحص ثم تمحيص مناهج التعامل مع الخبرة المعرفية الإسلامية (التراث) والإنسانية في مختلف مجالات التدين (العقيدة، والشريعة، والأخلاق) بالإسلام.

الإفادة من مشاريع النهضة والإصلاح في العالم الإسلامي، ولاسيما مشروع بديع الزمان النورسي المبيّن في رسائله الموسومة بـ ''رسائل النور''، سعيا منا إلى الاستفادة من هذه التجربة وغيرها من خبرتنا في مجال النهضة والتغيير، بغرض المساهمة في فهم الحاضر والتخطيط الجيّد للمستقبل.[1]

---

[1] ما تنشره المجلة يعبّر عن رأي صاحبه، وليس رأي المجلة ضرورة.

المحتويات

- كلمة العدد السادس عشر..... أ.د. عمار جيدل: ٣

الدراسات والبحوث [1]

- الفقه المصلحي عند الإمام النورسي وأثره في صناعة الإيجابية
- قراءة في رسائل النور .....أ.د. داود صالح عبدالله و د. أحمد مرعي حسن: ١٣
- دور الإيمان في تأهيل الشعور بالمسؤولية وتطوير محاسبة النفس.....د. جمال السعيدي: ٣٧
- مقولة الإنسان عند العرفاء، جلال الدين الرومي أنموذجا .....نصر الدين بن سراي: ٦١

ملف العدد : العمل الإيجابي ٢

- دور الفعل الايجابي في توجيه قانون التضاد لبناء عالم أفضل
دراسة مقاربة في رسائل النور .....د. أم كلثوم حكوم داوود بن يحي: ٨٣
- الجهاد الفكري وعلاقته بالعمل الإيجابي في رسائل النور ..... بنعُمر لخصاصي: ١٠٩
- الأبعاد الإيجابية لمفهوم الجهاد في ضوء رسائل النور ..... د. زياد خليل الدغامين: ١٣١
- غياب العمل الإيجابي أو تغييبه في حياة المسلمين المعاصرة – الأسباب والعلاج –
دراسة في رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي .....أ.د. عمّار جيدل: ١٤٣

الحوار والإصدارات والمؤتمرات

- حوار الأستاذ الدكتور العلامة محسن عبد الحميد حفظه الله ورعاه: ١٦٩
- قراءة في كتاب:
١. تعامل مسلم مع الشر: سعيد النورسي على ثيوديسيا: ١٧٥
٢. منهج بديع الزمان النورسي في إحياء العمل الاجتماعي: ١٧٩
- المؤتمرات والحلقات الدراسية:
١. رسائل النور في جامعات الهند ١٨٣
٢. أسبوع رسائل النور في لبنان..... ١٨٦
٣. خدمة الإيمان بإرشاد القرآن والسنة؛ العمل الإيجابي ١٨٩
٤. أنباء النور للدراسات الحضارية والفكرية ١٩٠
- معلومات عن النشر في المجلة:..... ١٩٢
- Contents: ١٩٣

[1] ترتيب الدراسات والبحوث يخضع لاعتبارات فنية صرف.

كلمة العدد السادس عشر

أ.د. عمار جيدل

تعدّ مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية كما هو بيّن من عنوانها مسعى استئناف صناعة الوعي الحضاري المؤسس على رؤية إيمانية صحيحة وصادقة؛ تجعل من استشعارها أساس البعث الحضاري المنشود، ومأتى هذا الأمر التركيز على الجوانب الفكرية التي تمثّل زادها النظري، من هنا اعتنت المجلة في وقت مبكّر بأهمية صناعة وعي بالحضارة، صناعة تتحوّل بأصحابها من مشاريع المقاولات (الأقوال) إلى مشاريع المقاولات الفعلية الدالة عليها أحوالنا في خاصة أنفسنا ومجتمعنا وأمتنا والإنسانية، لأن الحضارة معبرها الرئيس بعد الإيمان الصحيح الصادق؛ العمل، العمل النوعي (العمل الصالح) على الخصوص، وهذا العمل النوعي هو أهمّ تجليات جوهر الحضارة، ذلك أنّه يمثّل تفعيلا للإيمان بوصفه مبدأً في الحياة الفردية والجماعية بطريقة منهجية.

يتضمن المبدأ بعثا على التمنهج، يقود عملية التحضر، يزوّدها بمقاصد يكون السير الحضاري نحوها هدفا في كلّ مرحلة، مبعث طاقتها الإيمان الباعث الداخلي الباطني على التحضر، وهو في الوقت نفسه ضامن التربية المنهجية، ذلك أنّ الوحدة العضوية بين المبادئ الإيمانية والحضارة في الرؤية المستشفّة من الشرع الشريف كانت ومازالت الطاقة النفّاثة في برامج المصلحين الرساليين عبر تاريخ أمتنا الطويل، ومن تلك البرامج الرسالية رسائل النور، التي ترفض تركيز العناية على واقع افتراضي أو واقع وشيك الوقوع، لأنّ من مستتبعات هذا الاختيار إهمال الواقع كما هو عليه، بمعنى العيش على هامش التاريخ، إن لم نكن خارجه على الإطلاق، بسبب إهمال الحركة في التاريخ، ثم الانسحاب من العالم والتاريخ باتجاه الأساطير المشعرنة (المستدل عليها بالشريعة) أو شطحات التأسيس للمناجاة الفردية الأنانية على حساب المناجاة الجماعية المجتمعية والأمتية (نسبة إلى الأمة) والإنسانية، ويعد هذا المسعى نوع تفريط في التكليف الشرعي الشامل والمتكامل.

تتميّز مشاريع النهوض المنبثقة من الإسلام بعرض مضمونه وفق الظروف المكانية والزمانية (إحداثيات المكان والزمان) بما يتوافق مع استعدادات الإنسان العقلية والقلبية والنفسية والاجتماعية، من ثمّ كان الإسلام دينا فطريا، يراعي الفطرة في مجمل مكوّناتها، فيشبع حاجة الإنسان للدين وهو بهذا يشبع حاجته للقيم الإنسانية الرفيعة والأخلاق السوية، وعرض كلّ ذلك في صيغ تراعي أسس موازين العقل، وبهذا يؤكّد الإسلام بأنّه منسجم مع الفطرة، يؤسس لاستيعاب حاجات الإنسان في جميع حالاته (الفرد/الجماعة، الذكر/الأنثى، السلم/الحرب، الوزير/الغفير، الصغير/الكبير، الغني/الفقير، الحياة/الموت، الدنيا/الآخرة، ...) ووضع لها أطرا، تؤكّد أنّه من حيث مضمونه مراعيا للفطرة التي عليها الإنسان في أصل خلقته، فلم يأت الإسلام مزاحما لها، فضلا عن أن يكون مصادما لها، لهذا كان الدين الإسلامي -مساعدا في أصل وضعه- لاستعادة الإنسان فطرته سواء تعلّق الأمر بالدين أو العقل أو الأخلاق أو القيم الإنسانية الكبرى، ذلك أنّه دين يراعي استعدادات الناس وحاجاتهم فضلا عن كونه صِيغَ وفق ما يُيَسِّر لهم الاقتناع والإقناع.

ومن تجليات مراعاة الإسلام للفطرة أنّه ما حلّ بأرض وطلب من أهلها أن يخرجوا عمّا فطروا عليه، ومن ذلك أنّه ما طلب من أهلها تغيير أنغامهم والألحان المتداولة بينهم، بل أقرهم على ما هم عليه، وزوّدهم بالوجهة التي تخرجهم من العبثية إلى القصدية، كإسعافهم على استعادة فطرتهم الدينية وفطرتهم العقلية والأخلاقية والقيم الإنسانية الرفيعة. تنمي هذه الرؤية في الإنسان الجوانب الفطرية وتسعفه على جعلها مندرجة في إطار العبودية المستعادة (بالتذكير الفطري والمحاججة المؤسسة على الفطري من معارف العقل).

يستشف مما سبقت الإشارة إليه أنّ الإسلام دين الفطرة، ما أتى ثورة على الناس في أمورهم الفطرية، بل أتى مسعفا للناس لاسترداد فطرهم التي أَجْلَتْهُم عنها برامج مؤسسات صناعة الوعي ممثلة في التربية والتعليم والإعلام و... وما جاء الإيمان بأنموذج واحد وبرنامج وحيد يقصي به البعض ويبقي على البعض

الآخر، بل راعى ما درج عليه الناس في أحوالهم وأوضاعهم ومعطيات واقعهم، وزوّدهم بما به يستشرفون المبادئ والقيم السامية التي جاء بها الإسلام في شمولها وتكاملها، رسالتها الرئيسة تبليغ الهداية الإلهية والتجاوب مع مختلف حاجات الإنسان.

الاستئناف الحضاري لا يصنعه الفراغ، كما لا تصنعه الأوهام، الحضارة تصنعها الحقيقة المستصحبة في النظر والتدبير والتطبيق وهي المتأتية من الرؤية المنبثقة عن الإيمان الصحيح الصادق، الإيمان الصحيح نظريا المدلّل عليه عمليا في شعاب الحياة، يظهر في برامجنا واختيار كفاءاتنا في مجمل مسارات التنمية، فالعمل هو المصدر الشريف والشرعي الأول والأساس للثروات المادية و المنازل المعنوية، فهو أهمّ أصول النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة (العمل النافع للإنسان في خاصة نفسه ومجتمعه في حاضره ومستقبله الإسلامي والإنساني). من متطلبات الاستئناف ثقافة العمل الإيجابي، تثمين الحسن والتلطّف في تغيير السيّء، والذي يؤتي أُكُله بفعالية إذا أصبح خيارا جماعيا، ذلك أنّ غيابه أو تغييبه في النظر أو التدبير أو المعرفة الصرف أو الإنسانية والاجتماعية، كان سببا في تضييع كثير من المكاسب وتأجيج الصراعات وتأجيل استقرار المبادئ في النفوس، فكان أن أصبح بذل المهج في الخدمة مستثقلا لا تسترخص المهج لأجله، وهو ما أثر سلبا على الاستفادة من الخبرة المعرفية الإسلامية عموما.

عندما تتحوّل ثقافة العمل الإيجابي إلى خيار جماعي تصبح من الهموم الجماعية، تتولّد عنها همّة جماعية، وينبثق عنها الاجتهاد في التعرّف على المهمّة المتعلّقة بذمة كلّ فرد من أفراد المجموع، بداية كلّ ذلك هو المسلم الذي يهيمن عليه همّ أمته فولّد فيه همّة عالية تستوجب السعي إلى معرفة المهمّة الوقتية وترجمتها في شعاب الحياة، تلك هي الفكرة المركزية في مجلتكم ''النور للدراسات الحضارية والفكرية''، وعليها مدار العدد في دراساته وملفه.

تضمّن عددنا الحالي جملة من الدراسات النوعية المتوثّبة أفق الوعي الحضاري المشار إليه في الاستهلال، فكانت الدراسة الأولى بعنوان: ''الفقه

المصلحي عند الإمام النورسي وأثره في صناعة الإيجابية قراءة في رسائل النور'' لأستاذين من العراق هما داود صالح عبد الله وأحمد مرعي حسين، وهي دراسة تتناول لونا آخر من البحوث الفقهية الأصولية المستشفة من رسائل النور، أما الدراسة الثانية فكان عنوانها: ''دور الإيمان في تأهيل الشعور بالمسؤولية وتطوير محاسبة النفس'' للأستاذ والباحث المغربي جمال السعيدي، وهو بحث يستهدف استشعار الإيمان في شعاب الحياة، ليتحوّل من مقولة مجرّدة إلى فعل وعمل صالح نافع، ثم كان الدور أخيرا في الدراسات على بحث: ''مقولة الإنسان عند العرفاء جلال الدين الرومي أنموذجا'' للأستاذ الباحث الجزائري نصر الدين بن سراي، وهو كسابقه يتوثّب الخلوص إلى أهمية معرفة الإنسان نفسه وحقيقته التي من خلالها يستجلب قوّته من ضعفه وغناه بافتقاره إلى مولاه.

أما ملف العدد فقد آثرنا أن يكون تكملة لملف العدد السابق، وخاصة في ظل الظروف الراهنة التي تؤكّد الحاجة الملحّة لثقافة العمل الإيجابي، فكان اختيارنا أن يكون عنوانه: '' العمل الإيجابي''.[2]

جعلنا الصدارة لدراسة عنوانها: ''دور الفعل في توجيه قانون التضاد لبناء عالم افضل دراسة مقاربة في رسائل النور'' للأستاذة الباحثة السعودية أم كلثوم حكوم داوود بن يحي، وهو بحث يتمحور حول الفعل الإيجابي والرد الجميل وأثره في التأسيس لتشييد عالم أفضل؛ يسعد فيه الكلّ؛ ويعمل فيه الكلّ لأجل نهضة الكلّ، ذلك أن للعمل الإيجابي دور فعّال في توجيه التضاد المتعلّق بأمراض القلب الستة، وتوجيه التضاد المتعلّق بالقضايا الراهنة، كما يمثّل العمل الإيجابي فرصة سانحة لتأسيس ثقافة السلم الدعوي والفكري والحضاري، تلك هي أهم محاور هذه المقالة العلمية، أما الدراسة الثانية فقد وسمها مصنفها الأستاذ بنعمر لخصاصي من المغرب بـ: ''الجهاد الفكري وعلاقته بالعمل الإيجابي في رسائل النور'' وقد ضمّنها زبدة ما خلص إليه؛ مفادها أنّ العمل الإيجابي هو أساس بعث الجهاد الفكري، وأنّ الثاني لا يفعّل إيجابيا إلاّ في إطار فلسفة حماية المكاسب بالعمل الإيجابي، فالعلاقة بينهما تكاملية، وإن كان

الرائد في كلّ ذلك هو العمل الإيجابي الذي ينتظر أن يتحوّل إلى ثقافة مجتمع فلا تختص به طبقة دون أخرى، ثم أتحفنا الأستاذ زياد الدغامين من الأردن ببحثه الموسوم بـ: ''الأبعاد الإيجابية لمفهوم الجهاد في ضوء رسائل النور''، وقد بيّن فيه أنّ الجهاد في سبيل الله في أصل وضعه؛ حمل رسالة إيمان تستشرف العدالة وتحرير الإنسان من غوائل نفسه ومما حوله من وسائل الاستعباد والتبعية للخلق، ومقصده إزالة العوائق الحائلة دون الخلوص إلى تلك المقاصد النبيلة، لهذا فهو ليس سعيا عدائيا، بل هو سعي بنائي يبني المعرفة ويؤسس لاستعادة الإنسان الحق في تقرير مصيره؛ وذلك بنشر العلوم وتطبيقاتها واستثمارها في ميادين مدافعة المستبدين والمستكبرين، وتفعيل كلّ ذلك يكون بتوثيق عرى المحبّة بين جملة مكوّنات الأسرة الإنسانية إلاّ من أبى. وختم ملف العدد بدراسة الأستاذ عمار جيدل من الجزائر وعنونها بـ: ''غياب العمل الإيجابي أو تغييبه في حياة المسلمين المعاصرة -الأسباب والعلاج- دراسة في رسائل النور لبديع الزمان''، وفي العنوان المختار إشارة إلى أنّ الإنسان بالنظر إلى العمل الإيجابي؛ إما أن يكون غائبا عنه فلا يعرف له مدخلا ولا مخرجا، أو يعلمه ولكنه لا يستشعر أهمية استحضاره في النظر والتفكير والتدبير، يذكر الباحث أنّه استشرى في عصرنا تغليب العمل السلبي ولا مدافع له غير الإيمان المؤسس للعمل الإيجابي، مقتضى ذلك السعي لإنقاذ الإيمان من التجريد الموغل في البحوث النظرية إلى إيمان يبعث على خدمة الخلق طلبا لمرضاة الحق سبحانه وتعالى، فيتحوّل الإيمان من مقولة مجرّدة إلى جوهر باعث على العمل بمقتضاه في شعاب الحياة، يمثّل برنامجا مكثّفا يسع الحياة بكلّ مكوّناتها وأبعادها، ولا يكون ذلك بغير الإخلاص التام الذي يحرر الإنسان من الأنانية ويرشده لخدمة الصالح العام للمجتمع والأمة، وذلك تدريب تطبيقي لمواجهة التخريبات الداخلية والخارجية التي يزاولها الكفر المطلق، واستعداد عملي لبذل المهج لأجل نيل مرضاة الله سبحانه وتعالى.

استضفنا في حوار العدد العلامة الأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد، وقد كان حوارا ماتعا، عرفنا من خلاله عنايته المبكرة بالفكر الإسلامي، وموجز

سيرته وأبرز ميادين مصنفاته، ومميزات الجمع بين المدرستين المحافظة والعصرية، وأثر كلّ ذلك على مساره العلمي والحركي، وتجليات ذلك في منعطفات مسيرته المعرفية والتربوية، عرّجنا على بداية عنايته بالأستاذ النورسي ومبرراتها، حاولنا في هذا الحوار الاستمطار من معارفه بوقفتنا عند أهمّ ما استوقفه في رسائل النور، وخاصة في كتابه الذائع الصيت: ''النورسي متكلم العصر''، ومن خلاله تساءلنا بين يديه:'' هل يمكن أن يقال بإنّ رسائل النور مسلك جديدة في عرض حقائق الإسلام؟ وهل لهذا الاختيار شواهد تؤيّدها؟ وفي ذلك استدرار عناصر التميّز من دوحة رسائل النور من حيث كونها برامج تبليغ للإسلام، تلك بعض القضايا التي حاورنا فيها الأستاذ محسن عبد الحميد.

حوى العدد تعريفا بجملة الأحداث العلمية ذات الصلة بميادين اهتمام المجلة، فعّرفنا أولا بأطروحتين قدّمتا لنيل دكتوراه، كانت الأولى باللغة الإنجليزية وهي رسالة نوقشت سنة ٢٠١٣ بقسم العلاقات الدولية من كلية العلوم الاجتماعية جامعة دورهام بإنجلترا، أنجزها الباحث طوبانور يشيلحرك أوزكا، وأشرف عليها. أ.د. كولن تورنر. واختار لها الباحث عنوان:

''ثيوديسيا ومشكلة الشر في الإسلام؛ دراسة في إطار رسائل النور''.

Theodicy and the Problem of Evil in Islam: The Risale-i Nur as Case Study.

ثم نشرها في كتاب بعنوان:

''تعامل مسلم مع الشر: سعيد النورسي على ثيوديسيا.''

A Muslim Response to Evil: Said Nursi on the Theodicy

يقع الكتاب في ٢٢٤ صفحة، وعرّف بالكتاب باللغة التركية الباحث: حاقان كولرجه، وترجمه إلى العربية مولاي الحسن الحفيضي. طبع الكتاب: فرنهام: أشغيت.

أما الأطروحة الثانية فكانت باللسان العربي نوقشت في الثلاثي الأول من عام ٢٠١٧ بشعبة الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمّد الأول بمدينة وجدة بالمملكة المغربية، تقدّم بها الطالب عبد القادر الأبيض، وعنوانها: ''منهج بديع الزمان النورسي في إحياء العمل الاجتماعي''، وقد تقدّم بها لنيل دكتوراه علوم، و بإشراف الأستاذ الدكتور عمر آجة. وتقع الرسالة في ٣٤٣ صفحة.

وتضمّن العدد التعريف بجملة النشاطات العلمية الأكاديمية في السداسي الأول من العام الحالي (٢٠١٧)، فكان منها نشاطات علمية للمهتمين برسائل النور في الجامعات الهندية، فكان تعريفا عاما بنشاطات مؤسسات علمية أكاديمية هندية (جامعة بومباي، كاليكوت، دار الندوة لكناو، كوهاتي أصام، جواهر لال نهرو، مجمع الفقه الإسلامي بالهند) بمشاركة مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم وذلك خلال الفترة الممتدة من ١٢ إلى ١٨ من فيفري عام ٢٠١٧م، واختارت جملة مواضيع لها صلة وثيقة برسائل النور، منها ''فهم رسائل النور''، و ''دراسات رسائل النور'' و ''تعليم رسائل النور'' و ''العمل الإيجابي في رسائل النور'' و ''الأفكار الأساسية في رسائل النور''.

كما شهد النصف الأوّل من السنة الجارية نشاطا مكثّفا في لبنان، وكان ذلك في الأسبوع الأخير من شهر أبريل (نيسان)، استضافت بيروت وطرابلس بمختلف مؤسساتها العلمية والدينية أسبوع رسائل النور في لبنان، وتمحورت الفعاليات حول رسائل النور، منها: ''الإنسان في رسائل النور''، و ''مفهوم القرآن في رسائل النور''، شيّد خلالها معرض: ''سنوات ولادة ونشر رسائل النور'' بمعهد يونس أَمْرَه، شارك فيها ثلّة من العلماء والباحثين من تركيا ولبنان والأردن، فضلا عن الأستاذ محمد فرنجي تلميذ الأستاذ بديع الزمان النورسي، والأستاذ سعيد يوجه رئيس مجلس إدارة مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم، هذا زيادة إلى العناية الرسمية ممثّلة بسعادة سفراء تركيا في البلدان المعنية.

هذه مضامين العدد الحالي، يحدونا في ختام مقدّمتها طلب المزيد من البحوث الرصينة بأفق علمي رائد؛ يتحرى صناعة وعي بمتطلبات اللحظة

الراهنة، والتأكيد على رسالة الإسلام وأهميتها في استقرار العالم بخدمة الإنسانية الأصلية الأصيلة (فطرة الله التي فطر الناس عليها) وفق النمط المنبثق عن المبادئ الإيمانية الصحيحة والصادقة، المُؤَسِّسَة لوحدة الأسرة الإنسانية من حيث أصل الخلقة، والباعثة على التلطّف مع الخلق وفق قاعدة ثقافة العمل الإيجابي الجماعية لأجل إسعافهم لإصلاح أوضاعهم بأنفسهم وتنبيههم إلى ما صبغتهم به المنظومات التعليمية والفكرية من تحوّلات في الفطرة تصل حدّ التشوّهات، فهم ضحايا التاريخ بما حوى، ولا يُعامِل الضحية معاملة العدو إلاّ من فقد عقله وصوابه، وتؤتي تلك الرؤية تمام أُكلها إذا تحوّلت إلى خيار جماعي، ذلك أنّ روح فعاليّته في تحوّله (العمل الإيجابي) إلى ثقافة جماعية يصدر عنها النظر والتنظير والتدبير والتطبيق في صغير الأمور وكبيرها، ورأس ما ترمي إليه هذه الرؤية استعادة الأخلاق محوريتها في حياة أمتنا والإنسانية الراشدة، لهذا آثرنا أن يكون ملف العدد القادم ''الأخلاق''، نتناول هذا الملف بكلّ أبعاده النظرية والتطبيقية، بمختلف تجلياته الفردية والاجتماعية والمجتمعية والإنسانية، وبهذا الصدد نفتح المجال واسعا أمام الدراسات التأصيلية والدراسات المقارنة ذات الصلة؛ فضلا عن الدراسات الفاحصة والنقدية في إطار رسائل النورخاصة والتفكير الإسلامي في المسألة الأخلاقية عموما.

* * *

الدراسات والبحوث

الفقه المصلحي عند الإمام النورسي وأثره في صناعة الإيجابية
– قراءة في رسائل النور –

Reformative Fiqh in Said Nursi's Thought and Its Influence on a Positive Lifestyle – A Reading from the Risale-i Nur

ABSTRACT

Prof. Dr. Da'ud Salih 'Abdullah and Dr. Ahmad Mar'i Hasan

Because of the relativity of benefits and harms in events, the jurisprudence of benefit deals with comparing benefits and harms, prioritizing higher benefits, and warding off greater harms by choosing the lesser ones. Mujtahids derive these rules by contemplating and examining the principles of jurisprudence. Nursi has important views on jurisprudence of budgets and priorities and taking reality into account. This paper studies two aspects: the theoretical aspect and the practical aspect.

Benefit and good for Imam Nursi take many forms, among them is his methodology in reading facades of benefit, wisdom and aim; it is read by observing beautiful names of God, he also explains that sending prophets is for benefit, in fact it is the greatest of all benefits; and for this reason he wrote "Treatise on Independent Judgements of the Law (Ijtihad)" which includes important views and interpretations regarding the principles of religion and reflects Nursi's strong knowledge in this area and his excellent cognition of what's known today as the jurisprudence of reality, jurisprudence of budgets, and jurisprudence of priorities.

Imam Nursi's jurisprudential approach towards the jurisprudence of budgets shows his understanding of vicissitudes of life and dealing with them in accordance with the benefits view and embodies the values of positive action, thus opening the door for the believer to get from Shari'a what he needs to maintain his life in a way that is confirmed by Shari'a.

The benefits view has taken many forms for Imam Nursi; he used this rule in the context of the conflict of evils during the election of Democrats Party and for the relations between Muslims and the people of the book, and he used it in the context of the conflict of evil and good showing consent for the constitution.

* * *

الملخص

أ.د. داود صالح عبد الله،[1] ود. أحمد مرعي حسن

يعالج الفقه المصلحي الموازنة بين المصالح والمفاسد، ويقوم بتقديم أرجح المصالح، ودفع أعظم المفاسد باقتراف أخفها؛ لنسبية المصالح والمفاسد في الواقعات، وذلك من خلال تحرك المجتهد في فضاءات إعمال النظر والتفكير، والنورسي له باع في فقه الموازنات والأولويات ومراعاة الواقع والحال، وقد اتجهت الدراسة في هذه المقالة اتجاهين: اتجاه نظري، واتجاه عملي.

وتتعدد وجوه المصالح عند الإمام النورسي إلى أشكال مختلفة منها منهجه في قراءة وجوه المصالح والحكم والغايات؛ حيث تتم قراءتها في أسماء الله الحسنى، كما أنه يبين أن إرسال الرسل هو للمصلحة، بل هي قطب المصالح الكلية؛ ومن هذا ألف رسالة في الاجتهاد التي نعلم ما تضمنته تلك الرسالة من آراء واجتهادات أصولية تعكس تمكن الإمام من الفكر الأصولي واستيعابه الدقيق لما غدا يعرف اليوم بفقه الواقع، وفقه الموازنات، وفقه الأولويات.

ويعتبر سلوك الإمام النورسي الفقهي باتجاه الموازنات إدراكا منه لتقلبات الحياة والتعامل معها وفق النظر المصلحي؛ ليجسد قيم العمل الإيجابي وفتح الأبواب لينهل المكلف من معين الشريعة بما يقيم دينه وحياته على الوجه الذي ترضاه الشريعة.

وقد تعددت صور وأشكال النظر المصلحي عند الإمام النورسي، فقد استعمل هذه القاعدة في إطار تعارض المفاسد بعضها مع بعض من خلال انتخاب الحزب الديمقراطي والعلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب، أما في إطار تعارض المفسدة والمصلحة فقد استعملها في مسألة الرضا بالدستور.

* * *

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة، والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمين: أما بعدُ:

فالشريعة الإسلامية بما فيها من نصوص كلية أغلبية، لها القدرة على إعطاء الحلول للمستجدات والمناسبات، عبر مساحات مرنة تتحرك من خلالها هذه النصوص، وهو من ايجابية الشريعة الواقعية، والفقه المصلحي أحد الأركان المهمة في صناعة الإيجابية، لأنه تقرر أن الشريعة جاءت لمصلحة العباد في الدنيا والآخرة، ووفق هذا النظر المصلحي الإيجابي تحرك الإمام النورسي من خلال اجتهادات فقهية، ومواقف علمية، تبين منهجه وسلوكه الفقهي المصلحي الذي تسري فيه روح الإيجابية، وحياة العمل.

والفقهي المصلحي يعالج الموازنة بين المصالح والمفاسد، وتقديم أرجح المصالح، ودفع أعظم المفاسد باقتراف أخفها؛ لنسبية المصالح والمفاسد في الواقعات، ويتسنى ذلك من خلال تحرك المجتهد في فضاءات إعمال النظر والتفكير، وللإمام النورسي باع في فقه الموازنات والأولويات ومراعاة الواقع والحال.

واتجهت الدراسة باتجاهين: الاتجاه النظري، والاتجاه العملي. واعتمدنا في الاتجاه النظري على بيان المصطلحات وأبعادها الشرعية، وبيان آراء الإمام النورسي النظرية التي تجسد منهجه ومسلكه.

ثم بعد ذلك أردفنا ذلك الاتجاه النظري اتجاهاً عملياً يصدقه، وزاوجنا بين النظرية والتطبيق، معتمدين المنهج التحليلي الاستنباطي التطبيقي.

واقتضت خطة البحث أن تكون على النحو الآتي:

من مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المبحث الأول: ''الفقه المصلحي وبعده الإيجابي''.

المبحث الثاني: ''الموازنة بين المصالح والمفاسد وتطبيقاتها عند النورسي''.

ثم الخاتمة.

وختاماً هذا جهد المقل، بذلنا فيه قصارى جهدي، فإن كان فيه من فضل فمن الله وحده، فهو صاحب المن والفضل، وإن كان غير ذلك فمنا، ونسأل اللهَ العفوَ والمغفرةَ. والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: (المصلحة والبعد الإيجابي عند الإمام النورسي)

المطلب الأول: معنى المصلحة لغة واصطلاحاً

المصلحة لغةً: نقيض الإفساد، والمصلحة الصلاح، والمصلحة واحدة المصالح، والاستصلاح نقيض الاستفساد، ويقال: أصلح الشيء بعد فساده، بمعنى أقامه.[2] وهذه بلا شك كلها معاني إيجابية، تستبطن الدعوة إلى العمل الإيجابي.

وفي الاصطلاح عرَّفَها الغزالي، قائلاً: ''هي: عبارة في الأصل عن جلب منفعة، أو دفع مضرة''.[3] وبهذا فالمصلحة بمفهومها العام عند الإطلاق هو جلب المنافع ودرء المفاسد التي أراد الله جلبها ودفعها وهي تمثل قمة الإيجابية التي جاءت بها الشريعة الغراء.

ثانياً: وجوه المصالح الإيجابية عند الإمام النورسي: لاشك أن الشريعة جاءت لمصلحة العباد في العاجل والآجل، ''لأنَّ الشريعة مبناها وأساسها على الحكم، ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها، فكلُّ مسألةٍ خرجتْ عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليستْ من الشريعة''.[4] والإمام النورسي هو كذلك يقرر ويؤكد ذلك بأن الشريعة جاءت لمصلحة العباد في العاجل والآجل، ويؤكد على ما تضمنته نصوص الشريعة من مصالح وحكم وغايات، وعبر عن ذلك بطرق شتى، منها أن هذا الكون بخلقته جاء عن حكمة وقصد؛ لإظهار المصالح والحكم والغايات، فيقول: ''لا ريب ان مالك هذا الكون وربّه يخلق ما يخلق عن علمٍ ويتصرف في شؤونه عن حكمة، ويدير كل جهة عن رؤية ومشاهدة، ويربي كل شيء عن علم وبصيرة، ويدبّر الأمر قاصداً اظهار الحِكَمَ والغايات والمصالح التي تتراءى من كل شيء''.[5] وكذلك يقول: ''ان لمتصّرف هذا العالم حكمةً

عامةً عالية، بشهادات رعاية المصالح والفوائد في كل شيء''.[6] وقريبا من هذا يقول ابن تيمية: ''وإنما ننبه على عظم المصلحة في ذلك بيانا لحكمة الشرع؛ لأن القلوب إلى ما فهمت حكمته أسرع انقيادا والنفوس إذا ما تطلع على مصلحته أعطش أكبادا''[7] ويعد الإمام النورسي ''أن جميع الآيات الكريمة التي تعدّ منافع الاشياء، وتذكر حِكَمها، هي نسّاجة لهذا الدليل، ومظاهر لتجلي هذا البرهان.

وزبدة هذا الدليل هي: اتقان الصنع في النظام الاكمل في الكائنات، وما فيها من رعاية المصالح والحكم، اذ النظام المندمج في الكائنات، وما فيه من رعاية المصالح والحكم''.[8] كما ''ان تمثال العناية الازلية الذي هو الحكمة التامة، التي هي رعاية المصالح والحِكَم في كل نوع، بل في كل جزئي -بشهادة كل الفنون- يبشر بقدوم السعادة الابدية. والاّ لَزِم انكار هذه الحكم والفوائد التي اجبرتنا البداهةُ على الاقرار بها؛ اذ حينئذ تكون الفائدة لا فائدة.. والحكمة غير حكمة.. والمصلحة عدم مصلحة. وإن هذا الاّ سفسطة''.[9] وهذا الفقه المصلحي يفيض بالمعنى الإيجابي ولاشك إذا ترسخ سيصنع ايجابية فاعلة.

وكذلك من منهج الإمام النورسي في قراءة وجوه المصالح، قراءة وجوه المصالح والحكم والغايات في أسماء الله الحسنى قائلاً: ''إنَّ ما يقتضيه اسم الله 'الرحيم' من تربية شفيقة، واسم الله 'الحكيم' من تدبير وفق المصالح''[10] ويقول: ''لو لم يكن صنعة القدير الأزلي الذي يعطي كل شيء ما يليق به بمقدار المصلحة''.[11]

النبوة مصلحة عند الإمام النورسي: ووجوه المصالح عند الإمام النورسي تتعدد، ومن هذا كذلك يبين أن إرسال الرسل هو للمصلحة، بل هي قطب المصالح الكلية، فيقول: ''إن النبوة التي هي قطب المصالح الكلية، ومحورها ومعدن حياتها ضرورية لنوع البشر. فلو لم تكن النبوة لهلك النوع البشري. اذ كأنه ألقي من عالم مختل الى عالم منظم، فيخل بالقوانين الجارية العامة''.[12] إذاً الشريعة تدور في فلك المصالح عند الإمام النورسي وعند غيره كذلك، ولا تخرج عنها. والنظر المصلحي عند الإمام النورسي ''يتوجّه أولها إلى بيان أصل

قصد الله في وضع التكاليف الشرعية المستفادة من القرآن الكريم والسنّة الشريفة، وقد عمل بديع الزمان على تجلية ذلك الأصل بالتركيز الكبير على بيان أنّ من أهمّ ما ترمي إليه رسائل النور (المعبّرة عن الشريعة) إثبات ارتباط الشريعة بمفهومها العام بمصالح العباد المعنوية والمادية، فمصالحهم المعنوية والمادية لا تُحقَّق بطريقة إنسانية هادفة واقتصادية إلا بالشريعة الغرّاء التي تعني الانسجام مع عناصر الكون المادية والمعنوية، لهذا كانت الآية المنظورة (الكون) متناغمة مع الآية المسطورة (الوحي)، وكلاهما يعمل في إطار نظام شامل ومتكامل يخدم في آخر خلاصة له النظام والانتظام الكوني الشامل، ومن مظاهر ذلك خدمة مصالح الإنسان العاجلة والآجلة، يؤكّد هذا المعنى قوله رحمه الله: 'إن لمتصّرف هذا العالم حكمةً عامةً عالية'[13] 'وهي ولاشك مقصد المقاصد'، بشهادات رعاية المصالح والفوائد في كل شيء''.[14] وهذا النظر المصلحي عند الإمام النورسي هو مما يحرك الشريعة وفق نظامها الأنفع للأمة والنظر في الفتوى والاجتهاد إلى ما يحقق المصالح ويدرأ المفاسد، وفي هذا يقول أ.د. عشراتي سليمان: ''وكان التوسع التأويلي يتيح للمتنورين من أهل الإجتهاد، أمثال النورسي أن ييسروا سبل النفع أمام الأمة... وتراعي المصلحة العامة للأمة، وذلك ما يراعيه الإسلام ويتقبّلُه ويحدو الآراء السديدة أن تأخذ بها''.[15]

وكذلك نجد عند الإمام التصريح بالعمل بالمصلحة وتغليب المصلحة العامة على الخاصة، فيقول: ''ففي مثل هذه الحياة الاجتماعية تؤخذ المصلحة العامة بنظر الاعتبار''.[16] ومن هذا كتب رسالة في الاجتهاد وما ''تضمنته تلك الرسالة الغراء من آراء واجتهادات أصولية تعكس تمكن الإمام من الفكر الأصولي واستيعابه الدقيق لما غدا يعرف اليوم بفقه الواقع، وفقه الموازنات، وفقه الأولويات''[17] ولَمَّا كان المراد من الشريعة صلاح العباد، وقيام مصالحهم الدينية والدنيوية على الوجه الذي شرعه الله لهم من الواجب، فيما لم يرد فيه نص، أو أصل يقاس عليه فملاحظة مقاصد الشريعة، ومراعاة مصالح الأفراد

والجماعات بالمحافظة على حقوقهم ودفع الضرر عنهم، أمر يجب إتباعه، وهذا ماسار عليه الإمام النورسي كما سياتي بيانه.

إلا أن هذه الأصل يعمل به بقدر ما يمكن أن يأتي بمصالح، وليس أن يكون هذا الأصل للتفلت من الشرع وضياع الثوابت، فاليوم كثير مِمَّن أنتسب إلى الشريعة له هذا الفهم الذي جرأ دعاة العلمانية إلى عدم صلاحية الشريعة وتطبيقها على الواقع فأحدثوا ما أحدثوا وضيعوا ما ضيعوا. والإمام النورسي تنبه لهذا الأمر، وكان مما قاله هو سد باب الإجتهاد؛ لما رأى من التجرء على الشرع وضياع المقاصد الشرعية والمصالح العلية. ولهذه الأسباب وغيرها والتلاعب بالشريعة بحجة المصلحة، وكما أدرك هذا الأمر الإمام ابن القيم، كذلك ينحى الإمام النورسي هذا المنحى مقرراً ومفتياً ومجتهداً، بسد باب الإجتهاد، وذلك عندما يخرج عن حدوده الشرعية، وفوائده المرجوة، وهنا تعارض مصلحة الإجتهاد مع مفسدة غالبة، فوازن الإمام بينهما، فيقول: ''إن ميل التوسع والاجتهاد هو ميل للتكمل إن كان من الداخلين بحقٍ في دائرة الاسلام بامتثال مسلّماته جميعاً، بينما يصبح -هذا الميل- ميلاً للتخريب ان كان ممن يهمل الضروريات ويعدّ خارجاً عن الدائرة لعدم مبالاته. فاثناء العواصف المدمرة تقتضي المصلحة سدّ نوافذ الاجتهاد فضلاً عن فتح ابوابه. ان الذين لا يبالون بالدين لا ينبغي ان يلطّفوا بالرُخص بل ينبهون بشدة، بالعزائم''.[18] ويعلل ذلك السد بأنه من باب المحافظة على روح الشريعة ومقصدها، قائلا: ''إن نظر هذا العصر متوجه اولاً وبالذات الى تأمين سعادة الدنيا، وتوجّه الاحكام نحوها، والحال ان قصد الشريعة متوجه اولا وبالذات الى سعادة الآخرة، وينظر الى سعادة الدنيا بالدرجة الثانية، ويتخذها وسيلة للحياة الاخرى، اي ان وجهة هذا العصر غريبة عن روح الشريعة ومقاصدها، فلا تستطيع ان تجتهد باسم الشريعة''.[19] فمن المصلحة سد باب الإجتهاد عند النورسي: وهذه من المسائل التي تعارضت فيها المصالح والمفاسد، مصلحة الإجتهاد وما فيه من نفع على الأمة، ومفسدة المتصدرين للإجتهاد وهم ليسوا أهلاً لذلك، وهو اجتهاد ارتبط بواقعه.

ويعلل ذلك السد بأنه من باب المحافظة على روح الشريعة ومقصدها، قائلا: ''إن نظر هذا العصر متوجه اولاً وبالذات الى تأمين سعادة الدنيا، وتوجّه الاحكام نحوها، والحال ان قصد الشريعة متوجه اولا وبالذات الى سعادة الآخرة، وينظر الى سعادة الدنيا بالدرجة الثانية، ويتخذها وسيلة للحياة الاخرى، اي ان وجهة هذا العصر غريبة عن روح الشريعة ومقاصدها، فلا تستطيع ان تجتهد باسم الشريعة''.[20] ويقول الدكتور قطب: ''لم تكن دعوة خالية من تقديم البديل للاجتهاد النظري في زمانه؛ ذلك لأنه دعا في أكثر من موضع في كتاباته ورسائله إلى الاجتهاد الجماعي بديلا عن الاجتهاد الفردي''، وهذا نص ما قاله بهذا الصدد، وهو يعايش فترة انهيار آخر معقل للخلافة الإسلاميَّة في أستانبول: ''... الوزارة تمثِّل السلطنة، أما المشيخة الإسلاميَّة، فهي تمثِّل الخلافة. فبينا نرى الوزارة تستند أصلاً إلى ثلاثة مجالس شورى -وقد لا توفي هذه المجالس حاجاتها الكثيرة- نجد أنَّ المشيخة قد أودعت إلى اجتهاد شخص واحدٍ، في وقت تعقَّدت فيه العلاقات وتشابكت حتى في أدقِّ الأمور، فضلاً عن الفوضى الرهيبة في الآراء الاجتهاديَّة، وعلاوةً على تشتت الأفكار، وتدني الأخلاق المريع الناشئ من تسرب المدنيَّة الزائفة فينا[21]...''[22]

وبناء على هذه الدعوة، فالإمام هادفا منها الاستغناء في هذه المرحلة المزعجة عن الاجتهادات الفردية النظرية، وأما الاجتهادات التي تتم على مستوى المجالس العلمية التي عرفت بعد بالمجامع الاجتهادية، فإنه لا محظور فيها البتة.[23]

المطلب الثاني: فقه الموازنات المصلحي عند الإمام النورسي

لاشك أن النظر المصلحي يستلزم القول بالموازنات، أو بما يعرف اليوم بفقه الموازنات؛ لأنه لاتخلو مصلحة من مفسدة، وقد تزيد أحدهما على الأخرى وقد تنقص، وقد تتساوى مع بعضهما البعض، وهذا مما يجعل الموازنة أمر حتمي، وهو مسلك عند الإمام النورسي، وسيأتي بيانه تطبيقياً في المبحث الثاني.

ولزيادة الإيضاح لهذا المسلك المصلحي لابد من تعريفه لغة واصطلاحاً.

الموازنات لغة: من ''وزن'': المِيزان معروف، و ''المِيْزَانُ'' ''وازن'' بين الشيئين موازنة ووزاناً، ساوى وعادل.[24]

الموازنات إصطلاحاً: مصطلح فقه الموازنات، مصطلح حديث ذو جذور ممتدة، وبهذا لم نجد عند السابقين تعريفاً لهذا الفقه. بل هو مِمَّا انشغل به المعاصرون. ومِمَّن عرَّفَه وبينه الدكتور يوسف القرضاوي فقال: أمَّا فقه الموازنات فنعني به جملة أمور:

١. الموازنة بين المصالح بعضها وبعض.

٢. الموازنة بين المفاسد بعضها وبعض.

٣. الموازنة بين المصالح والمفاسد. إذا تعارضتا بحيث نعرف متى تُقدم درء المفسدة على جلب المصلحة، ومتى تُغتفر المفسدة من أجل المصلحة.[25]

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ''وإنَّه كثيرًا ما يجتمع في الفعل الواحد، أو في الشخص الواحد الأمران، فالذم والنهي والعقاب قد يتوجه إلى ما تضمنه أحدهما، فلا يغفل عَمَّا فيه من النوع الآخر، كما يتوجه المدح والأمر والثواب إلى ما تضمنه أحدهما، فلا يغفل عمَّا فيه من النوع الآخر، وقد يمدح الرجل بترك بعض السيئات البدعية والفجورية، لكن قد يسلب مع ذلك ما حمد به غيره على فعل بعض الحسنات السنية البرية. فهذا طريق الموازنة والمعادلة، ومن سلكه كان قائمًا بالقسط الذي أنزل الله له الكتاب والميزان''.[26]

ويقول ابن عبد السلام: ''واعلم أنَّ المصالح الخالصة عزيزة الوجود، فإنَّ المآكل والمشارب والملابس والمناكح والمراكب والمساكن لا تحصل إلَّا بنصب مقترن بها، أو سابق، أو لاحق، وأنَّ السعي في تحصيل هذه الأشياء كلها شاق على معظم الخلق لا ينال إلا بكد وتعب، فإذا حصلت اقترن بها من الآفات ما ينكدها وينغصها، فتحصيل هذه الأشياء شاق''.[27]

وقريبا من هذا المعنى يبين الإمام النورسي أن المصالح ليست خالصة والشرور كذلك، ويمثل لذلك الإمام النورسي قائلا: ''إن المصيبة ليست شراً

محضاً، فقد تنشا السعادة من النكبة والبلاء، مثلما قد تفضي السعادة إلى بلاء''.[28] وهذا القول كيف يخرج الإنسان من المعاني السلبية إلى المعاني الإيجابية، وينقل التصور للمصائب والنكبات من معناها السلبي المنصرف الذهن إليه عند الإطلاق إلى المعنى الإيجابي بقوة من خلال النظر المصلحي. وهذا الفهم يعد صناعة للإيجابية من خلال قراءة المفاهيم الإسلامية بقراءة جديدة فيها روح الحياة والعمل.

ولهذا ''فهو فقه تشتد حاجة الناس إليه في حياتهم، ولا سيما في عصرنا الذي تختلط فيه الأمور بعضها ببعض، وتتشابك المصالح والمفاسد، والخيرات والشرور، بحيث يعسر أنْ نجد خيراً خالصاً، أو شراً خالصاً، بل يمتزج كل منهما بالآخر، امتزاج الملح بالماء''.[29] و ''أنَّ تحصيل المصالح المحضة، ودرء المفاسد المحضة عن نفس الإنسان وعن غيره محمود حسن، وأنَّ تقديم أرجح المصالح فأرجحها محمود حسن، وأنَّ درء أفسد المفاسد فأفسدها محمود حسن، وأن تقديم أرجح المصالح فأرجحها محمود حسن، وأنَّ درء أفسد المفاسد فأفسدها محمود حسن، وأنَّ تقديم المصالح الراجحة على المرجوحة محمود حسن، وأنَّ درء المفاسد الراجحة على المصالح المرجوحة محمود حسن. واتفق الحكماء على ذلك''.[30] والإمام النورسي يؤكد قريباً من هذا المعنى فيقول: ''فالمصلحة المرجحة المحققة لا تُضحى لأجل مضرة موهومة''.[31] ويقول الإمام النورسي: ''ان المصلحة حِكمة مرجّحة''.[32] وقوله المصلحة حكمة مرجحة وهذا اشارة الى الموازنة في التطبيق، وبقوله: إن المصلحة حكم مرجحة يعني أنه يمكنه اللجوء إلى المصلحة للترجيح والموازنة بين بعضها البعض أو مع المفاسد من باب أولى.

والملاحظ يجد أن من النظر الشمولي الدقيق، والمنهج العلمي المستوعب الذي أدركه بديع الزمان النورسي، الموازنة بين المصالح والمفاسد، وبين المصالح المتفاوتة بعضها ببعض، والمفاسد المتفاوتة بعضها ببعض. فالمصالح ليست كلها على وزان واحد، والمفاسد ليست كلها بدرجة واحدة من الشر، كما تبين ذلك، وإنما بعض الشر أهون من بعض. والنظر السليم يقوم على قاعدة

تقديم أعظم المصلحتين عند التعارض، وتقديم أهون الشرين، وارتكاب الشر لدفع شر أكبر منه إذا لم يمكن دفعه بالخير. وإن هذا المنهج هو عين الفقه، وهو لب الاجتهاد وصلبه، وقد تولى بيانه المحققون من علماء الإسلام، وصاغوه في قواعد عامة، وخصوه بمباحث في تصنيفاتهم، ومن أفرده بالتأليف عز الدين بن عبد السلام في كتابه القيم " قواعد الأحكام في مصالح الأنام".[33]

وهذا ما يشير إليه الإمام سعيد النورسي بقوله: "ففي هذا الوقت الذي يتسم بالدمار الأخلاقي والروحي وبإثارة هوى النفس الأمارة وبإطلاق الشهوات من عقالها، تصبح التقوى أساسا عظيما جدا بل ركيزة الأسس، وتكسب أفضلية عظيمة حيث أنها دفع للمفاسد وترك للكبائر، إذ أن درء المفاسد أولى من جلب المنافع قاعدة مطردة في كل وقت. وحيث إن التيارات المدمرة أخذت تتفاقم في هذا الوقت... فالذي يؤدي الفرائض ولا يرتكب الكبائر ينجو بإذن الله، إذ التوفيق إلي عمل صالح مع هذه الكبائر المحيطة أمر نادر جدا. إن عملا صالحا، وإن كان قليلا، يغدو في حكم الكثير ضمن هذه الشرائط الثقيلة والظروف العصيبة"[34] وهنا يؤكد الإمام النورسي على التقوى لتكون طريقاً إيجابياً ومفهوماً يستلهم منه الإنسان روح العمل والترقي بالإيمان ضمن إيجابية حرة وكريمة.

وسلوك الإمام النورسي الفقهي باتجاه الموازنات إدراك منه لتقلبات الحياة والتعامل معها وفق النظر المصلحي؛ ليجسد قيم العمل الإيجابي وفتح الأبواب لينهل المكلف من معين الشريعة بما يقيم دينه وحياته على الوجه الذي ترضاه الشريعة.

والمبحث القادم يجسد هذه المعاني النظرية إلى واقع عملي ومسلك تطبيقي انتهجه الإمام النورسي، فنتج تغييراً سلوكياً وفقهياً شرعياً.

المبحث الثاني: (الجانب العملي التطبيقي للفقه المصلحي الإيجابي عند الإمام النورسي)

المطلب الأول: (تعارض المصالح بعضها مع بعض عند الامام النورسي)

ومن المسائل العملية التي تبين منهج الإمام النورسي، الموازنة بين المصالح بعضها مع بعض، وتقديم ما حقه التقديم، وتأخير ما حقه التأخير، وبيان ذلك من خلال صور عدة، أهمها:

تقديم مصلحة الإيمان على مصلحة الجهاد:

وذلك عند قدم له أحد طلابه سؤالاً من الشيخ مصطفى صبري، فأجابه الامام، وهذا نص المحاورة: (سيدي الأستاذ يسأل الشيخ مصطفى صبري عن عدد طلابكم!

- لي خمسمائة ألف طالب وخادم للقرآن الكريم!

- يقول الشيخ مصطفى صبري.. إذن ماذا ينتظر؟ ولماذا لا يبدأ بجهاد إسلامي مع هذا العدد من طلابه؟

- بلّغ سلامي له أولا، ثم قل له: ''ان دعوتنا هي الإيمان، والجهاد يلي الإيمان، وأن زماننا هذا هو زمان خدمة الإيمان ووظيفتنا هي الإيمان وخدمتنا تنحصر في الإيمان''.[35] يبين الإمام النورسي أن مصلحتين تتجاذبان الفعل الواحد، المصلحة الاولى ''الجهاد'' والمصلحة الثانية ''الإيمان'' فوازن الإمام النورسي بين المصلحتين فقدم مصلحة الإيمان على مصلحة الجهاد، ولم يغفل بهذا الترجيح الظروف المحيطة به وبواقعه. فإن ذلك الواقع الذي صدرت فيه تلك الموازنة الفقهية تُبينُ أن ''لميادين السياسة والثقافة والصراع الحضاري في المجتمع العثماني الأخير، وبشهادة المخالفين من النصارى واليهود، أن الغرض الأساسي من كل المؤامرات التي تحاك ضد المجتمع العثماني، هو إبعاده عن مسالك الإيمان، من خلال التشكيك في القرآن، والتشويش على جميع العلوم الإسلامية، وقد أعملوا لتحقيق هذا المقصد مجموعة لا يستهان بها من الخدع، تتلخّص في آخر المطاف في أسلوب القهر القانوني المتدثّر بالترغيب حيناً، وبالترهيب في كثير من الأحيان''.[36]

وبعد فترة من الزمن، تبين صحة ما ذهب إليه الإمام النورسي من تقديم أحدى المصلحتين على الأخرى، وصحة الموازنة الدقيقة؛ ولهذا استصوب الشيخ صبري فتوى الإمام النورسي، ويبين ذلك طالب الأستاذ النورسي الذي نقل المحاورة، فيقول: ''ولما رجعت إلى مصر، زرت الشيخ مصطفى صبري، وكان طريح الفراش، وقد أنهكه المرض وأدركته الشيخوخة، حدثته عما دار بيني وبين الأستاذ النورسي في تركيا، فاستمع لي جيداً. ثم قال: ...حقاً ان الأستاذ النورسي هو المحق، نعم ان ما قاله صدق وصواب، فقد وفقه الله في مسعاه، أما نحن، فقد أخطأنا، حيث ثبت هو في البلاد ونحن غادرناها''.[37]

إن التشخيص السابق يدل على عبقرية فذة جاوزت العقلية الإسلامية التي تعرف كيف تموت من أجل الإسلام ''المعنى السلبي''، ولم تعرف كيف تحيى من أجل الإسلام ''المعنى الإيجابي''؛ لأنها تفتقد إلى منهج الحياة من أجل الإسلام، بمعنى أنها تحسن تقديم النفس لله، ولكنها لا تعرف كيف تحيى لله، فالعقلية الإسلامية كانت ولمدة طويلة عقلية فدائية، يهمها أن تقدّم نفسها لله تعالى، دون موازنة بين المصالح والمفاسد المترتّبة عليها بالنسبة للأمة، وليس بالنسبة للشهيد، وقد أيّد هذا الفهم وزكاه شيخ الإسلام مصطفى صبري.[38] وهو باعث حي يتحرك ضمن أصل المصالح الذي جاءت به الشريعة، وحفظ مقصد الشرع هو الأقرب شرعاً والأجدى نفعاً، والمصلحة الأكبر في الشريعة هي مصلحة الأمة جميعاً، من غير اغفال عن مصلحة الفرد، وتقدم مصلحة الجماعة أولى.

وكذلك يرى الإمام النورسي أن حقائق الإيمان مهددة، فما هو المطلوب في مثل هذا الوضع؟ هل يبقى مكتوف الأيدي أم يساير الفكر الفدائي (الجهاد بالنفس في سبيل الله)؟

المعركة حسب تقديره تتجاوز منع الحكم الإسلامي، أو المظاهر الإسلامية، إنها معركة حامية الوطيس، هدفها قطع صلة الأمة بدينها من خلال محو الحقائق الإيمانية من قلوب المؤمنين، وعقولهم، بكل الوسائل المتاحة، وقد قاد هذا المسعى الاستعمار والصهيونية، بمساعدة قوى محلية، وفي مثل هذا المقام

هل يفيد الخروج طلبا للشهادة ؟ وهل يحمي ذلك المسلك الحقائق الإيمانية؟[39] تبقى ثمار الحقائق الإيمانية مستمرة وطويلة، وهي من المصالح التي يصار إليها لتحقيق مقصد الشرع، وأول الضروريات الخمس وهو حفظ الدين.

وجه هذه الموازنة وثمراتها وفائدتها على وفق رأي النورسي:

والملاحظ على جواب الإمام النورسي نجد أنه يأتي وفق نظر علمي دقيق، ومسلك إصلاحي يبدأ بترتيب الأولويات، بعد التشخيص الدقيق الذي تمثل بقوله: ''إننا في عصر مريض وعنصر سقيم وعضو عليل[40] وهناك هجوم عنيف جماعي منظم على أركان الإيمان وأسسه''.[41] التشخيص الآنف الذكر فرض على النورسي اتخاذ موقف منسجم مع خياره، فهل نكتفي بالمؤلفات السابقة لحماية الإيمان وحقائقه؟

يقول النورسي: ''لا تستطيع أغلب تلك الكتب والرسائل التي كانت تخاطب الأفراد وخواص المؤمنين فقط أن تصد التيار القوي لهذا الزمان، ولا أن تقاومه''، وبهذا الصدد اقترح البديل، فما هو البديل أيها الشيخ الجليل، إنه أمر بسيط واضح بدايته ومنتهاه: رسائل النور لكونها معجزة معنوية للقرآن الكريم فهي تنقذ أسس الإيمان وأركانه، لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود، وإنما بإثبات الإيمان وتحقيقه وحفظه في القلوب، وإنقاذه من الشبهات والأوهام، بدلائل كثيرة، وبراهين ساطعة، حتى حكم كل من ينعم النظر فيها: بأنها أصبحت ضرورية في هذا العصر كضرورة الخبز والدواء''.[42] [43]

وقد بين الدكتور عمار جيدل مجموعة من المقاصد والأهداف التي لا يستهان بها من خلال هذا الرأي والنظر المصلحي منها:

١/ إعادة الاعتبار للقرآن الكريم كمصدر رئيسي في المعارف الدينية.

٢/ التركيز على الجانب الحضاري من المعركة، بعدم الدخول إلى ساحة الوغى، وبهذا ابتعد النورسي عن التعامل الصبياني أو الفدائي مع قضية بالغة التعقيد.

٣/ اختار النورسي الحفاظ على الأصل الذي تستمد منه جميع الأفعال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية عناصر بقائها وديمومتها وفاعليتها في حياة المسلم، لهذا يرى النورسي أنه إذا كان الإيمان مهدداً، فالأصل التركيز على حمايته ..فالحفاظ على متر واحد في ساحة الدعوة الإيمانية أولى من الاستحواذ على أضعافها بطريق آخر.

٤/ تعد العودة بالناس إلى القرآن الكريم اختيارا لأقصر مسالك إثبات الحقائق الإيمانية.

٥/ يعد هذا المنهج في العمل بمثابة الحفاظ على الخزان البشري الذي تستمد منه جميع حركات التغيير على تنوّع اهتماماتها... إمداد هذا الفكر بعناصر الديمومة المادية والمعنوية.

٦/ يستفاد من التجربة النورسية ضرورة التفكير في ترتيب الأولويات في معركة المقاومة الفكرية، وبذلك نبتعد عن التفاعل السطحي مع الأحداث، كما يستفاد منها تجاوز الفكر الفدائي، بتركيزه على العمل المؤسساتي الذي تجلى في رواد رسائل النور وحملة ميراثها في قابل الأيام.[44]

وهذا الأهداف التي كان لها من الأثر الكبير على الفرد والمجمع، تجاه القرآن واثبات الإيمان، وكل ذلك من خلال النظر المصلحي الذي يبصر المآلات المستقبلية، من غير إهمال للمصالح الآنية.

والخروج من التقوقع السلبي إلى النظر الإيجابي بتفعيل النشاط الإيماني الذي يعد ركيزة مهمة لعديد من الأعمال التي سيكون لها السبب الحقيقي في التحريك والتفعيل والتقدم، وهذا ما حدث بالفعل، فغدت صورة التوجه النورسي حياة عملية لمجتمع ينبض بالحياة.

المطلب الثاني: تعارض المصلحة والمفسدة عند الإمام النورسي

الرضى بالدستور:

وهذه صورة أخرى من صور الموازنة بين المصالح والمفاسد عند الإمام، وجه ذلك معارضة مفسدة الدستور مع مصلحة الدعوة المستقبلية وحرية العمل

''وقد رضي بالدستور؛ لأنه رأى فيه لباب الشريعة كما كان يتمثلها... وهو ما يؤكده في هذا النص '' لقد قمت بإلقاء خطب عدو على العلماء عامة وعلى كثير من طلاب الشريعة... وأوضحت أن الاستبداد المتعسف لا صلة له بالشريعة الغراء، وأن الشريعة قد أتت لهداية العالم أجمع كي تزيل التحكم الظالم والاستبداد... إن المسلك الحقيقي للشريعة إنما هو حقيقة المشروطية (الدستور) المشروعة''[45].[46] والنظر يقضي أنه من الطبيعي أن يبدي الإمام النورسي كل هذا الإلتزام بالدستور والتجنيد وراءه؛ لأن عقله يحفل بالمشاريع التي رأى أن الأمة في مسيس الحاجة إليها.. وكانت ديباجة الدستور تَعِدُ وتفتح الآفاق في وجه العمل والحرية وإرساء الحقوق، وذلك ما جعله يبادر بالدعوة إلى إقامة جامعة الزهراء التي اختار لها حتى الاسم الدال، لتكون لبنة ضمن رؤية ملية متكاملة ومتجانسة، لا سيما في مجال تثبيت الإيمان من خلال التعليم والترشيد الروحي.[47]

لهذا يلحّ الإمام النورسي على التحليل الذي بموجبه نقدّر الأولويات، وأولوية الأولويات، ودقة الموازنات، وعلى حسب تقديره تكون حماية الإيمان بتثبيته وإثباته إن اقتضى الحال، أولى الأولويات، وفي ذلك أبين جواب وأحسنه على الإلحاد عوض الدخول في مهاترات تعرّض طاقات الأمة إلى الضياع، أو على الأقل تسهم في صرفها في غير أبوابها.[48] وبعد ذلك تهدر الطاقات وتضيع الجهود الكبيرة ولم تكن ثمارها مجدية، فدور المجتهد يتحتم بإيجاد مساحات وفضاءات واسعة تتحرك من خلال الأمة والدعوة، وإعطاءها الحلول المناسبة من غير ضياع للجهود، وذلك ببيان أفضل الطرق الموصلة للنتائج المرسومة. وذالك يحصل بالنظر المصلحي الدقيق الموازن بين دقائق المصالح والمفاسد. ولا أجودَ من هذه النظرة الإيجابية الواقعية.

المطلب الثالث: تعارض المفاسد بعضها مع البعض عند الإمام النورسي

وهذا المسلك يتحدد أن تتجاذب الفعل الواحد مفسدتان، أحدهما أخف ضرر من الأخرى، وهنا العمل على قاعدة أخف الضررين،[49] والتي يتميز بإدراكها فحول المجتهدين، وفي هذا يقول ابن تيمية: ''ليس العاقل الذي يعلم

الخير من الشر وإنَّما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين''.[50] وهو ما سار عليه الإمام النورسي في اختياراته واجتهاداته التطبيقية المصلحية الموزونة بميزان الشرع.

انتخاب الحزب الديمقراطي:

ومن هذه التطبيقات العملية للإمام النورسي التي تبين منهجه في ارتكاب أخف الضررين ودفع أشدهما ضرراً، وهو اتجاه يعزز الموقف الإيجابي الواقعي، ويدفع الأثر السلبي أو يخففه، ومنها موقفه من الانتخابات التي حدث عام ١٩٥٧م في تركيا، والتي أيد فيه من هم أقل ضرراً على المسلمين، وما جاء في الشهود الأواخر ينص على هذا، وهذا مانصه: ''كانت الانتخابات لعام ١٩٥٧ قد قربت حينها. أصبح الحاج شعيب عضو لجنة، غير أن الأستاذ وجد ذلك غير مناسب ولا مقبول. وكان الحاج شعيب قد قال للأستاذ: 'سيدي، أنت ورسائل النور تمنعونا منعاً باتاً من الدخول في العمل السياسي. إذن ما الذي سوف نعمله في الساحة السياسية؟' أجاب الأستاذ: (أخي، حزب الشعب ضد الدين. والحزب الديمقراطي غير مهتم به. حزب الشعب يقطع الذراع، بينما الديمقراطي يقطع الإصبع. لأجل منع قطع الذراع نرضى بقطع الإصبع''.[51] فهنا وازن الإمام في هذه الواقعة بعقلية الفقيه الأصولي، المدرك لوجوه المصالح والمفاسد بدقة، وهي يشير إلى قطع الأصبع أخف من قطع الذراع، وهو نظر مصلحي منه إلى سبب اللجوء إلى انتخاب الحزب الديمقراطي. ودفع أعظم المفسدتين بارتكاب أدناهما.

ويعد الإمام النورسي هذا المسلك وهذا الرأي، باسم القرآن والوطن والسلام، وذلك عندما سُئل عن ذلك، وهذا ما نص عليه قائلاً بعد سؤال وجه له، فقال: ''لماذا تعمل على الحفاظ على الحزب الديمقراطي؟ فأجابنا بالآتي: إذا سقطت حكومة الحزب الديمقراطي، فسيتولى السلطة حزب الشعب الجمهوري، او حزب الامة. والحال ان الجنايات التي ارتكبها الفاسدون من الاتحاد والترقي والقسم الاعظم من الاجراءات التي نفّذها رئيس الجمهورية الاول بموجب معاهدة سيفر، طوال خمس عشرة سنة تحت ضغوط ومكايد

سياسية كثيرة، كل هذه الامور حُمّلت على حزب الشعب الجمهوري، لذا فان هذه الامة التركية العريقة لن تمكّن بارادتها ليتولى حزب الشعب السلطة، ذلك لأن حزب الشعب اذا تولى السلطة فان القوة الشيوعية ستحكم في البلاد تحت اسم الحزب نفسه، علماً ان المسلم يستحيل عليه ان يكون شيوعياً، بل يصبح ارهابياً فوضوياً، ولا موضع لمقارنة المسلم بالأجنبي. ولأجل الحيلولة دون وصول حزب الشعب الى السلطة والذي يشكل خطراً رهيباً على حياتنا الاجتماعية وعلى الوطن، اعمل على المحافظة على الحزب الديمقراطي باسم القرآن والوطن والسلام''.[52]

وهذه من الوقائع التي تدل على رسوخ هذا الأصل عند النورسي ووضوحه في ذهنه، وعن تصويته للحزب الديمقراطي. يقول أورخان محمد علي: ''ومع أن المسلمين لم يكونوا ينظرون إلى الحزب الديمقراطي كحزب إسلامي -رغم وجود جناح إسلامي فيه- إلا أن توليه الحكم منذ سنة ١٩٥٠ وما أشاعه من جو الحرية في البلد، وإرجاع الأذان الشرعي، والقيام بتدريس الدين الإسلامي في المدارس (وكان قبل ذلك ممنوعا في عهد حزب الشعب)... إنهاء العداوة الوحشية للإسلام... ومع أن الأستاذ النورسي لم يدخل ساحة السياسة إلا أنه قرر الاشتراك في هذه الانتخابات وإعطاء صوته للحزب الديمقراطي تنفيذا للقاعدة الفقهية 'درء مفسدة أولى من جلب المنفعة'[53]...''[54] وبهذه العقلية المتوازنة التي تبصر المصالح والمفاسد والمآلات استطاع الإمام أن يكسب الكثير من المصالح من أجل الحفاظ على العمل الدعوي وتثبيت الإيمان.

العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب:

ومن الصور الأخرى في هذا المسلك المصلحي الإيجابي عند الإمام النورسي هو التعامل المسلم مع الكتابي، ''فإننا نجده يذهب في هذا الأمر إلى حد سن خلقية تعاملية تراعي العلاقة المستجدة بين المسلمين والكتابيين... وذلك مواجهة لما كان النظام الجديد يبادر إليه من إجراءات تُبَيِّتُ لِوَأْدِ الإسلام في تلك الديار التركية. فقد كان النظام الانقلابي ينهى مثلاً عن وسم غير المسلم بنعت 'الكافر'... الأمر الذي أثار تساؤلات الناس، وكان على النورسي أن يبين رأيه الشرعي في المسالة... وكان عليه أن يصدع بالحق وبما يتلاءم مع المصلحة التي كان يعتقد أن الإسلام يقتضي

مراعاتها... لقد رأى أن وسْم غير المسلم بالكافر أمر لا يسوغ ولا يجوز، إذ هو من قبيل الوصم بالمعايب والنقائص... فكما لا يجوز أن نقول للأعور يا أعور كذلك لا يجوز أن ننادي غير المسلم بالكافر... وفي ذات السياق نجده يَشْرَعُ في تبيين معنى الكافر، ليقرر في ضوء ذلك، حكم الشرع بقوله":[55] "إن قسماً من افراد 'جون تورك' يقولون: لا تخاطبوا النصارى بـ: 'يا كافر' استهانةً بهم، فهم أهل كتاب!.. لماذا لا نخاطب الكافر بـ 'ايها الكافر'؟!. ج: مثلما لا تقولون للأعور: أيها الاعور! لئلا يتأذى، فهناك نهيٌ عن آذاهم كما جاء في الحديث الشريف: 'من آذى ذمياً... الخ'[56]..."[57]

ومما لا شك فيه أن مقاصد النورسي من خلال مثل هذه الاجتهادات المصلحية هو حماية التجربة الإصلاحية التي كان يعلق عليها آمالاً كباراً لفائدة المسلمين، لذا رأيناه يبدي مرجوحية عقلية متسمة بكياسة لا تتنازل عن إيمانها قطعا، ولكنها تسعى إلى نشر ثقافة التسامح والعدل التي هي من صميم الدين، والتي قدر النورسي أنها -في المحصلة النهائية- ستخدم الإسلام وأمته.[58]

وبهذا فإن الإمام النورسي الذي تجاوز -بفتواه هذه- إشكال العلاقة مع الذمي ومن هو خارج نطاق الأخوة الدينية، قد فتح كوة في وجه الاجتهاد الحصيف، وقرب المصلحة العليا من القراءة الفقهية الواعية. وخطا خطوة حاسمة ما زالت تحتاج التعميق من قبل المسلمين، كي يتحولوا إلى فاعلية وحضور يرضاه الله ورسوله لهم.[59]

"كما لا ينبغي أن ننسى في هذا الصدد، أن النورسي -في نشاطه الفكري التنويري، وخاصة من خلال ما يصدره من فتاوى تُوَسِّعُ على ألوان من النشاط المدني الذي جاء به الانقلاب- كان لا يخالجه ريب من أن الخلافة ستستمر في أداء وظيفتها الروحية، إذ لم يكن يستريب قط في أن ما كان يحدث داخل الأجهزة والدواوين الحكومية من تجديد وانفتاح على الحياة الاجتماعية والمدنية إنما كان تجديدا للروحية العامة للأمة والدولة، تجديد ستحيى معه القيم الدينية، وسيكون الانطلاق نحو المستقبل متوازنا ومحققا".[60]

الخاتمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن للآثار اقتفى، وبعدُ:

فبعد هذه القراء التحليلية التطبيقية لمنهج النظر المصلحي التعليلي عند الإمام النورسي، نخط أبرز النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث، وهي:

١. ان الإمام النورسي شخصية علمية ميدانية عملية ايجابية.

٢. أن الإمام النورسي نهج المنهج التعليلي للأحكام المتتبع لوجوه المصالح، وفي ذلك تظهر ايجابية هذا المسلك وما له من آثار عملية سلوكية.

٣. أن الإمام النورسي هو فقيه أصولي مجتهد، كما هو عالم رباني إصلاحي.

٤. أن النظر المصلحي عند الإمام النورسي تعددت صوره وأشكاله، ونص على ذلك كما تبين في ثنايا البحث.

٥. فقه الموازنات والأولويات حاضر في اجتهادات الإمام النورسي.

٦. هناك علاقة لفقه الموازنات بأصل المصالح عند الإمام النورسي.

٧. المسلك التطبيقي للموازنة عند الإمام النورسي من خلال موازنته بين تعارض المصالح بعضها مع بعض، وتعارض المصلحة والمفسدة، وتعارض المفاسد بعضها مع بعض.

٨. قراءة المفاهيم الإسلامية بقراءة جديدة فيها روح الحياة والعمل الإيجابي.

٩. صناعة السلوك الايجابي عند الإمام النورسي وتجسيده من خلال ضوابط علمية، وأصول منهجية، ورؤية تطبيقية عملية.

التوصيات:

الوقوف على مواقف العلماء من الوقائع والنوازل وقراءة منهجهم في التعامل مع النصوص؛ لمعالجة النوازل، تعد ثروة علمية وتجربة عملية ثرية، ترسم المستقبل الشرعي، فوصيتي لأخوتي الباحثين أن يكون لهم نصيب من هذه القراءات.

* * *

ثبت المصادر والمراجع

١. أسس الوحدة الفكرية عند بديع الزمان سعيد النورسي، تأليف: الدكتور عبد الكريم عكيوي، جامعة ابن زهر-اغادير المغرب (د.ط، د.س).

٢. إشارات الإعجاز، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (دار سوزلر، مصر-القاهرة)(ط٧، س،٢٠١٣م).

٣. ألأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع، تأليف: حسن بن عمر بن عبد الله

السيناوني المالكي (المتوفى: بعد ١٣٤٧هـ) (مطبعة النهضة، تونس) (ط١، س، ١٩٢٨م).
٤. الاعتصام، تأليف: أبي إسحاق الشاطبي (المكتبة التجارية الكبرى – مصر) (د.ط، د.س).
٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)، دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد (مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة) (د.ط، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).
٦. بديعُ الزّمان النُّورسيّ وإثبات الحقائق الإيمانية (المنهج والتطبيق) الدكتور عمار جيدل، (ط١، د.س).
٧. دراسات في مقاصد رسائل النور في ضوء القرآن الكريم، - دراسة تحليلية – تأليف: أ.د عمّار جيدل، كليّة العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر المركزية (د.ط، د.س).
٨. رسالة الاجتهاد للإمام بديع الزمان سعيد النورسي: قراءة تحليلية، إعداد: أ.د.قطب مصطفى سانو (ط١، د.س).
٩. سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، تأليف: أورخان محمد علي (شركة سوزلر، مصر-القاهرة) (ط٣، س٢٠٠٦).
١٠. السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها، تأليف: الدكتور يوسف القرضاوي (مؤسسة الرسالة ناشرون ـ بيروت ـ لبنان) (ط١، س،١٤٢٢ه، ٢٠٠١م)
١١. مجموع الفتاوى، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت، ٧٢٨هـ) تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار (دار الوفاء) (ط٣، س، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م).
١٢. السيرة الذاتية السيرة الذاتية، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (دار سوزلر، مصر-القاهرة)(ط٧، س،٢٠١٣م).
١٣. سيرة ذاتية مختصرة لبديع الزمان سعيد النورسي، تأليف: ترجمة وإعداد: إحسان قاسم الصالحي (د.ط، د.س).
١٤. الصارم المسلول على شاتم الرسول، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)،المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، (المملكة العربية السعودية) (د.ط، د.س)
١٥. صيقل الاسلام، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (دار سوزلر، مصر-القاهرة)(ط٧، س،٢٠١٣م)
١٦. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، تحقيق : د. محمد جميل غازي (مطبعة المدني – القاهرة) (د.ط، د.س).
١٧. الفهارس، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (دار سوزلر، مصر-القاهرة)(ط٧، س،٢٠١٣م).
١٨. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تأليف: ابو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، ت٦٦٠ هـ ، تحقيق: محمود بن التلاميد الشنقيطي(دار المعارف بيروت – لبنان) (د.ط، د.س).
١٩. كشف الخفاء ومزيل الإلباس، تأليف: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ)، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي (المكتبة العصرية) (ط١، س، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
٢٠. الكلمات، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (دار سوزلر، مصر-القاهرة)(ط٧، س،٢٠١٣م)
٢١. لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (دار صادر – بيروت) (ط١، د.س).
٢٢. اللمعات، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (دار سوزلر، مصر-القاهرة)(ط٧، س،٢٠١٣م)

٢٣. المثنوي النوري العربي، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (دار سوزلر، مصر-القاهرة)(ط٧، س،٢٠١٣م).
٢٤. مختار الصحاح، تأليف: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر (مكتبة لبنان ناشرون – بيروت) (د.ط، س ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
٢٥. المستصفى في علم الأصول، تأليف: محمد بن محمد الغزالي أبي حامد، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي (دار الكتب العلمية – بيروت) (ط١، س ، ١٤١٣).
٢٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، (المكتبة العلمية – بيروت) (د.ط، د.س).
٢٧. المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية (دار الدعوة) (د.ط، د.س).
٢٨. المكتوبات ، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (دار سوزلر، مصر-القاهرة)(ط٧، س،٢٠١٣م)
٢٩. الملاحق تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (دار سوزلر، مصر-القاهرة)(ط٧، س،٢٠١٣م)
٣٠. النورسي في رحاب القران، تأليف: أ.د. عشراتي سليمان، جامعة وهران-الجزائر (د.ط، د.س).

الهوامش:

[1] عضو الهيئة العليا للمجمع الفقهي العراقي لكبار العلماء في العراق؛ ومدرس الفقه المقارن، في كلية الإمام الأعظم رحمه الله، الجامعة في العراق.

[2] ينظر: لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور المصري (دار صادر – بيروت) (ط١، د.س). (٥١٧/٢) مادة (صلح).

[3] المستصفى في علم الأصول، تأليف: محمد بن محمد الغزالي أبي حامد، (ت٥٠٥)هـ، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي (دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣،ط١) (١٧٤/١).وينظر: الاعتصام، تأليف: أبي إسحاق الشاطبي (المكتبة التجارية الكبرى – مصر) (د.ط، د.س) (١١٣/٢).

[4] إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)، دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد (مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة) (د.ط، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م). (٣ / ٢).

[5] المكتوبات، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (دار سوزلر، مصر-القاهرة)(ط٧، س،٢٠١٣م) (١١٧).

[6] المثنوي العربي النوري،تأليف: سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (دار سوزلر، مصر-القاهرة)(ط٧، س،٢٠١٣م) (١٠٥).

[7] الصارم المسلول على شاتم الرسول، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، (المملكة العربية السعودية) (د.ط، د.س)(٤٨٥).

[8] المثنوي العربي النوري (٤١٨).

[9] إشارات الإعجاز، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي (دار سوزلر، مصر-القاهرة) (ط٧، س،٢٠١٣م) (٥٩).

[10] المكتوبات (٣٥٣).

[11] المثنوي العربي النوري (٢٥٧).

[12] صيقل الاسلام، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (دار سوزلر، مصر-القاهرة)(ط٧، س،٢٠١٣م) (١٤٠).

[13] المثنوي العربي النوري (١١).

[14] دراسات في مقاصد رسائل النور في ضوء القرآن الكريم، - دراسة تحليلية – تأليف: أ.د عمّار جيدل، كليّة العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر المركزية (د.ط، د.س). (٨).

[15] النورسي في رحاب القران، تأليف: أ.د. عشراتي سليمان، جامعة وهران-الجزائر (د.ط، د.س). (٣٤٣)

[16] اللمعات، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (دار سوزلر، مصر-القاهرة)(ط٧، س،٢٠١٣م) (٣٩٨)

[17] رسالة الاجتهاد للإمام بديع الزمان سعيد النورسي: قراءة تحليلية، إعداد: أ.د.قطب مصطفى سانو (ط١، د.س). (٥).

[18] المكتوبات ، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (دار سوزلر، مصر-القاهرة)(ط٧، س،٢٠١٣م) (٦٠٣).

[19] الكلمات، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (دار سوزلر، مصر-القاهرة)(ط٧، س،٢٠١٣م) (٥٥٦)

[20] الكلمات (٥٥٦).

[21] صيقل الاسلام (٣٣١).

[22] رسالة الاجتهاد للإمام بديع الزمان سعيد النورسي: قراءة تحليلية، إعداد: أ.د.قطب مصطفى سانو (ط١، د.س) (٥٣).

[23] ينظر: المصدر نفسه (٥٣).

[24] يُنظر: لسان العرب (٤٤٦/١٣) مادة (وزن). مختار الصحاح، تأليف: محمد بن أبي بكر ابن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر (مكتبة لبنان ناشرون–بيروت) (د.ط، س ١٤١٥هـ-١٩٩٥م). (٧٤٠/١). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، (المكتبة العلمية–بيروت) (د.ط، د.س). (٢ / ٦٥٨). المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات -حامد عبد القادر- محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية (دار الدعوة) (د.ط، د.س) (٢ / ١٠٢٩).

[25] يُنظر: السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها، تأليف: الدكتور يوسف القرضاوي (مؤسسة الرسالة ناشرون ـ بيروت ـ لبنان) (ط١، س، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م) (٢٧٩).

[26] مجموع الفتاوى، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت، ٧٢٨هـ) تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار (دار الوفاء) (ط٣، س، ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٥ م) (٣٦٦/١٠).

[27] قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تأليف: ابو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، ت٦٦٠ هـ، تحقيق: محمود بن التلاميد الشنقيطي(دار المعارف بيروت – لبنان) (د.ط، د.س). (٦/١).

[28] الفهارس، كليات رسائل النور، إعداد: حازم ناظم فاضل (دار سوزلر، مصر-القاهرة)(ط٧، س،٢٠١٣م) (٣٩/ ٥٨).

[29] السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها، للقرضاوي (٢٧٨).

[30] قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١ / ٤).

[31] صيقل الاسلام (٣٣٣).

[32] المثنوي العربي النوري (١٨٨).

[33] يُنظر:أسس الوحدة الفكرية عند بديع الزمان سعيد النورسي، تأليف:د. عبد الكريم عكيوي، جامعة ابن زهر-اغادير المغرب (د.ط، د.س) (٧٤).

[34] سيرة ذاتية (٣١٤). أسس الوحدة الفكرية (٧٥).
[35] السيرة الذاتية (٦٠٧).
[36] بديعُ الزّمان النُّورسيْ وإثبات الحقائق الإيمانية (المنهج والتطبيق)، تأليف: الدكتور عمار جيدل، (ط١، د.س) (٥٨).
[37] سيرة ذاتية (٦٠٧).
[38] يُنظر: النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية (٥٩)
[39] يُنظر: النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية – (٥٩)، وينظر: المكتوبات (٣٤٩).
[40] المكتوبات (٥٩١).
[41] الملاحق تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (دار سوزلر، مصر-القاهرة)(ط٧، س،٢٠١٣م) (١٠٥).
[42] الملاحق (٢٣٣).
[43] النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية (٦٠)
[44] ينظر: النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية (٦١/١).
[45] صيقل الإسلام (٤١٤).
[46] النورسي في رحاب القران، تأليف: أ.د. عشراتي سليمان، جامعة وهران-الجزائر (د.ط، د.س)(٣٥١).
[47] ينظر: النورسي في رحاب القران (٣٥٤).
[48] ينظر: دراسات في مقاصد رسائل النور في ضوء القرآن الكريم، -دراسة تحليلية- تأليف: أ.د. عمّار جيدل، كليّة العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر المركزية (د.ط، د.س) (٢٠١).
[49] ألأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع، تأليف: حسن بن عمر بن عبد الله السيناوني المالكي (المتوفى: بعد ١٣٤٧هـ) (مطبعة النهضة، تونس) (ط١، س، ١٩٢٨م) (٣٨/١).
[50] مجموع الفتاوى (٥٤/٢٠).
[51] الشهود الأواخر (٤٠/١).
[52] الملاحق (٣٧٦).
[53] ينظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٩٣/١).
[54] سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، تأليف: أورخان محمد علي (شركة سوزلر، مصر-القاهرة) (ط٣، س٢٠٠٦) "(٢٦٦-٢٦٧). نقلا عن أسس الوحدة الفكرية عند بديع الزمان سعيد النورسي، تأليف: الدكتور عبد الكريم عكيوي، جامعة ابن زهر-اغادير المغرب (د.ط، د.س)(٧٤).
[55] النورسي في رحاب القران (٣٤٩)
[56] رواه أبو داود بسند حسن بلفظ: "من ظلم معاهدًا أو تنقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس؛ فأنا خصمه يوم القيامة". وتقدم في "من آذى ذميًا". وقال النجم: من آذى ذميًا؛ فأنا خصمه، قلت: أخرجه الخطيب عن ابن مسعود به، وزاد فيه: ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة. كشف الخفاء ومزيل الإلباس، تأليف: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ)، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي (المكتبة العصرية) (ط١، س، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م) (٣١١/٢).
[57] صيقل الاسلام (٣٧٤)
[58] ينظر: النورسي في رحاب القران (٣٥٠)
[59] ينظر: المصدر نفسه (٣٥٠)
[60] المصدر نفسه (٣٥١).

دور الإيمان في تأهيل الشعور بالمسؤولية وتطوير محاسبة النفس

The Role of Belief in Developing a Sense of Responsibility and Self-Questioning

ABSTRACT

Dr. Jamal al-Sa'idi

If the faith stabilizes in the soul, it transforms the human from "a ruiner" to "a worshipper". That is because faith is not only a feeling of heart or conscience, but it is a heart act that reflects its effects on the human in different aspects of his life including worshipping, dealing with others, ethics and behavior regardless of his color, religion, or social situation and even with other creatures surrounding him. Among other fruits of faith and its positive effects on the life of humanity are: it helps giving up sins motivated by faith and religious awareness; contributes to the realization of the meaning of freedom in the need to obey God, and freedom from slavery to other than God since the worshipper feels his desires and pleasures narrowed in himself and conscience; and it also helps confronting the evil-commanding soul and purifying it with faith.

If the soul is left uncontrolled, unquestioned, and without struggle, it tends to rest and inclines to laziness since the faith necessitates some hardship, cost, and deprivation. However, the reality of faith is the opposite; the soul can't feel comfort or tranquility without remembering Allah. So, healing the soul and refining it from despicable worldly perceptions and purifying it from sins require following some steps like: holding firmly to the rope of Allah, following the straight path, acquiring an understanding of the religion and linking knowledge with action because an action without faith and knowledge is useless. Patience is also an essential element for purification and progression which enables the person to purify his soul and refine it in order to ascend to virtues, and ward off from vices.

* * *

الملخص

د. جمال السعيدي[1]

إن الإيمان إذا خالج النفس واستقر فيها يجعل ذلك الإنسان يتحول ويتغير من ''إنسان عابث'' إلى ''إنسان عابد'' إذ الإيمان ليس شعورا قلبيا أو وجدانيا وإنما هو عمل قلبي تنعكس آثاره على ظاهر الإنسان في مختلف جوانب حياته من عبادات ومعاملات وأخلاق وسلوك بغض النظر عن لونه أو دينه أو مركزه الاجتماعي حتى مع سائر المخلوقات المحيطة به، ومن ثمار الإيمان وآثاره الإيجابية في حياة البشرية جمعاء أنها تعين على الإقلاع عن المعاصي بدافع إيماني ووازع ديني، وتساهم في تحقيق معنى الحرية في لزوم طاعة الله، والتحرر من الاستعباد لغير الله؛ حيث إن العابد يحس لشهواته وملذاته بضيق في نفسه ووجدانه، كما أنه يساعد في مخالفة النفس الأمّارة بالسوء وتزكيتها بالإيمان.

إن النفس إذا ما تركت بدون محاسبة ولا مراقبة ولا مجاهدة فإنها عادة ما تميل إلى الراحة، وتركن إلى الكسل لما في الإيمان ومقتضياته من مشقة وتكلّف وحرمان. غير أن الحقيقة الإيمانية عكس ذلك؛ إذ لا راحة للنفس ولا سكينة ولا طمأنينة إلا بذكر الله، ولذلك فإن طريق علاج النفس وتزكيتها وتنقيتها من التصورات الدنيوية الدنيئة، وتطهيرها من المعاصي والذنوب تقتضي تتبع خطوات منها: الاعتصام الدائم بحبل الله القويم، واتباع الصراط المستقيم، والتفقه في الدين وربط العلم بالعمل؛ إذ لا فائدة في عمل بلا اعتقاد وعلم، كما يعتبر الصبر عنصرا أساسيا في التزكية والترقية لكي يتمكن الإنسان من تزكية نفسه وتهذيبها والسمو بها نحو الفضائل، والترفع عن الرذائل.

* * *

يشكل الإيمان أُسّاً أساسيا من أسس الحياة السعيدة، في الدنيا والآخرة. وقد جاءت جميع الرسالات السماوية بدعوة الناس إلى الانطلاق من الإيمان باعتباره هو الكفيل بجعل الحياة الإنسانية والاجتماعية، بل الحياة كلها تعرج إلى معارج السعادة المعنوية والمادية، في كل زمان ومكان.. في الدنيا والآخرة.

وتتأكد هذه الحاجة الماسة إلى الإيمان في كل وقت وحين، كما قال الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي -رحمه الله-: ''الإيمان نور لحياة كل فرد من أفراد ذلك الشخص من جهة كما أنه ضياء للعوالم التي يدخلها. وما 'لا إله إلاّ الله' إلاّ مفتاح يفتح ذلك النور. ثم إن الإنسان تتحكم فيه النفس والهوى والوهم والشيطان وتستغل غفلته وتحتال عليه لتضيق الخناق على إيمانه، حتى تسد عليه منافذ النور الإيماني بنثر الشبهات والأوهام. فضلاً عن أنه لا يخلو عالم الإنسان من كلمات وأعمال منافية لظاهر الشريعة، بل تعد لدى قسم من الأئمة في درجة الكفر. لذا فهناك حاجة إلى تجديد الإيمان في كل وقت، بل في كل ساعة، في كل يوم''.[2]

إن تجربة الأستاذ سعيد الذاتية والواقعية أكسبته الوقوف على مكامن الداء، وهو ما جعله - رحمه الله - يوقن بأن لا علاج للمشاكل المختلفة التي يتخبط فيها الناس، إلا بالرجوع إلى القرآن والإيمان، وهما اللذان أوقف حياته -رحمه الله- من أجل خدمتهما ودعوة المسلمين والناس جميعا لخدمتهما لإنقاذ البشرية من الآلام والضلالات والمفاسد المختلفة، وجعلهم يسمون بأنفسهم ويسعدون في الدنيا والآخرة، سعادة تمتزج فيه أفراح الروح والعقل والنفس والبدن، في بوتقة واحدة، تحقق شمولية السعادة.

وسأحاول أن أتناول في هذا الإطارِ الموضوعَ من خلال العناصر الآتية، في ضوء كليات رسائل النور:

١ - مفهوم الإيمان وحقيقته.

٢ - أهمية الإيمان ودوره في الحياة.

٣ - الحاجة إلى الإيمان لمعالجة المشاكل المختلفة

٤ - من ثمار الإيمان وآثاره في تزكية النفس وتأهيل الإنسان للشعور بالمسؤولية.

مفهوم الإيمان وحقيقته:

من المعلوم من الدين بالضرورة في الإسلام والرسالات السماوية كلها أنّ أساسَ الدين كلِّه قائم على الإيمان؛ ذلك أن الإيمان هو الذي يحرك مشاعر المؤمنين للإقدام على فعل الطاعات والخيرات، والإحجام عن ارتكاب المعاصي والمنكرات.

وقد وفق الله تعالى الأستاذ سعيد النورسي -رحمه الله- إلى أن ينتبه إلى أهمية الإيمان وأنه أولى الأولويات في الإصلاح والتغيير، وإخراج الناس من الأزمات والمشكلات.

وهذا التصور الشمولي هو ما جعل الأستاذ -رحمه الله- يُوقِفُ حياته كلَّها لخدمة القرآن والإيمان، ويرى أن على الناس جميعا أن يسلكوا هذا المسلك: مسلك خدمة القرآن والإيمان للقضاء على كل الآلام التي تعاني منها البشرية في كل زمان ومكان.

وقد أوضح رحمه الله بعبارة موجزة هذه الحقيقة القرآنية والإيمانية بقوله: ''واعلم أن كل الآلام في الضلالة وكل اللذائذ في الإيمان.''[3]

والإيمان في اللغة يطلق على التصديق[4] وقد عرفه العلاّمة الأصفهاني بقوله: ''وآمن يقال على وجهين: أحدهما متعدِّيا بنفسه. يقال آمنته أي جعلت له الأَمْنَ، ومنه قيل لله مؤمنٌ. والثاني غيرُ متعدٍّ ومعناه صار ذا أمنٍ. والإيمانُ يُستعمل تارة اسماً للشريعة التي جاء بها محمد عليه الصلاةُ والسلامُ. وعلى ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾...[المائدة:٦٩] وتارة يستعمل على سبيل المدح ويراد به إذعانُ النّفْس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيقٌ بالقلب، وإقرارٌ باللسان، وعمل بحَسَب ذلك بالجوارح، وعلى هذا قولُه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾''[الحديد:١٩] 5

روى الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ''الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ''.[6]

أورد البخاري هذا الحديث في ''كتاب الإيمان'' لبيان حقيقة الإيمان، وهي أن المسلم إذا دخل الإيمان إلى قلبه نهاه عن إذاية المسلمين بلسانه ويده، وأنه يكون دائما -بفضل هذا الإيمان- بعيدا عن مواطن المعصية، بخلاف الكافر الذي لم يدخل الإيمان قلبه فإنه لا يرقب في الإنسان إلاً ولا ذمة، فما بالك بالمسلم؛ لأنه لا يستشعر عظمة الله وقدرته عليه، لذلك فلا يعظم حرمات الله ومخلوقاته..

إن حلاوة الإيمان -التي يحتاج إليها العالم اليوم أكثر من أي عصر مضى- تقذف في قلب الإنسان حب الله وحب رسوله ﷺ وحب الناس -خاصة المؤمنين منهم- وكراهية الرجوع إلى الكفر والفسوق والمعاصي.

روى البخاري (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ''ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ'').[7]

ونجد في كليات رسائل النور تعريفا للإيمان أبدعه الأستاذ النورسي، وهو ''الإيمان التحقيقي''، الذي جعله في مقابل ''الإيمان التقليدي''. قال رحمه الله: ''لقد قضى أهل الكشف والتحقيق أن الإيمان التحقيقي كلما ارتقى من علم اليقين غالى حق اليقين يستعصي على السلب، فلا يُسلب. وقالوا: إن الشيطان لا يستطيع أن يورث أحداً في سكرات الموت إلاّ إلقاء الشبهات بوساوسه إلى العقل فحسب''.[8]

١. أهمية الإيمان ودوره في الحياة:

لا يمكن للناس الذين تجمعهم على كوكب الأرض مصالح دنيوية أن يحيوا حياتهم بدون الإيمان؛ لأن الله فطرنا على الاستعدادات الإيمانية، التي تحقق

الأمن والأمان، ومن أكثر الملاحظات التي يمكن ملاحظتها أن زماننا هذا كادت أن تنتفي فيه مظاهر الاستقرار والأمن والأمان في شتى مجالات الحياة.

ومما تميز به الأستاذ الكبير سعيد النورسي -رحمه الله- التنبيه المتكرّر والمبكّر على أهمية الإيمان وضرورته لإنقاذ البشرية خاصة أصحاب المدنية الغربية، التي هي في أمس الحاجة إلى الحضارة الإسلامية؛ ذلك أن هذا النداء بالرجوع إلى الإيمان لحل الأزمات والمشكلات كان يدعو الأستاذ إليه بإلحاح منذ زمن بعيد، وكأنه يعيش اليوم معنا واقعنا البئيس والمليء بكثرة الهرج والمرج!!!

ومما قاله الأستاذ رحمه الله بهذا الصدد: ''إن الذي تنتظره الأمة وسيأتي في آخر الزمان، له مهام ثلاثة، وإن أهم وظيفة من هذه الوظائف الثلاث وأعظمها وأجلها هي نشر الإيمان التحقيقي وإنقاذ الإيمان من الضلالة...''[9]

وقد يتساءل الكثير من المسلمين - على وجه الخصوص - ألسنا مؤمنين؟ وجواب الأستاذ -رحمه الله- على هذا السؤال الافتراضي لا يتعلق بالإيمان وإنما يتعلق بجوهر الإيمان، فهو يبين -رحمه الله- ''أن الإيمان التقليدي معرّض لهجمات الشبهات والأوهام. أما الإيمان التحقيقي فهو أوسع منه وأقوى وأمتن وله مراتب كثيرة جدا''.[10]

وعلى هذا الأساس فلا يمكن لأية فكرة أن تحل محل الإيمان، فللإيمان عدة محاسن، أهمها ربط الإنسان بخالقه والانسجام مع المخلوقات في عبوديتها لله، وتحقيق السعادة الشاملة في الحياة، والسمو بهذا الكائن الإنساني إلى مدارج الفضائل، والترفع عن الرذائل.

وكلما ظهرت الأزمات الإنسانية إلاّ وبرزت أهمية الإيمان، هذا الإيمان الذي ثبت في الدين والواقع -على مرّ العصور- أنه صمّام الأمان والسلم والسلام والمحبة والوئام، وأنه يدرأ عن الناس كل ما يجعلهم في تنافس شرس وخصام، والتكالب على ما في الدنيا من حطام.

ولأهمية الإيمان وضرورة اعتماده والرجوع إليه لتدبير شؤون الحياة ، نجد الأستاذ النورسي رحمه الله يدعو -باستمرار- إلى تجديد الإيمان.

قال رحمه الله: ''الإيمان نور لحياة كل فرد من أفراد ذلك الشخص من جهة كما أنه ضياء للعوالم التي يدخلها. وما ''لا إله إلاّ الله'' إلا مفتاح يفتح ذلك النور. ثم إن الإنسان تتحكم فيه النفس والهوى والوهم والشيطان وتستغل غفلته وتحتال عليه لتضيق الخناق على إيمانه، حتى تسد عليه منافذ النور الإيماني بنثر الشبهات والأوهام. فضلاً عن أنه لا يخلو عالم الإنسان من كلمات وأعمال منافية لظاهر الشريعة، بل تعد لدى قسم من الأئمة في درجة الكفر. لذا فهناك حاجة إلى تجديد الإيمان في كل وقت، بل في كل ساعة، في كل يوم...''[11]

ومعلوم في الدين أن القول يكون نابعا من القلب، ولا يكون الإنسان صادقا في إيمانه إلا إذا حوّل الاعتقاد بالقلب والنطق باللسان إلى التطبيق بالعمل، وهذا يعني أن الإيمان في الإسلام لا يفهم إلاّ على أنه علم وقول وعمل.

روى الإمام البخاري (عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ''إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ).[12]

وهذا يعني -في تقديري المتواضع- أن الإخلاص هو الذي يتميّز به العمل لله عن العمل لغير الله. ولا يتحقق الإخلاص إلا بالإيمان، ومحل الإيمان -كما معلوم- في القلب، والجوارح تصدّق القلب أو تكذّبه. ولا يكون العمل مقبولا إلا إذا كان خالصاً لله تعالى.

٢. الحاجة إلى الإيمان لمعالجة المشاكل المختلفة:

اتضح لنا جليا مما سبق أن الناس في حاجة مؤكدة إلى الإيمان، لأنه يتضمن معنى الأمن والأمان، والسلم والسلام مع النفس ومع الغير ومع الكون كله.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإيمان ليس مجرد اعتقاد بالقلب، وتهذيب للنفس، بل إن الإيمان قول وعلم وعمل، كما أن الإيمان لا يقتصر على تهذيب

النفس، بل الإيمان يدفع الإنسان لكي يكون إنسانا صالحا في المجتمع، ويعد عنصرا أساسيا في تنمية المجتمع وحمايته من الرذائل المتنوعة.

ولذلك كان همّ الأستاذ النورسي وغايته -إلى أن قضى نحبه وانتقل إلى جوار ربه راضيا مرضيا- هو أن يتمتع كل الناس: مُؤْمِنُهُمْ وغيرُ مُؤْمِنِهِمْ بالإيمان التحقيقي، وقد أفرد لهذا الموضوع الأساسي في الوجود الكلمة الثالثة والثلاثين من كليات رسائل النور، رغبة منه في تنوير قلب الإنسان وعقله بنور القرآن والإيمان، وإنقاذ حياته من الشقاء والتعاسة والضلالة.

قال رحمه الله: ''هذا المكتوب (الثالث والثلاثون) الذي يضم ثلاثاً وثلاثين نافذة، نسأل الله تعالى أن يكون زاداً لمن لا إيمان له، فيدعوه إلى حظيرة الإيمان... ويشدَّ من إيمان الذي يجد في إيمانه ضعفاً فيقويه... ويجعل الإيمان القوي التقليدي إيماناً تحقيقياً راسخاً... ويوسع من آفاق الإيمان التحقيقي الراسخ... ويهب لمن كان إيمانه واسعاً مدارج الرقي في المعرفة الإلهية التي هي الأساس في الكمال الحقيقي، ويفتح أمامه مشاهد أكثر نورانية وأشدّ سطوعاً''.[13]

كما نبه الأستاذ النورسي رحمه الله إلى مسألة مهمة ترتبط بالإيمان وحقيقته، كثيرا ما يغفل عنها المسلمون، وهي عدم ربط العمل بالإيمان، والاكتفاء بالجانب العملي فقط!

قال رحمه الله: ''ثم إن الإيمان لا يحصل بالعلم وحده، إذ أن هناك لطائف كثيرة للإنسان لها حظها من الإيمان. فكما أن الأكل إذا ما دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى مختلف العروق حسب كل عضو من الأعضاء، كذلك المسائل الإيمانية الآتية عن طريق العلم إذا ما دخلت معدة العقل والفهم، فان كل لطيفة من لطائف الجسم -كالروح والقلب والسر والنفس وأمثالها- تأخذ منها وتمصها حسب درجاتها. فان فقدت لطيفة من اللطائف غذاءها المناسب، فالمعرفة إذن ناقصة مبتورة، وتظل تلك اللطيفة محرومة منها''.[14]

وإذا غاب الإيمان ضاع العمل الصالح، وإذا انعدم العمل الصالح انتفى الإيمان. وبناء على التكامل بين الإيمان والعمل الصالح، يحصل الاطمئنان والسكينة والتوازن. وإذا ما تأملنا في الحضارة الغربية وجدناها تعاني ويعاني معها العالم كلها المفاسد المتنوعة في شتى مجالات الحياة. وقد كان المفكر الكبير الأستاذ سعيد النورسي رحمه الله يقف وقفات مع هذا الموضوع الذي أرّقه، وأخذ من اهتماماته مما جعله يؤكد على ضرورة الرجوع إلى القرآن والإيمان لإنقاذ البشرية من المفاسد والضلالات.

قال -رحمه الله- وهو يصور أهمية الإسلام وحاجة الناس إليه باعتباره يتضمن ركنين أساسين في الحياة وهما: الإيمان والعمل الصالح، اللذان ينتجان الأخلاق الحسنة: ''أجل! إنه لا سعادة لأمة الإسلام إلاّ بتحقيق حقائق الإسلام، وإلاّ فلا، ولا يمكن أن تذوق الأمة السعادة في الدنيا أو تعيش حياة اجتماعية فاضلة إلاّ بتطبيق الشريعة الإسلامية، وإلاّ فلا عدالة قطعاً، ولا أمان مطلقاً. إذ تتغلب عندئذٍ الأخلاق الفاسدة والصفات الذميمة، ويبقى الأمر معلقاً بيد الكذابين والمرائين''.[15]

ويعتبر رحمه الله أن المدنية المعاصرة سببا أساسيا في حدوث الأزمات لتخليها عن الإيمان والعمل الصالح، المتمثل في الأخلاق الحسنة. وقد صدق حينما وصف المدنية بأنها ''الدنية'' وهذا كلامه: ''إن كانت غايتكم من سَوق المؤمنين قسراً إلى المدنية التي هي الدنيّة (أي بلا ميم) تسهيلاً لإدارة دفة النظام وبسط الأمن في ربوع المملكة، فاعلموا جيداً أنكم على خطأ جسيم، إذ تسوقون الأمة إلى هاوية طريق فاسد. لأن إدارة مائة من الفاسقين الفاسدين أخلاقيا والمرتابين في اعتقادهم وإيمانهم، وجعل الأمن والنظام يسود فيما بينهم لهو أصعبُ بكثير من إدارة ألوف من الصالحين المتقين ونشر الأمن فيما بينهم''.[16]

كما يعتبر الأستاذ رحمه الله ''ان المدنية الحاضرة الغربية، لسلوكها طريقاً مناقضاً لأسس دساتير السماء وقيامها بمناهضتها، فقد طفح كيلُ سيئاتها على حسناتها وثقلت كفةُ أضرارها على فوائدها. فلقد اضطرب أمنُ الناس واطمئنانهم، وأُقلقوا وأَسِنت سعادتُهم الحقيقية فاختل ما هو مطلوب من المدنية

ومقصود منها. حيث قد حلّت بسببها نوازع الإسراف والسفاهة محل بوادر الاقتصاد والقناعة، واستُمرئتْ ميولُ الكسل والدعة وهجرت مراعى السعي والعمل. ولقد ألبست -هذه المدنية- البشرية المضطربة لباس الفقر المدقع وكستها أثواب الكسل والتقاعس الرهيب''.[17]

إن الإيمان إذا خالج النفس واستقر فيها تحول الإنسان وتغير من ''إنسان عابث'' إلى ''إنسان عابد'' إذ الإيمان ليس شعورا قلبيا أو وجدانيا وغنما هو عمل قلبي تنعكس آثاره على ظاهر الإنسان في مختلف جوانب حياته من عبادات ومعاملات وأخلاق وسلوك مع الإنسان بغض النظر عن لونه أو دينه أو مركزه الاجتماعي وهكذا مع سائر المخلوقات المحيطة بالإنسان.

وهذا كله يستلزم وجوباً المسارعة إلى إسداء النصيحة، وتبادل التناصح فيما بيننا، وفي هذا يروي الإمام البخاري (عن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ يَوْمَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَامَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَمِيرٌ فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمْ الْآنَ ثُمَّ قَالَ اسْتَعْفُوا لِأَمِيرِكُمْ فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْعَفْوَ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قُلْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَشَرَطَ عَلَيَّ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا وَرَبِّ هَذَا الْمَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ).[18]

فما هي آثار الإيمان وثماره التي تنعكس على الإنسان في رسائل النور؟ هذا ما سأحاول بسط الكلام فيه.

٣. من ثمار الإيمان وآثاره في تزكية النفس وتأهيل الإنسان للشعور بالمسؤولية:

قال الأستاذ النورسي -رحمه الله-: ''فلله الحمد والمنة، إن موازين رسائل النور قد بينت ثمرات الدين الإسلامي وحقائق القرآن ونتائجهما بياناً شافياً وافياً -بفيض الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم- بحيث لو فهمها حتى من لا دين له لا يمكن أن يكون غير موالٍ لها. وقد أظهرت هذه الرسائل دلائل الإيمان والإسلام وبراهينهما كذلك قوية راسخة بحيث لو فهمها غير المسلم يصدّق بها لا محالة، ويؤمن بها رغم بقائه على غير الإسلام. نعم، إن 'الكلمات' قد وضّحت ثمار

الإيمان والإسلام توضيحاً جميلاً حلواً، كجمال ثمار طوبى الجنة ولذتها، وأوضحت نتائجهما اليانعة الطيبة كأطايب سعادة الدارين، حتى أنها تمنح كل من رآها واطلع عليها وعرفها شعور الولاء والانحياز".[19]

ومن ثمار الإيمان وآثاره الإيجابية في حياة البشرية جمعاء أنها تعين على:

١ / الإقلاع عن المعاصي بدافع إيماني ووازع ديني، وإلا إذا غاب الإيمان فمن يملك منع العاصي من ارتكاب معصيته، خصوصا أن المعاصي -اليوم- أصبحت شائعة أكثر من ذي قبل وبوسائل وأساليب أكثر خبثا وانتشارا وتزيينا لها.

وفي هذا الشأن يقول الأستاذ سعيد النورسي: "إن السارق فينا في اللحظة التي يمد يده للسرقة يتذكر إجراء الحدّ الشرعي عليه، ويخطر بباله انه أمر الهي نازل من العرش الأعظم، فكأنه يسمع بخاصية الإيمان بأذن قلبه ويشعر حقيقةً بالكلام الأزلي الذي يقول: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا﴾.[المائدة:٣٨] فيهيج عنده ما يحمله من إيمان وعقيدة، وتثار مشاعره النبيلة، فتحصل له حالة روحية أشبه ما يكون بهجوم يُشن من أطراف الوجدان وأعماقه على ميل السرقة، فيتشتت ذلك الميل الناشئ من النفس الأمارة بالسوء والهوى، وينسحب وينكمش، وهكذا بتوالي التذكير هذا يزول ذلك الميل إلى السرقة، إذ الذي يهاجم ذلك الميل ليس الوهم والفكر وحدهما وإنما قوى معنوية من عقل وقلب ووجدان، كلها تهاجم دفعة واحدة ذلك الميل والهوى فبتذكر الحد الشرعي يقف تجاه ذلك الميل زجرٌ سماوي ورادع وجداني فيسكتانه"[20]

٢ / تحقيق معنى الحرية في لزوم طاعة الله، والتحرر من الاستعباد لغير الله. وهذه مسالة جوهرية في حياة الإنسان قليل من ينتبه غليها، بحيث إنه يحس العابد لشهواته وملذاته بضيق في نفسه ووجدانه، ولا يتذوق معنى الإحساس بالحرية، وقد جاءت الشرائع السماوية من أجل تحرير هذا الإنسان الذي بيّن له الله تعالى أن مخلوق لعبادته وحده بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.[الذاريات:٥٦]

وإذا قلبنا كثيرا من صفحات رسائل النور على مؤلفها الأستاذ سعيد النورسي رحمات الله وجدناه أنه كان يكثر من النداء بالرجوع إلى القرآن والإيمان وإفناء الأعمار في سبيل خدمتهما من جهة وللتحرر من غير الله للحصول على ثمار الحرية في ملكوت الله. ومما قاله في هذا الصدد: ''ان الشريعة الغراء باقية إلى الأبد؛ لأنها آتية من الكلام الأزلي وان النجاة والخلاص من تحكم النفس الأمارة بالسوء بنا هي بالاعتماد على الإسلام والاستناد إليه والتمسك بحبل الله المتين. وان جني فوائد الحرية الحقة والاستفادة منها استفادة كاملة منوط بالاستمداد من الإيمان؛ ذلك لأن من أراد العبودية الخالصة لرب العالمين لا ينبغي له أن يذلّ نفسه فيكون عبداً للعبيد.وحيث أن كل إنسان راعٍ في مُلكه وعالَمه فهو مكلّف بالجهاد الأكبر في عالمه الأصغر ومأمور بالتخلّق بأخلاق النبي ﷺ وإحياء سنته الشريفة''.[21]

٣ / تقوية الحرية لدى صاحب الإيمان، لأن الأصل في الإنسان أن يحيا حياة حرة في إطار عبوديته الخالصة لخالقه وهو الله تبارك وتعالى، وإلا انقلبت الحرية إلى فوضى وإفساد في الأرض.

قال الأستاذ -رحمه الله-: ''المؤمن حرّ في ذاته. فالذي هو عبد لله رب العالمين لا ينبغي له أن يتذلل للناس، بمعنى: كلما رسخ الإيمان قويت الحرية. أما الحرية المطلقة فما هي إلا الوحشية المطلقة بل بهيمية، وتحديد الحرية ضروري من وجهة نظر الإنسانية''.[22]

٤ / تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة. وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على ذلك، من ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾النحل:٩٧ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.﴾يونس:٩-١٠

ومن حرم السعادة غشيته الشقاوة في الدنيا والاخرة وفي هذا يقول تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ

هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۞ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ۞ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ۞ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى.﴾ طه:٢٣-٢٧

ونظرا لأهمية هذه الحقيقة التي ضاعت حتى عند بعض أهل الإيمان الذين كانوا ينفِّرون أهل الكفر من الإيمان بسبب عدم ربط أعمالهم بالإيمان، لأهمية ذلك يقول الأستاذ -رحمه الله-: ''ولو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق الإيمان، لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجاً. بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام''.[23]

مع العلم أن للإيمان ثماراً وهي أن صاحب الإيمان يكون في سعادة، فلماذا يحرم نفسه من السعادة وتبعا لذلك يكون سببا لحرمان غيره من السعادة أيضاً، وهي ما عبر عنها بـ ''الجنة المعنوية'' وهذا كلامه:

''إن في الإيمان حقّاً جنة معنوية، وان في الضلال جحيماً معنوياً أيضا في هذه الدنيا ذاتها''.[24]

٥ / محالفة النفس الأمّارة بالسوء وتزكيتها بالإيمان.

إن النفس إذا ما تركت بدون محاسبة ولا مراقبة ولا مجاهدة فإنها عادة ما تميل إلى الراحة، وتركن إلى الكسل لما في الإيمان ومقتضياته -ظاهريا- من مشقة وتكلّف وحرمان. غير أن الحقيقة الإيمانية عكس ذلك؛ إذ لا راحة للنفس ولا سكينة ولا طمأنينة إلا بذكر الله، ولا سعادة إلاّ في اللجوء إلى ذكر الله باستمرار لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾. الرعد:٢٨

وقد حدد الله تعالى في القرآن الكريم أوصافاً ثلاثة للنفس، وبيّن لنا كيف نتغلب على تقلباتها لتطويعها وجعلها نفسا زكية، نسمو بها ونرتقي إلى الأعلى.

فالصفة الأولى: هي النفس المطمئنة، وهي نفس المؤمن الصالح. قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾. الفجر:٢٧-٣٠

والصفة الثانية: هي النفس اللّوامة، وهي النفس التي تلوم صاحبها على عدم فعل الطاعة إن كان المقام يقتضي الفعل، كما تلومه على عدم ترك المعصية. قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾. القيامة:١-٢

أورد الإمام القرطبي في تفسيره كلام الفرّاء في بيان النفس اللوامة بقوله: ''ليس من نفس محسنة أو مسيئة إلاّ وهي تلوم نفسها؛ فالمحسن يلوم نفسه أن لو كان ازداد إحساناً، والمسيء يلوم نفسه ألاّ يكون ارعوى عن إساءته''[25]

أما الصفة الثالثة: فهي النفس الأمّارة بالسوء، وهي التي تزيّن لصاحبها المعاصي وتدفعه إلى الانغماس فيها، وتكرّه له الطاعات وتمنعه من القيام بها. قال تعال قال تعالى عن هذه النفس الخبيثة في معرض قصة امرأة العزيز حينما راودت يوسف عليه السلام عن نفسه ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. يوسف:٥٣

وللأستاذ سعيد النورسي -رحمه الله- في بيان سلبيات النفس الأمارة السوء، وكيف ينبغي لنا أن نقوم بإلجامها وقمعها ومنعها من أن تسوقنا نحو الهاوية والشقاء في الدارين: الدنيا والآخرة، للأستاذ كلام معبّر عن هذه الحقيقة التي يجهلها كثير من الناس. قال -رحمه الله-: ''أما حكمة القرآن الكريم، فهي تقبل 'الحق' نقطة استناد في الحياة الاجتماعية، بدلاً من 'القوة'... وتجعل 'رضى الله سبحانه' ونيل الفضائل هو الغاية، بدلاً من 'المنفعة'... وتتخذ دستور 'التعاون' أساساً في الحياة، بدلاً من دستور 'الصراع'... وتلتزم برابطة 'الدين' والصنف والوطن لربط فئات الجماعات بدلاً من العنصرية والقومية السلبية... وتجعل غاياتها الحد من تجاوز النفس الأمارة ودفع الروح إلى معالي الأمور، وإشباع مشاعرها السامية لسوق الإنسان نحو الكمال والمثل الإنسانية.

إن شأن 'الحق' هو 'الاتفاق'... وشأن 'الفضيلة' هو 'التساند'... وشأن دستور 'التعاون' هو 'إغاثة كل للآخر'... وشأن 'الدين' هو 'الأخوة والتكاتف'... وشأن 'إلجام النفس' وكبح جماحها وإطلاق الروح وحثها نحو الكمال هو 'سعادة الدارين'..."[26]

ويرى الأستاذ رحمه الله كذلك "أن النفس الأمارة بإمكانها اقتراف جنايةٍ لا نهاية لها في جهة الشر والتخريب، أما في الخير والإيجاد فان طاقتها محدودة وجزئية؛ إذ الإنسان يستطيع هدمَ بيتٍ في يوم واحد إلا أنه لا يستطيع أن يشيّده في مائة يوم. أما إذا تخلى الإنسان عن الأنانية، وطلب الخير والوجود من التوفيق الإلهي وأرجَعَ الامرَ إليه، وابتعد عن الشر والتخريب، وترك اتباعَ هوى النفس. فاكتمل عبداً لله تعالى تائباً مستغفراً، ذاكراً له سبحانه. فسيكون مَظهراً للآية الكريمة: ﴿يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾الفرقان:٧٠ فتنقلب القابلية العظمى عندَه للشر إلى قابلية عظمى للخير. ويكتسب قيمة "أحسن تقويم" فيحلق عالياً إلى أعلى عليين"[27]

ولكي نتلمّس طريق علاج النفس وتزكيتها وتنقيتها من التصورات الدنيوية الدنيئة، وتطهيرها من المعاصي والذنوب أرى أن نتبع الخطوات التالية، وهي:

أوّلاً: الاعتصام الدائم بحبل الله القويم، واتباع الصراط المستقيم، ومصداق ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾. النساء:١٧٤-١٧٥

وقوله سبحانه: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾آل عمران:١٠١

ثانياً: التفقه في الدين، وذلك بالتعرف على المعلوم من الدين بالضرورة، ويشمل ذلك أصول الدين وأركان الإسلام والأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات والأخلاق. ويمكن اعتبار الجهل بهذه الأمور الأساسية -التي يبنى عليها الدين كلّه- مسلكا وعراً يؤدي لا محالة إلى إيقاع النفس في المعاصي

والفتن وقد تنهي بالإنسان على الابتعاد عن الله ورحمته، واستحقاق نقمته في الدارين.

ثالثاً: ربط العلم بالعمل، إذ لا فائدة من اعتقاد وعلم دون عمل. وقد أكّد القرآن الكريم والسنة النبوية الجمع بين الإيمان والعمل الصالح، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.العصر:١-٣

إن العمل الصالح المقرون بالإيمان يثمر تقوى الله بتجنّب المعاصي والاستغفار منها عند اقترافها وبعدها، لذلك نجد الله تعالى يكثر من الأمر بملازمة التقوى في كل قول أو عمل، من ذلك قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.الأنفال:٢٩

فالنفس كلما كانت متصلة بالله، وفّقها الله إلى الخير والعمل الصالح، وعصمها من الوقوع في الشر والعمل الطالح.

رابعا: المواظبة على إقامة الصلاة والمحافظة عليها لأنها طريق الفلاح والنجاح والفوز برضا الله وما أعده الله للمحافظين على الصلاة. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۞ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۞ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾المؤمنون:١-١١

وإذا تأمّلنا في مظاهر العبادة نجد أن الله شرع لنا الصلاة خمس مرات في كل يوم وليلة، باعتبارها أعظم مظهر من مظاهر عبادة لله. ومن كان هذا حالُه مع الله، فلا يكون إلاّ إنساناً سعيداً وساعياً إلى حب الخير لنفسه ولغيره، ومحسنا إلى نفسه وغيره.

ذلك ''أن الصلاة بذاتها راحة كبرى للروح والقلب والعقل معاً. فضلاً عن أنها ليست عملاً مرهقاً للجسد. وفوق ذلك فإن سائر أعمال المصلّي الدنيوية المباحة ستكون له بمثابة عبادة الله، وذلك بالنّيّة الصالحة..فيستطيع أن يحوّل المصلّي جميع رأس مال عمره إلى الآخرة، فيكسب عمراً خالداً بعمره الفاني''[28]

ويؤكد الأستاذ -رحمه الله- أهمية الصلاة، لأنها أهم عمل يقوم به الإنسان تجاه الخالق الذي خلق الإنسان لعبادته، يؤكد ذلك بقوله: ''ثم إن فطرة الإنسان وما أودع الله فيه من أجهزة معنوية تدلاّن على أنه مخلوق للعبادة؛ لأن ما أُودع فيه من قدرات وما يؤديه من عمل لحياته الدنيا لا تبلغه مرتبة أدنى عصفور - الذي يتمتع بالحياة أكثر منه وأفضل- بينما يكون الإنسان سلطان الكائنات وسيد المخلوقات من حيث حياته المعنوية والأخروية بما أودع الله فيه من علم به وافتقار إليه وقيام بعبادته''.[29]

خامساً: تعاهد تلاوة القرآن الكريم مع تدبر آياته لأن ذلك مما يعين على تزكية النفس وتقويم اعوجاجها بالتأمل في أوامره لامتثالها، والتفكر في نواهيه لاجتنابها.

ومن الآيات التي ورد فيها الأمر بتعاهد القرآن الكريم، وتدبره قوله سبحانه: ''وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ۞ نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۞ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ۞ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۞ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءاً وَأَقْوَمُ قِيلاً ۞ إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً ۞ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً.﴾''المزمل:١-٨

إن هذه الآيات الكريمة تبين لنا أن أفضل وقت لتلاوة القرآن هو أثناء قراءة الورد اليومي، الذي أقله حزبان (أي ما يعادل جزءاً واحداً) أو أثناء الصلاة، خصوصا صلاة النوافل. وإن أفضل هيئة لقراءة القرآن بصفة منتظمة هو أثناء قيام الليل حيث يكون الإنسان في سكينة وتفرغ من المشاغل والمشاكل التي عادة ما تكون في النهار. كل هذا يعين على حسن التدبر والتأمل الذي ورد الأمر به في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.محمد:٢٤

قال الإمام البخاري: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ''إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ'').[30]

وقال كذلك: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ''تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِن الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا'').[31]

سادساً: التأمّل في المصير بعد الموت، ومفارقة الدنيا. كثيرا ما لا يلقي الإنسان بالاً لما بعد الموت، فيبقى سجينا لتلبية رغبات نفسه قبل الموت، مع العلم أن الإنسان سيحاسب على حياته كلها؛ ذلك أن الإنسان لم يخلق للدنيا وإنما خلق للآخرة، فالدنيا -كما هو مقرر في الدين- دار عمل والآخرة دار جزاء.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾. الإنشقاق:٦

وقال سبحانه: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾. البقرة:٢٨١

قال الإمام البخاري: (حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ غُدْوَةً وَعَشِيًّا إِمَّا النَّارُ وَإِمَّا الْجَنَّةُ فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى تُبْعَثَ إِلَيْهِ.'')[32]

سابعاً: اختيار الرفقة الصالحة، ذلك أن الناس يتأثرون بجلسائهم، بسبب مرافقتهم ومصاحبتهم لمدة طويلة، فالنفس -كما هو معلوم- مطبوعة على التقليد والاتباع، خصوصا عندما لا تكون لديها مناعة أو حصانة لتمييز ما ينبغي قوله وفعله وبين ما لا ينبغي قوله أو فعله.

إن الإنسان يحتاج أن يكون ذا نفس زكية بفعل ما يزكّيها، وترك ما يدسّيها. وكثير من الناس من لا يعتبر أن المسؤولية هنا تقع على الإنسان نفسه قبل غيره؛

لأن الله أعطى لكل إنسان العقل ليميز به، ويفحص الأشياء قبل الإقدام على فعلها أو تركها.

وفي هذا يقول الحق سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾. الشمس:٧-١٠

نجد أن الإنسان المقلد الذي لم يحسن اختيار الأصحاب في الدنيا يأتي يوم القيامة نادما، وهو يلوم الأخلاء والرفقاء الذين أضلوه وأبعدوه عن طريق القرآن والإيمان.

وقد سجل الله تعالى هذه المشاهد في كثير من المواضع في القرآن، أذكر بعض النماذج منها.

قال سبحانه: ﴿وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ۞ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. إبراهيم:٢١-٢٢

وقال عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ۞ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً ۞ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً﴾. الفرقان:٢٧-٢٩

وإن الندم لا ينفع، لأن الندم يكون في الدنيا قبل الموت، أم الآخرة فقد جعلها الله تعالى دار جزاء، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۞ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۞ وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. المنافقون:٩-١١

قال الإمام البخاري: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ''مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً'')[33]

ثامناً: بقي أن أقرر أمرا آخر ذا أهمية بالغة، وهو لكي يتمكن الإنسان من تزكية نفسه وتهذيبها والسمو بها نحو الفضائل، والترفع عن الرذائل، فلابد من إحاطة كل ذلك بالصبر، فالصبر عنصر أساسي في التزكية والترقية. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:٢٠٠] والآيات في الصبر كثيرة جدا.

قال الإمام البخاري: (حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّ أُنَاسًا مِنْ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَسْأَلْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا أَعْطَاهُ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ نَفِدَ كُلُّ شَيْءٍ أَنْفَقَ بِيَدَيْهِ ''مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ لَا أَدَّخِرْهُ عَنْكُمْ وَإِنَّهُ مَنْ يَسْتَعِفَّ يُعِفَّهُ اللهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ'').[34]

والأحاديث النبوية في موضوع الصبر وبيان فضله أكثر من أن تحصى.

خاتمة البحث

وأودّ في ختام هذا البحث أن أورد كلام الأستاذ النورسي -رحمه الله- وهو كلام نفيس، يمكن أن نلخص به كل ما سبق أن قلناه وبيناه، يقول: ''إن دروس الإيمان التحقيقي، مع توجيهها الأنظار إلى الآخرة، تُعلّم أن الدنيا مزرعةٌ للآخرة وسوقٌ ومعملٌ لها، وتدفع إلى السعي الحثيث في الحياة الدنيا، ثم إنها تُكسب القوة المعنوية المنهارة في غياب الإيمان قوةً، وتسوق اليائسين الساقطين في العطالة واللامبالاة إلى الشوق والهمة وتحثهم إلى السعي والعمل. فهل يرضى الذين يريدون أن يحيوا في هذه الدنيا بوجود قانون يمنع دروس الإيمان

التحقيقي الذي يضمن لذة الحياة الدنيوية والشوق للعمل والقوة المعنوية للصمود بوجه مصائب الدنيا الكثيرة، وهل يمكن أن يوجد قانون مثل هذا؟"[35]

كما يقول كذلك: "إن حقائق الشريعة التي هي قوانين دقيقة عميقة جارية في فطرة العالم، كم حافظت على موازنة قوانين الفطرة وروابط الاجتماعيات التي بدقتها لا تتراءى لعقول أولئك القوم!! نعم! إن المحافظة على حقائق الشريعة، في هذه الأعصار المديدة، مع تلك المصادمات العظيمة بل انكشافها أكثر، يدل على أن مسلك الرسول الكريم ﷺ مؤسس على الحق الذي لا يزول... فاستمع بذهن متفتح واسع يملك قوة في المحاكمة العقلية ودقة في الملاحظة، إلى ما يأتي:إن محمداً الهاشمي ﷺ مع أنه أمي لم يقرأ ولم يكتب، ومع عدم قوته الظاهرية وعدم ميله إلى تحكم وسلطنة... قد تشبث بقلبه -بوثوق واطمئنان، في موقع في غاية الخطر وفي مقام مهم- بأمر عظيم، فغلب على الأفكار، وتحبب إلى الأرواح، وتسلط على الطبائع وقلع من أعماق قلوبهم العادات والأخلاق الوحشية المألوفة الراسخة المستمرة الكثيرة. ثم غرس في موضعها في غاية الإحكام والقوة -كأنها اختلطت بلحمهم ودمهم- أخلاقا عالية وعادات حسنة... وقد بدّل قساوة قلوب قوم خامدين في زوايا الوحشة بحسيات رقيقة واظهر جوهر إنسانيتهم، ثم أخرجهم من زوايا النسيان ورقى بهم إلى أوج المدنية وصيّرهم معلمي عالمهم، وأسس لهم دولة عظيمة في زمن قليل. فأصبحت كالشعلة الجوالة والنور النوار بل كعصا موسى تبتلع سائر الدول وتمحوها. فأظهر صدقه ونبوته وتمسكه بالحق إلى كل مَن لم تعم بصيرته".[36]

وهذا لا يعني التخلي عن كل ما هو إنساني، والاكتفاء بكل ما هو ربّاني، بل الحكمة تقتضي الاستناد إلى كل ما هو رباني ثبتت ربانيته من القرآن الكريم، ومما صحت نسبته إلى الرسول الرحيم ﷺ، وكل ما أجمعت عليه الأمة الإسلامية، ثم الاستفادة من كل ما هو إنساني شريطة ألا يتعارض مع الوحي الإلهي والفطرة السليمة والعقول المستقيمة، خصوصا ما يرد علينا من المدنية الغربية، التي نحتاج إلى الاستفادة مما عندها من محاسن.

وقد قال الأستاذ النورسي رحمه الله معلّقاً على من يذمّ المدنية الغربية دون تمحيص ولا تمييز بين ما فيها من منافع ومحاسن من جهة، وما فيها من مضار ومساوئ من جهة ثانية. قال رحمه الله: ''إن قصدنا من المدنية هو محاسنها وجوانبها النافعة للبشرية، وليس ذنوبها''.[37]

* * *

المصادر والمراجع

(مرتبة حسب حروف المعجم. اعتمدت في الترتيب على لقب المؤلف مع إسقاط ''ال'' و ''ابن'')

١- العلامة الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت لبنان، بدون تاريخ.

٢- الإمام أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، دار الفكر، بدون تاريخ، بيروت - لبنان

٣- الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، بيروت - لبنان.

٤- العلامة ابن منظور، لسان العرب (مستخرج من الشبكة العنكبوتية)

٥- الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي: (تم اعتماد جمع المادة العلمية من قرص مدمج يتضمن كليات رسائل النور الآتية):

١. كليات رسائل النور (١) الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصّالحي،

٢. كليات رسائل النور (٢) المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصّالحي،

٣. كليات رسائل النور (٥) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي،

٤. كليات رسائل النور(٧) الملاحق - ملحق أميرداغ/١، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،

٥. كليات رسائل النور(٧) ملحق أميرداغ/ ٢، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،

٦. كليات رسائل النور(٧) الملاحق في فقه دعوة النور، ملحق قسطموني، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،

٧. كليات رسائل النور (٨) صيقل الإسلام/الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،

٨. كليات رسائل النور (٩) سيرة ذاتية، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي.

* * *

الهوامش:

[1] أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة الدراسات الإسلامية - جامعة محمد الخامس، أكدال - الرباط / المملكة المغربية.

[2] الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور (٢) ترجمة إحسان قاسم الصّالحي، المكتوبات، المكتوب٢٦، ص: ٤٢٨.

[3] الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي كليات رسائل النور (٥) إشارات الإعجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، ص: ٣٧.

[4] انظر ابن منظور لسان العرب، مادة ''أمن''.

[5] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة ''أمن'' ص: ٢٢ و٢٣ - بتصرف طفيف - تحقيق نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت لبنان، بدون تاريخ.

[6] الإمام البخاري، الجامع الصحيح، ١١/١- كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، دار الفكر، بدون تاريخ، بيروت – لبنان.

[7] الإمام البخاري، الجامع الصحيح، ١٢/١ - كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، دار الفكر، بدون تاريخ، بيروت – لبنان.

[8] الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي،كليات رسائل النور(٧) الملاحق في فقه دعوة النور، ملحق قسطموني، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص: ١١٠.

[9] الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور(٧) الملاحق في فقه دعوة النور، ملحق قسطموني، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص: ١٩٥.

[10] كليات رسائل النور(٧) الملاحق - ملحق أميرداغ/١، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص: ٢٧٨.

[11] الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي،كليات رسائل النور(٢) المكتوبات، المكتوب ٢٦، ترجمة إحسان قاسم الصّالحي، ٤٢٨.

[12] الإمام البخاري، الجامع الصحيح، ١/ ٦ - باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، دار الفكر، بدون تاريخ، بيروت – لبنان.

[13] الأستاذ سعيد النّورسي،كليات رسائل النور (١) الكلمات، الكلمة الثالثة والثلاثون، ترجمة إحسان قاسم الصّالحي، ص: ٨٣٣.

[14] كليات رسائل النور٢ المكتوبات، المكتوب ٢٦ - ترجمة إحسان قاسم الصّالحي، ص: ٤٢٦.

[15] بديع الزمان سعيد النّورسي،كليات رسائل النور (٨) صيقل الإسلام/الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص: ٥٢١.

[16] نفس المرجع والصفحة.

[17] بديع الزمان سعيد النّورسي، كليات رسائل النور(٧) ملحق أميرداغ ٢ ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص: ٣٧٧.

[18] الإمام البخاري، الجامع الصحيح، ١/ ٢٠ - كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة...، دار الفكر، بدون تاريخ، بيروت – لبنان.

قال رحمه الله: ''هذه الكلمة هي '' الكلمة الثالثة والثلاثون ''من جهة، وهي'' المكتوب الثالث والثلاثون'' من جهة أخرى''.

[19] كليات رسائل النور٢ المكتوبات، المكتوب التاسع - ترجمة إحسان قاسم الصّالحي، ص: ٤٢.

[20] بديع الزمان سعيد النّورسي،كليات رسائل النور (٨)، صيقل الإسلام/الخطبة الشامية - ص: ٥٢٢.

[21] بديع الزمان سعيد النّورسي،كليات رسائل النور (٨)، صيقل الإسلام/الخطبة الشامية – ص: ٥٣١.
[22] الأستاذ بديع الزمان سعيد النّورسي،كليات رسائل النور (٨)، صيقل الإسلام/الخطبة الشامية – ص: ٥٣٥.
[23] الأستاذ بديع الزمان سعيد النّورسي،كليات رسائل النور (٨)، صيقل الإسلام/الخطبة الشامية – ص: ٤٩٤.
[24] نفس المرجع، ص: ٤٨٦.
[25] الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ٣٢٠١، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، بيروت – لبنان. (نظرا لتعدد الطبعات واختلافها، يرجى الرجوع إلى تفسير سورة القيامة مباشرة).
[26] الأستاذ بديع الزمان سعيد النّورسي، كليات رسائل النور (١) الكلمات/الكلمة ١٢، ص: ١٤٥-١٤٦، ترجمة إحسان قاسم الصّالحي.
[27] الأستاذ بديع الزمان سعيد النّورسي، كليات رسائل النور (١) الكلمات/الكلمة ٢٣ص: ٣٦١ ترجمة إحسان قاسم الصالحي.
[28] الأستاذ بديع الزمان سعيد النّورسي، كليات رسائل النور (١) الكلمات، الكلمة الرابعة، ص: ١٧.
[29] الأستاذ بديع الزمان سعيد النّورسي،كليات رسائل النور (١) الكلمات، الكلمة الخامسة، ص: ٢٠ إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي.
[30] الإمام البخاري، الجامع الصحيح، ٢٣٣/٣ – كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده، دار الفكر، بدون تاريخ، بيروت – لبنان.
[31] الإمام البخاري، الجامع الصحيح، ٢٣٣/٣ – كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده، دار الفكر، بدون تاريخ، بيروت – لبنان.
[32] الإمام البخاري، الجامع الصحيح، ١٣١/٤ – باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب سكرات الموت، دار الفكر، بدون تاريخ، بيروت-لبنان.
[33] الإمام البخاري، الجامع الصحيح، ٣١٤/٣ – كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، دار الفكر، بدون تاريخ، بيروت – لبنان.
[34] الإمام البخاري، الجامع الصحيح، ١٢٤/٤-١٢٥، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب الصبر عن المحارم، دار الفكر، بدون تاريخ، بيروت – لبنان.
[35] الأستاذ سعيد النّورسي،كليات رسائل النور (٩) سيرة ذاتية، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي ص: ٢٦٦-٢٦٦-٢٦٧.
[36] الأستاذ بديع الزمان سعيد النّورسي،كليات رسائل النور (٨)، صيقل الإسلام/ محاكمات – ص: ١٤٨ (بتصرف طفيف).
[37] الأستاذ بديع الزمان سعيد النّورسي،كليات رسائل النور (٨)، صيقل الإسلام / الخطبة الشامية، ص: ٥٠٠

مقولة الإنسان عند العرفاء، جلال الدين الرومي أنموذجا

The Term, the Human Being, according to the Sages; Jalal al-Din al-Rumi as an Example

ABSTRACT

Nasruddin bin Sarai

The purpose of this paper is to highlight the important aspects of the history of Islamic moral and religious thought. The model of this vision was the sage Jalaluddin Rumi, who dealt with important dimensions of human development through this vision. In his moral poems, he described the qualities of the ideal human being he wants; that good man who is beneficial wherever he goes. He also focused on the importance of the inner dimension in the composition of man, so that man could reach the role of humanity that he wants, which is the humanity of the human.

Keywords: Rumi, man, sage, morals, spirituality.

* * *

الملخص

نصر الدين بن سراي[1]

تهدف هذه الورقة إلى إبراز الجوانب المهمة في تاريخ الفكر الأخلاقي والعرفاني الإسلامي، وكان نموذج هذا التصور هو العارف جلال الدين الرومي، الذي تناول في مدونته أبعاد مهمة التي تتعلق ببناء الإنسان من خلال تلك الرؤية، حيث بيّن في مدونته الأخلاقية عن الجوانب التي يريد أن يتصف بها الإنسان الذي أراده؛ ذلك الإنسان الصالح الذي حيثما حل نفع، مركزاً على أهمية البعد الجواني في صناعة الإنسان وتكوينه، حتى يبلغ دور الإنسانية التي يريدها، وهي إنسانية الإنسان.

الكلمات المفتاحية: الرومي، الإنسان، العرفان، الأخلاق، الروحاني.

* * *

مقدمة

بدأت الفلسفات المعاصرة تعيد الاعتبار للإنسان بعد أن كان مركز الكون، ثم أزيحت مركزيته، ليصير شيئا مثل باقي الأشياء الموجودة في هذا العالم، ثم ما لبثت -هذه الفلسفات خاصة مدرسة فرانكفورت- تنتقد هذه الشيئية وهي نظرة ضيقة لهذا العالم الصغير الكبير، إذ يقول فيه الحكماء:

وتحسب أنّك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأعظمُ

وكان موقف العالم الإسلامي المتأثر بما ينتجه الآخر في عالم الأفكار عبارة عن مرآة عاكسة؛ تحاكي كل ما يدور في عالم الفكر عند الآخر، ولو التفتنا إلى أدبياتنا الإسلامية لوجدنا مفهوماً آخر للإنسان الذي تنشده الحضارات العالمية اليوم، على خلاف ذلك تماماً، ولما تحدثنا عن إنسانية الإنسان المستلبة في الحضارة الغربية، والتي انتقلت عدواها إلى عالمنا الإسلامي تأثراً بكون المغلوب مولعاً بتقليد الغالب في غالب الأحيان. حيث استلب هناك في الحضارة الغربية، واغتصبت روحه لصالح المادة المفرطة والمجحفة.

لذا حاولت في هذه الورقة أن نشرح محاولة العرفاء إصلاح الإنسان، وهي الطرق التي انتهجوها إلى لفت النظر إلى الجوهر الروحاني الإنساني، وبأي معنى أن نتحدث عن الإنسان بشقيه الروحي والمادي؟ وكيف للعرفان أن يقدم لنا نظرة تكاملية في رؤية الإنسان، ووفق أي تصور يحدد للإنسان معالمه الإنسانية، وآثاره وقيمته ووظيفته في هذا العالم، خاصة في ظل الأزمة الروحانية التي تبنتها الرؤى الفلسفية المعاصرة.

١/ الإنسان ذو جوهر روحاني في أصله:

لننصت قليلاً للعارف جلال الدين الرومي؛ ليحدثنا عن هذا العالم الكبير الصغير، ألا هو الإنسان حيث يقول: ''فالخيال القبيح هو الذي جعل العين الحسية وعين العقل المحتجبة تريانه قبيحاً، وأعلم أن هذه العين الظاهرة ظل لتلك العين المحتجبة، فكل ما تراه عين الباطن تدور حوله عين الظاهر، إنّك أيها الإنسان مكاني، ولكن أصلك في اللامكان، فلتغلق هذا الدّكان، ولتفتح

ذلك الدّكان، فلا تهرب إلى هذا العالم ذي الجهات الست، ففي هذه الجهات أسوأ مواقع أحجار النّرد، حيث تحق الهزيمة''.[2]

ويقول الأستاذ محمد عبد السلام كفافي شارحاً ومعلقاً على الكلام السابق بقوله ''الإنسان -في ظاهره- يبدو حسياً مقيداً بالمكان ولكنه بأصله الروحي ينتمي إلى اللامكان، فلو أنه قلص من سلطان الحس، فتنحت أمامه عوالم الروح الفساح، إن عليه أن يتخلص من هذا العالم الحسي لأنّه يفرض عليه موقفاً سيئاً يجعل الهزيمة حتماً عليه. والجهات السّت يقصد بها مولانا جلال العالم الحسي المقيد بـ: اليمين والشمال والأمام والوراء والفوقية والتحتية، ويشبه الشاعر الجهات الست بالأقسام الستة فوق لوحة النرد''.[3]

ثم يستطرد مولانا الرومي موضحا الأصل الحقيقي للإنسان في مثال رائع، يقول واصفا للإنسان: ''إنك سليل البط،[4] مع أن طائراً أليفاً أظلك بجناحيه ورباك، لقد كانت أمك من بط البحار، وأما مربيك فكان ترابيا يعشق الجفاف، فذلك الميل إلى البحار الكامن في قلبك سوى طبيعة لروحك قبستها من أمك، وأما ميلك للجفاف فهو لمربيك فدعك من هذا المربي فإنه سيء الرأي... ومهما حذرتك أمك من الماء فلا تخف بل انطلق مسرعاً نحو البحر، إنك من جنس البط تعيش فوق اليابس وفوق الماء، ولست كالطائر الأليف مأواك حفرة (في الثرى)، يقول الأستاذ محمد كفافي: في هذه الأبيات تمثيل رمزي للأصل الروحي للإنسان، والكيان المادي الذي يحجب عنه إدراك حقيقة هذا الأصل، وقد رمز الشاعر للعالم الروحي بالبحر، ولعالم الدنيا بالبر والإنسان طائر بحري، تربى في البر فنسى أصله، ومولانا جلال يدعو الإنسان إلى التسامي إلى أصله، بعد التعرف على حقيقة ذاته''.[5]

هذه اللفتة مهمة جداً في واقعنا المعاصر بسبب طغيان المادية المجحفة وعصر الإنسان في جانبه المادي وإكباح لصوت الروح فيه، إذن الإنسان مهما يكن ترتيبه فهو جوهر روحاني، فلو تخلى عن هذا الجوهر فلا فرق بينه وبين الحيوانات، ''فالدين يذهب إلى أن الحيوانية جانب من جوانب الإنسان، وإنما يكمن الفرق في مدى شمولية هذا الجانب، فطبقا للعلم: الإنسان ليس أكثر من

حيوان ذكي، وطبقا للدين الإنسان حيوان مُنح شخصية ذاتية''[6] ولذلك يشير الله تعالى إلى هذا المعنى في رفع مقام الإنسان: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾الإسراء:٧٠ فالنزعة الروحية في الإنسان مصدرها أصله الروحي، أما النزعة المادية ذلك العالم الحسي الذي غذاه وربى جسده. والإنسان في حقيقته قادر على الوصول إلى عالم الروح برغم ارتباطه الجسدي بعالم الحس، وفسر مولانا جلال قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾،الإسراء:٧٠ على أنه رمز إلا أن الله كرم الإنسان بأن جعله منتميا إلى عالمي ''الروح والحس في وقت واحد، والجمع بين الروح والحس هو سر تفضيل الإنسان على كل من الملائكة، وهي كائنات روحية، والحيوانات وهي كائنات حسية، والأنبياء والرسل هم المثل العليا للكيان الإنساني وهؤلاء يعيشون في الأرض بهيكل ترابي وتدور أرواحهم في فلك روحي''.[7]

٢/ قدر الإنسان قدرته ونصيبه:

يحل مولانا الرومي هذا اللغز الإنساني الذي تناطحت حوله آراء الفرق والملل في جمل بسيطة ويسيرة موضحاً ذلك بمثال: يقول فيه: ''أما من كان في بداية أمره وزيراً للملك فجعله محتسبا لا يكون إلا من سوء فعله، فحينما يدعوك الملك من عتبة الباب إلى حضرته ثم يعود فيدفعك إلى الباب، فاعلم يقينا أنك ارتكبت جرماً، وأنك قد جعلت (هذا الإبعاد) -بجهلك- أمراً محتماً. 'وإنك لتقول': 'إن هذا قد كان لي قسمة ونصيب'، فماذا إذن كان هذا الإقبال بالأمس في يدك؟ إنك أنت الذي قطعت نصيبك. أما الرجل الكفء فهو الذي يضاعف نصيبه''.[8]

في هذا الكلام تعبير عن قدرة الإنسان على تحديد مصيره بعمله، فيجب على المرء ألا يعزو ما يلحق به من سوء المصير إلى ما يسمى عادة ''بالقسمة'' أو ''النصيب'' بل عليه أن ينظر إلى عمله ويلتمس فيه تفسيراً لمصيره، ويؤيد معنى هذه الأبيات السابقة من كلام مولانا قول الله سبحانه: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾النساء:٧٩ [9] وهذا خلاف ما هو سائد في

المخيال الاجتماعي في نسبة الفشل وكل قبيح لله أو إلى المكتوب، وإن كنا لا نخالف ذلك بمفهوم التسليم لا بمفهوم الجبر والقهر والفرض وسلب الاختيار، سواء كان في الجانب العلمي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي وغيره من الجوانب المتعددة في الحياة، ثم يستطرد مولانا في شرح ذلك بعبارة رائعة: ''إنك لترى قدرة نفسك عياناً في كل عمل يكون لك ميل إليه، ولكنك عندما لا يكون العمل وفق ميلك وعلى مرادك تصبح مجبراً وتقول: إنّ هذا من عند الله''[10] وهنا يسخر مولانا جلال الرمي من نفاق البشر وطيشهم، ''فالمرأ إذا عمل عملا يعجبه ويعتز به تباهى بقدرته وفاخر بها اقتدر على إنجازه، ولكنه إذا أتى أمراً نكراً نسب ذلك إلى ربه، واعتذر عن إتيانه بأن هذا هو ما أراده له الله.''[11]

٣/ السبيل إلى تربية الإنسان:

يسلك جلال الدين الرومي طرقاً بديعة ومختصرة في ذكر سبل التربية من خلال بيان عيوب النفس الشاملة لكل العيوب، وبيان الصفات القبيحة المشنعة التي تجمع شتات القبيح من الأوصاف ذاكراً ذلك في قصة لطيفة، مشبها تلك العيوب بالطيور، وهي عبارة عن رموز، وكل قراءة جديدة لروح القرآن تتناسب مع روحه عصره الذي عاش فيه.

يقول ''ذبح الطيور الأربعة'' أراد إبراهيم الخليل أن يبلغ أعلى مراتب اليقين فيما يتعلق بالمعاد فقال له الله تعالى: خذ أربعة من الطيور واذبحهن وأخلط لحومهن ببعضها بصورة جيدة، ثم قسم ذلك الخليط عشرة أقسام، وضع كل قسم على قمة جبل ثم ادعهن بإذني، ففعل إبراهيم عليه السلام ذلك، وأخذته الدهشة حين رأى تلك الطيور الأربعة حية سالمة وهي تلتقط الحب هنا وهناك، وكانت تلك الطيور عبارة عن: البط والطاووس والغراب والديك، وهي ترمز إلى حرص الإنسان وتكبره وطول أمله وشهرته بالترتيب، فلو جردت نفسك يا أخي من هذه الصفات الأربع الذميمة 'الحرص، الشهوة، التكبر، وطول الأمل' سلكت طريق إبراهيم عليه السلام نحو الخلود الأبدي. إن التجرد منها لا يعني التجرد المطلق، طبعاً بل ضرورة السيطرة عليها قدر المستطاع وأن خير الأمور

أوسطها، وبعبارة أخرى يجب التعامل مع هذه الصفات الأربع بشكل آخر وتسخيرها بما فيها الخير والصلاح."[12]

وعند العرفاء يركزون دوماً على مسألة الأنا باعتبارها عقبة تجاه الإنسان وهي رمز للأنا إبليس في بداية المعصية الأولى في الوجود، وهي تمثل تلك مرتبة النفس الأمارة بالسوء، ذلك أن الأنا سواء الفعلية أوالأنا المثالية هي عبارة عن جبل يحيل بين الإنسان وخالقه، ولا يمكن أن يصل إلى السعادة وهو يطلبها وبين جوانبه لازلت أناه تحجبه عن الوصول وكمثال عن ذلك في قصة موسى عليه السلام، "فالاثنينية في مدلول الآية الشريفة بين موسى والربّ في مقام المخاطبة تدل على أن 'الانا' كانت ما تزال موجودة لدى موسى (عليه السلام)، ومعها لا يكون الإنسان قادراً على تحمل التجلي التام، والعرفاء يذكرون أن المراد من الجبل في الآية ﴿وَلَكِنِ انظُرْ إلى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ الأعراف:١٤٣ هو جبل الأنانية، فلما تجلى الله له جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً حيث حصل له التجلي التام بعد زوال جبل الأنانية."[13]

٤/ مهمة الإنسان في هذه الحياة:

للإنسان في هذا العالم وظيفة ومهمة لابد له أن يقوم على أدائها، وهي أمانة موكلة له، وهو تزكية ذاته وتصفية نفسه، حتى يرتقي في مداج الإنسانية، يقول الأستاذ الدكتور جيهان أوقيوجو: "حسناً لنبدأ موضوعنا أولاً بأهمية ترك العادات السيئة ولكني أريد قبل هذا أن أعرف ما هي غاية النضج؟ وما الذي يكسبه الإنسان بالنضج؟ لقد أرسل الإنسان إلى هذه الدنيا لكي يكون إنسانا حقيقياً، ومن نجح في هذا يكون قد نجح في أداء مهمته، وبهذا النجاح يكسب الإنسان نفسه أولاً، وكيف ذلك، لكي تعرف استمع إلى المثنوي: لم يمكن أن تهرب من نفسك: الذي يهرب من غيره يتوقف عندما يبتعد عنه ويتخلى عن الهروب، أما أنا فعدو نفسي وأود أيضاً الهروب عنها قصد الجنة، ولكن عندما أهرب أصطحبها معي أيضاً، أي إني لا أستطيع الهروب والتخلص منها مهما حاولت، لذا كان شغلي الشاغل هو الهروب دون توقف حتى يوم القيامة، فإن كان ظل الإنسان عدو له، فلن يذوق طعم الأمان لا في الهند ولا في هوتان، يا

صاحب الفطرة السليمة! سيأتي يوم تفقد فيه كل أموالك وأملاكك، أما إذا كنت أنت الكنز والمال والملك فلا زوال لهذا الكنز أبدا وبهذا الكلام الدقيق تكون مهمة الإنسان في هذه الحياة أن يبقى إنساناً ولا ينزل إلى مرتبة الأنعام أو أسفل من ذلك، فهناك كنز مخفي في ذواتنا، فليحفر كل واحد منا على كنزه ولا ينظر إلى ما يملك الآخر، بل فقط في ذاتك، وإلا ستضل الطريق ورأس العيوب هو رؤية العيوب.''[14]

حيث يشرح هذا المعنى جلال الدين الرومي في نكتة بديعة، فيقول ''ذهب أربعة هنود إلى الجامع للصلاة، وفي هذه الأثناء دخل المؤذن إلى الجامع، فقال أحد الهنود ناسياً أنه في الصلاة: هل رفع الأذان؟... فوكزه الثاني قائلا: لقد تكلمت فسدت صلاتك. قال الهندي الثالث للثاني: يا مسكين، انشغل بصلاتك بدل الانشغال بصاحبك، ففرح الهندي الرابع وقال بصوت عال: الحمد لله، لم أفسد صلاتي مثلما فعل هؤلاء الحمقى وهكذا فسدت صلاتهم جميعاً. وهذا وصف دقيق لحال النفوس التي تعرض عن عيوب ذاتها وتلتفت يمنة ويسرى لالتقاط عيوب الناس، فمهمتك أيها الإنسان النظر في ذاتك وتنقيتها من العيوب لتصبح وترحل من هذه الدار وأنت إنسان ولست مسخاً''.[15]

وهذا الأسلوب التعليم بالرمز لدى العرفاء لتربية المريدين، حيث نجده حاضراً بكثرة في مثنوي جلال الدين الرومي ''فعلى الشيخ أن يغذي مريديه بلبن المعرفة أى أن يكون في مقدور المريد الإستغناء عنه، ولعل التعليم بالرمز والصور والإيحاءات أحد وسائل الشيوخ في تدريب المريد، وتوجيه مسيرة السالك الذي يجيب داعي الله نحو التدرج والإنتقال، من الظاهر الحقيقي، ومن المرئي إلى غير المرئي، ومن الإشارة إلى المدلول... فإذا كان المتصوفة يستخدمون التمثيلات والصور، فذلك لمساعدة الإنسان ذي القلب الهائم والعقل الضعيف على إدراك الحقيقة، فالحق كما يقول الرومي وصف نفسه بالظاهر والباطن، وقد جلى العالم بوصفه باطناً وظاهراً، بحيث نستطيع إدراك المظهر الداخلي للحق سبحانه بباطننا، والمظهر الخارجي بظاهرنا''.[16]

٥/ مراتب ودرجات الإنسان:

ما دام الإنسان إنساناً بنسبة نضج عقله وروحه ''إذن فهناك درجات في الإنسان يرى جلال الرومي أن الطفولة واليفاعة لا يتعلقان بالسن بل بدرجة النضج، فالذين يجرون خلف أهواء طفولية يعدون أطفالاً مهما بلغوا من العمر، يقول: ''لا يستحق صفة النضج إلا سكارى الحق الذين سموا على أهواء الدنيا، أما الذين غلبوا على أمرهم بأهواء طفولية غير مقبولة فيبقون أطفالاً مهما جرى الزمن''.[17]

عند العرفاء ليس المرض هو مرض الذي يعتري البدن وليس العلاج هو علاج البدن بقدر ماهو علاج للحلمة الصنوبرية التي في أعلى الصدر من جانبه الأيسر،'' إذ يقول هؤلاء الأطباء لمرضاهم نحن أطباء لم نأخذ بعلومنا من كتب الطب بل من الحق سبحانه وتعإلى، فالأطباء الآخرون يعالجون مرضى الأبدان، أما نحن فنعالج مرضى القلوب ومرضى الأرواح، ثم إننا لا نطلب ثمناً أو أجرة كما يطلب بها أطباء الأبدان، لأن الله تعإلى سيعطينا أجرنا مضاعفاً، إذن تعالوا أيها المرضى البائسون، تعالوا... فدواؤكم موجود عندنا! إذن هناك أطفال واليافعون والمرضى والأطباء...أما التصنيف الآخر هو درجة المعرفة والعقل، أليس كذلك؟. أجل ففي هذه الرحلة الطويلة والمظلمة لا ينير طريق الإنسان سوى نور العقل، أما العقول فتختلف بعضها عن البعض بكثير، إن العقول تصطف درجات نحو السماء حسب طاقتها وسعتها''.[18]

وعلى الرغم من وجود فروق بين البشر إلا أن العرفاء يقسمون الناس ''بحسب نور العقل إلى ثلاث مجموعات رئيسية: العقلاء، ونصف العقلاء، والبلهاء، فعلامة العقلاء أنهم ينارون بنورهم الداخلي، فهم بهذا النور ينيرون أنفسهم تارة ويقومون بإرشاد قافلة تارة أخرى، هذا العقل الذي لا محل للشك والريبة فيه هو عقل المؤمن الكامل، أما علامة النصف عقلاء فإنهم لا يملكون نوراً ولكنهم يملكون بصيرة ما تكفيهم لاتباعهم الآخر، واتخاذ عينه عينا لهم، وأمثال هؤلاء -وإن لم يستطيعوا الرؤية النفاذة- يعرفون كيفية الاستفادة من رؤية غيرهم.''[19]

أما الصنف الثالث من الناس بحسب ترتيب السابق ''فهم البلهاء الذين لا يملكون ذرة عقل ولا يستفيدون من غيرهم، لذا فهم يعيشون في ظلمة حالكة عمياء، يحالون قطع الصحاري الواسعة وهو يتعرجون ويتجولون هنا وهناك دون جدوى، انظر إن آلاف الجنود الذين يملأون الصحاري هم تحت إمرة قائد واحد، ولكن قد يكون هذا القائد أيضا أسير فكرة سخيفة، فما بالك إذن بمدى خدمتهم وطاعتهم لفكرة قيمة وسامية عالية؟[20]

هذا ما يجب في الحقيقة، ولكن الأمور لا تسير هكذا في جميع الأحوال، ويشرح الرومي هذا فيقول: ''إذا ربط طائران حيان ببعضهما، لم يستطيعا الطيران مع أنهما يملكان أربعة أجنحة، وإذا كان أحدهما ميتا والآخر حيا استطاع الطائر الحي حمل الميت والطيران به، أما المغرور بعقله فكيف يستطيع شخص آخر لا يطير به؟ المرشدون العظام مانحون بالرحمة والشفقة لمن حولهم، وهم يشبهون الرعاة الذين يصونون قطعانهم ويحافظون عليها، أما الذين لا يسلمون أمورهم إلى شفقة هؤلاء المرشدين ورحمتهم، فيرمون أنفسهم إلى التهلكة أولا ثم لا يتعبون ويرهقون هؤلاء المرشدين الذين يركضون وراءهم لإرشادهم إلى الصواب''.[21]

ربما يتجلى لنا من خلال هذا العرض الفرق بين الفلسفات الأخلاقية والمنظومة الأخلاقية العرفانية؛ ذلك أن الفلسفة الأخلاقية تبتغي ترويض الإنسان لتصنع منه مواطناً صالحاً، في حدود بيئته الجغرافية، لا فرداً صالحاً في العالم، وهو نموذج إنسان الذي يأتمر بأوامر الواجب الأخلاقي الذي يرصده في شكل قوانين، وصلاحيته تكمن في الامتثال لهذا الواجب، كما كان واجب الجندي الألماني في تلبية واجبه في الحرب العالمية الثانية، أما النظرية الأخلاقية العرفانية فهي تطلب مدرج الإنسان الكامل الذي يكون حيثما وقع نفع، وهو أن يكون مسالما مع جميع عناصر الوجود حتى مع الجماد الذي يرى من خلاله تجلٍ لصفات المُوجِد، ''فالغاية من العرفان الإسلامي هي التعرف إلى رب العالمين والوقوف على غرضه الهادف من خلق الإنسان، وأن يعرف ماهي مهام الإنسان أمام الله والناس وما عليه أن يؤديه في ضوء هداية الأنبياء والكتب

السماوية في حياته الفكرية والعملية حتى يرقى المدارج السامية المستكملة وحينئذ لا يرى إلا الله، عارفاً أن الخطوة الأولى في هذا المسير هي التعرف إلى النفس كما جاء، من عرف نفسه عرف ربه''.[22]

٦/ معيار التحقق ومعراج التوفق في الفعل الأخلاقي:

كنا قد أشرنا من قبل على خطورة الأنا المثالية التي تتغذى على الرغبات، والأنا الفعلية التي تشعر بالنقص لاستكمال ذاتها، هذا النقص ينبجس لها من خلال عمليات المقارنة والأقيسة التي تجريها بين الذوات الآخرين فينشأ من خلال ذلك أول التصور الأول لميلاد أفعال الشر عن طريق الشعور بالنقص كأن ''يرى ويصف نفسه بالقصور وعدم اللياقة، وأنقص، وينسب ما يمر به من خبرات غير سارة إلى عوامل شخصية فيه كالقصور النفسي أو العقلي، أو أنه قاصر إجتماعيا''.[23]

إن رأس تلك الأمراض هو الشعور بالنقص والحقارة ومنه تتحول تلك المركبات إلى صفحة الحسد التي هي الصفة الأم التي تتوالد عليها كل الصفات القبيحة، بعد أن يحدد العرفاء تلك المثالب القاتلة في عالم النفس، لابد لهم أن يجدوا لها العلاج، ولذلك فأول الطريق هو الرجوع إلى الله، أعني إلى ذكره فإن الأنا وأي علاج غير الذكر فسيكون مآله الفشل ولا جدوى منه، فالسلاح الوحيد مع النفس الأمارة هو شغلها بذكر خاص هو ''لا إله إلا الله'' منه يبدأ العارف في بدايات العلاج ويعتبر هذا الترياق مبدأ إصلاح النفوس، فلو حاول في غيره أن تكون له النُجْحَة، اعتباراً لقول الحق ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾.الكهف:٢٨

فذكر لا إله إلا الله تدل على أنه ''لاتوجد حقيقة إلا حقيقة واحدة، فكلمة الرسول تشير إلى نزول الله نحو العالم، وتتضمن أيضا صعود الإنسان في اتجاه نحو الله... في فلك الصغير الإنساني النزول هو الوحي والصعود هو الطموح؛ النزول هو النعمة الإلهية، بينما الصعود هو المجهود الإنساني ومحتواه هو ذكر الله، من حيث اسم ذكر الله المعطى للرسول''.[24]

فالإصلاح مبدؤه القلب ذلك أن الترياق السابق رمز دال على الإيمان والقلب مثل المرآة ''والصفة المطلوبة في المرآة هي تشبعها بالإيمان، ولكي تعكس الصورة تماما، يجب أن يكون سطحها صقيلا جداً، يقول الرومي، قلبي صاف كالسماء، وفي مرآة الماء، ينعكس ضياء القمر ويشبه التأثير، الذي تتركه الذنوب في القلب، بالتراكم البطيء للصدأ على المعادن، أما المجاهدات فتشبه بفعلها الصقل، والقلب الطاهر المصفى من حب الدنيا ومباهجها، في مقدوره أن يتذكر الله ويبقى معه، مما يعطي للوجود بعداً آخر، ويعطي للحياة غاية أساسية هي الحنين إلى الحالة الروحية الأولى وبلوغ المعرفة الحقيقية والكلية''.[25]

إن العرفاء قد حددوا تلك المراحل التي لابد للعارف الحقيقي أن يمر بها، ذلك أن العارف الحق هو الذي قد وصل إلى ''تهذيب النفس وتصفية الباطن مروراً بطريق الكشف والشهود، وهي العبادة وطاعة أوامر الله بعون العشق والتوفيقات الإلهية طبقاً لقابليته وقدرة فهمه ومجاوزة المراحل الصعبة المليئة بالمخاطر، وهذا هو طريق السلوك إلى الله الذي يقول عارف الطريق فريد الدين العطار النيسابوري المتوفى سنة ٦١٨هـ إنه يشمل على سبع مراتب، هي الطلب والعشق والمعرفة والإستغناء والتوحيد والفقر والفناء، وهكذا يصل الإنسان الكامل إلى المنزلة المعنوية السامية''.[26]

من هنا يتحول الإنسان في تصور العرفاء بعد السير إلى تعديل السلوك، الذي سينطلق من الوجدان ويتغذى على وقود العشق والمحبة لأنها أصله، ذلك أن الإرادة إذا لم تنطلق من الحب والعشق فتتعرض إلى الزوال، وشاهد ذلك في المحبين وأفعالهم فهذا مجنون ليلى الذي يقول:

ولو قيل للمجنون: ليلى وَوَصْلَها تريدُ أم الدنيا وما في طَوَاياها؟

لقال: غُبارٌ مِنْ تُرابِ نِعَالها أحبُّ إلى نفسي وأشفى لبلواها

فهذا مجنون ليلى لم تفن إرادته بطلب الوصال من محبوبه الفاني إلى أن أصابه البلى، فكذلك العارف إذا انطلق من فعله من قلبه بدافع العشق والحب والقرب الذي يتحقق له شيئا فشيئا بمداومة ترياق ذكر المحبوب شرط أن لا

ينقطع على ذلك الترياق كما قال ابن عطاء الله السكندري: ''لا تَتْرُكِ الذِّكْرَ لِعَدَمِ حُضورِكَ مَعَ اللهِ فيهِ، لِأَنَّ غَفْلَتَكَ عَنْ وُجودِ ذِكْرِهِ أَشَدُّ مِنْ غَفْلَتِكَ في وُجودِ ذِكْرِهِ. فَعَسى أَنْ يَرْفَعَكَ مِنْ ذِكْرٍ مَعَ وُجودِ غَفْلَةٍ إلى ذِكْرٍ مَعَ وُجودِ يَقَظَةٍ، وَمِنْ ذِكرٍ مَعَ وُجودِ يَقَظَةٍ إلى ذِكرٍ مَعَ وُجودِ حُضورٍ، وَمِنْ ذِكرٍ مَعَ وُجودِ حُضورٍ إلى ذِكرٍ مَعَ وُجودِ غَيْبَةٍ عَمّا سِوَى المَذْكورِ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ''.[27]

كما أن الفعل الوجداني يتميز بخصائص أهمها ''هو أن تكون الغاية فيه أداء التكليف فقط بعيداً عن المصلحة الشخصية، أي لا يدور في إطار فائدة الأنا، بل فائدته تصب خارج دائرة الأنا تماماً، سواء كانت فائدة دنيوية أو أخروية، والذي يشخص لنا هذا المعنى هو حاجة الطرف الآخر، وهذه الحاجة تثير في أنفسنا شعوراً بالتكليف، فنتحرك باتجاه خدمة الآخرين من منطلق التكليف الوجداني لا لشيء آخر وغاية أخرى وراء أداء هذا التكليف.''[28]

ومن هنا فإن الغرائز الحيوانية المودعة في الإنسان من شأنها أن تتحول ''وتصادق أشواق الروح وحنينها إلى عالمها العلوي، فتترجمها وتسخرها لحسابها، وتوجهها نشيدا غريزيا هابطاً إلى الصور والأشكال والأهواء''.[29]

٧/ جلال الدين الرومي في تراث فلاسفة الشرق والغرب:

أ- الرّومي ملهماً ومرشداً كاملا للفيلسوف إقبال:

لقد تاثر محمد إقبال بالرومي تأثراً شديداً فهو أستاذه ومرشده الروحي، على الرغم أن الزمان بينهما قرونا متواصلة، لكن إقبال يذكر أن شعره قد ألهمه به الرومي، حيث رآه مناماً وقال له قل، فأصبح يقول شعراً منذ تلك الرؤية القلبية التي جمعته مع الأستاذ وقد ذكر هذه القصة في ديوانه الشعري حيث يقول:

''رأيت الشّيخ بالمصباح يسعى له في كل ناحية مجال
يقول: مللت أنعاما وبهما وإنسانا أريد، فهل يُنال؟
برمت برفقة خارت قواها برستم أو بحيدر اندمال
قلنا: ذا مُحال. قد بحثنا فقال: ومُنيتي هذا المحال'' [30]

وقال أيضا:

''قارئا من فيض ذا الشيخ العظيم كُتباً تُضمر أسرار العلوم
قلبه من شعلة الوجد استعر وأنا في نفس منه شرر
قد رمى الشمع فراشي باللهب وعزت جامي الحُميا فالتهب
صيّر الروّمي طيني جوهراً من غُباري شاد كونا آخر''[31]

وفي اتّخاذ نموذج الرومي لدى إقبال له ما يبرره، حيث ''يمقت إقبال نموذج التصوف الذي دعا إليه حافظ الشيرازي ويشعر بتقدير كبير للعبقرية النقدية والعميقة لجلال الرومي، ومن ثم فهو يرفض مذهب نفي الذات الذي دعا إليه هذا الصوفي العظيم كما لا يتابعه في آرائه الخاصة بوحدة الوجود؛ أي أن الرومي كان من دعاة مذهب وحدة الوجود غير أن إقبالا لم يتابعه في ذلك''،[32] فإقبال يعتبر مهذّبا للتصوف الرومي، وموظّفا هذا التوجه الروحي العميق بما يخدم، الفكر والذات معا، مركزاً على طور العشق، وما قد يلعبه هذا التوجه الأخير في تحرير العقل الذي أقصى ما يبلغه هو طور الحكمة العقلية النظرية، أما العشق فمجاله أرحب وأوسع لتعلقه بالمطلق المتعالي عن الحس، إذ يقول إقبال: ''أيها العقل كن غلاماً للعشق تابعا له منفعلا به، أيها العشق أن منيتي أن تتحدث إلى بما يؤجج نارك في قلبي''.[33]

ب- المستشرقة الألمانية آنا ماري شميل (Annemarie Schimmel):

اشتغلت الباحثة آنا ماري شميل زهاء أربعين عاما على أعمال الرومي، وكانت بحثها حول الرومي في موسوعة تحت عنوان ''الشمس المنتصرة'' الذي ترجم في زهاء ثمان مائة صفحة، وقد تناولت مسألة الإنسان، ورؤية الرومي له، بإعتبار أنّه الكائن الوحيد الذي كلف بحمل الأمانة؛ ''صرت حمّالا لتلك الأمانة التي لم تقبلها السّماء، اعتماداً على عونٍ سيأتيني من لطفك'' رغم أنّ السماء والأرض تؤديان كثيراً من الأعمال المدهشة، لم يقل الحق ولقد كرّمنا السّماء والأرض، وقد وضع الحق تعالى ثمناً عظيماً للإنسان... وقد غدا الإنسان، بهذه الأمانة سواء أُفسِّرت بأنّها العشق، -أم حرّية الإرادة- الجزء الأكثر نفاسة وقيمة من الخلق، والذي لاينبغي أن يُساء إليه، ذلك أنّ الحق سيشتري نفسه، أخيراً، ليأتي بها إلى أسمى القمم الرّوحية''،[34] هذه الأمانة التي تتمثل أساساً، في تعليم

الإنسان سرّ الأسماء، وتعتبر، ''أعظم هدّية وهبها الله للإنسان أنّه ﴿عَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء﴾–البقرة:٣١ وكثيراً ما أشار الرومي إلى هذا الفعل الرائع من أفعال الرّحمة الذي أعطى للإنسان المنزلة العليا في الكون وجعله أمير علم الأسماء، وهكذا كان في حوزته آلاف العلوم في كلّ عرق، والأسماء التي علّمه إيّاها الحقُّ أولاً لم تكن الأسماء الخارجيّة في لباس العين واللام، أي لباس الأحرف المكتوبة والمنطوقة، بل تلك التي ليست مغطاة بغطاء الأحرف الخارجية؛ فقد كانت الحكمة التي كانت على اللّوح المحفوظ، وهكذا غدا الإنسان حقاّ أسمى من الملائكة، حتى من أولئك الذين يحملون عرش ربّك''.[35]

وتستطرد آنا ماري شميل في شرح هذه القضية التي تعتبرها أهم وظيفة خطيرة للإنسان مستشهدة بأمثلة من القرآن الكريم حيث تقول: ''فإنّ معرفة اسم الشيء تعني امتلاك القدرة عليه، والتصرّف فيه: وهكذا فإن الحق بجعله الإنسان قادراً على دعوة كلّ شيء بإسمه، إنّما جعَلَه الحاكمَ الحقيقي للأرض وما فيها. وعلى الرّغم من ذلك فإنّ الإنسان بعد هبوطه لا يعرف إلا جزءاً من الأسماء والسّر الخفي وراءها لا يعرفه إلاّ الله: سمّى موسى عوده المعجز باسم عصا، ولكن الحق عرف أنّ اسمه ''ثعبان''؛ وعُمَرُ،[36] رغم أنّه سُمّيَ لدى مواطنيه بعابد الصّنم، سُمِّيَ ''مؤمنا'' مِنْ قَبْلُ في الأزل. ورغم كون آدم عارفاً سرّ الأسماء، فإنّ الإنسان في حاله الراهنة يستطيع تسمية الأجزاء المرئية للشيء فقط وبقدر ما يمكن أن تكشف الأسماء الطبيعة الصحيحة للشخص، ويمكنها أن تفيد أيضا في ستر السِر وإخفائه: قصّة زليخا التي عنت بآلاف الأسماء ذاتا واحدة فقط، أي معشوقها يوسف، مثال رائع للخاصّية السّاترة للأسماء التي يصنعها الإنسان''.[37]

وقد تم ترتيب العلاقة بين الله والإنسان، وقد ''واختير الإنسان، بسبب صلته الخاصّة بالحقّ، عندما كانت إنسانية المستقبل ما تزال مخفيّة في صلب آدم الذي لمّا يُخلق، بالخطاب الإلهي: ﴿أَلَسْت بِرَبِّكُمْ؟﴾،الأعراف:١٧٢ أجيال المستقبل

أجابت ﴿بَلَى شَهِدْنَا﴾، ومنذ ذلك اليوم، -يوم الميثاق الأوّل- نمت وعاشت تحت سلطان هذا الخطاب الإلهيّ.''[38]

إذن فوظيفة الإنسان أن يعرف نفسه، وقدر ذاته؛ لأنه بمعرفته لها، سيعرف الحق تماما، إذ ''لو تذّكر الإنسان فقط أن الله خلقه ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾،[التين:٤] بل وفقاً لحديث مشهور، في صورته (سبحانه)، إذا نفخ فيه من روحه مزوّداً بهذه الخاصيّات، لغدا الإنسان أسطرلاب الصّفات الإلهية السامية، عاكساً الصّفات الإلهية كما يعكس الماء القمر؛ إذ تنفذ عليه أعمال القدرة الكلية وتغدو مرئية؛ ويقدّم قرص هذا الأسطرلاب دائما أنباءً عن عظمة الحقّ، شرط أن يعرف الإنسان كيف يقرأ ويفسّر حاله وموقفه، وأدم في صورته الخارجية قد يسمّى عالما أصغر a microcosm أمّا في معناه الباطن فإنّه عالم أكبر a macrocosm''.[39]

٨/ التكامل الأخلاقي في مدوّنة الرّومي:

نجد في المدونة العرفانية لجلال الدين الرومي، منهجا للتكامل المعرفي الأخلاقي من خلال ما حاول جلال الرومي توظيفه في كتابه المثنوي، من الأمثلة والقصص اليونانية، خاصة في جانبها الاخلاقي، بعد أن ضمنها إلى المجال التداولي الإسلامية، وبعد أن حذف تلك الإحالات والإيحاءات الميتافيزيقة الوثنية الإغريقية، جاعلا منها أكثر دلالة في تهذيب النفس وإصلاح الذات الإنسانية؛ أي فلسفة أخلاقية إنسانية بكل ما قد تعنيه هذه الكلمة، فقد ''وجّه الرومي دعوته إلى الفرد ناصحاً له أن ينهمك في محاولة دائبة لاكتشاف ذاته، من أجل الوصول إلى إصلاح النفس، ثم صياغتها، بحسب المثل العليا التي آمن الرومي بها، هذه المثل تقوم أساسا على النواحي الإيجابية في جميع الأديان، لا سيما الإسلام والمسيحية، لكنه لا يكتفي بالتعاليم الدينية المذكورة، وإنما نجد في المثنوي تأثيراً شديداً بالأفكار والفلسفات الإغريقية والهيلينية، من مثل الفيثاغورية والأورفية، ثم الأبيقيورية، والرواقية، وبالطبع الأفلاطونية الجديدة''.[40]

٩/ الأبعاد الروحانية العرفانية في الفكر الفلسفي المعاصر:

بعد عودة الديني في الغرب، كان خيار بعض المفكرين الغربين، الاهتمام بالتراث العرفاني الإسلامي، اكتشفوا حقيقة الاسلام وبعده الروحاني -الذي عمل المستشرقون على تزييفه ونقله بصورة خاطئة- حيث أرادوا توظيف ذلك البعد في عملية إصلاح العالم، حيث بدأت توجهات الكثير من المفكرين إلى هذا الزخم التراثي، وقد برز من هؤلاء، طا ئفة كبيرة منهم ذكر بالأخص المفكر الفرنسي إيريك يونس جوفروا، خاصة في كتابه ''المستقبل الروحاني للإسلام''، الذي شق فيه درباً ونفساً طويلا في أهمية الجانب الرّوحاني للإسلام في علاج أزمات العالمية التي دشّنتها الحداثة الغربية، عن طريق ما سمّاه الإنسان الكامل، إذ يقول: ''وحده الإنسان الكامل الذي تم تكوينه وفقاً لنظام روحاني والذي يراه المسلمون وحده في النبي، وحده هذا الإنسان يكمل القدر النبيل يتمثل في شيء واحد: أن يكون خليفة الله على الأرض... إن النزعة الإنسانية الإسلامية تتجسد في أخلاق تضع الإنسان أو الفرد في علاقة ديناميكية بين الحرية والمسؤولية.''[41]

كما أن هذه الحكمة الروحانية لا يمكن أن تأخذ بآراء بعض المفكرين، الذين دعوا إلى النزعة الإنسانية، التي تحمل الزّيف بين لبّتيها، خاصة مع المفكر محمد أركون، ذلك ''مشروع محمد أركون الهادف إلى بلورة نزعة إنسانية، إسلامية مرتكزة في نهاية المطاف على عقل التنوير، يبدو لنا لهذا السبب شيئا ضروريا ولكنه غير كاف، لماذا نقول غير كاف؟ أن هذا العقل كشف عن جوانبه المؤذية الضارة، والضالة المنحرفة داخل التاريخ الأوروبي طيلة القرنين الماضيين، وبالتالي فوحده العقل الموسع عن طريق العلوي أو الفوقي هو وحده القادر على تقديم حلول للمستقبل''،[42] فعن طريق الرؤية العرفانية الروحانية يمكن لنا أن نجد المشترك الإنساني الذي من خلاله تقليص الهوة الفارقة بين الإنسانية: أي بعد الروجوع إلى ماهو إنساني في الذات الإنسانية وهو صوت الروح والضمير.

خاتمة:

هذا ما حاولنا تدوينه في هذه العجالة حول مفهوم الإنسان عند مولانا جلال الدين الرومي هو غيض من فيض، لا تسع هذه الورقة التي حاولنا أن يلملم كل ما حوته فلسفة مولانا جلال إلا وفق دراسة شاملة لجميع تراثه الإنساني، وفي مقام هذا المقال لا يسعنا سوى ذكر أبيات من شعر مولانا في كتابه المثنوي واصفا الإنسان بالناي الذي اقتطع عن الغاب، فهو دائما يحن إلى أصله الذي اقتطع منه، وكذلك الإنسان فهو مثل الناي فهو يحن إلى أصله الأول الذي أوجده من العدم، إنه الله، وكما أن الناي لا يشدو إلا الصوت الحزين، لأنه غريب عن أصله بالنفخة الروحانية، كذا مشابهة الناي للإنسان بتلك النفخة التي تقع فيه من فيه الحنين والشوق فيترجم تلك الزفرات فيفهمها الناي عن الإنسان لانه يعش ذلك الحال الذي يحياه الإنسان وهذا المعنى يقول جلال الدين الرومي:

"استمع إلى الناي كيف يقص حكايته... أنه يشكو آلام الفراق.

- إنّني منذ قطعت من منبت الغاب، والناس، رجالا ونساءا يبكون لبكائي.

- إنني أنشد صدراً مزقه الفراق، حتى أشرح له ألم الإشتياق.

- فكل إنسان أقام بعيداً عن أصله، يظل يبحث عن زمان وصله.

- لقد أصبحت في كل مجتمع نائحا، وصرت قريناً للبائسين والسعداء.

- وقد ظن كل إنسان أنه قد أصبح لي رفيقا، ولكن أحداً لم ينقب عما كمن في باطني من الأسرار.

- ليس الجسم بمستور عن الروح... ولا الروح بمستور عن الجسم... ولكن رؤية الروح لم يؤذن بها الإنسان.

- إن صوت الناي هذا نار، ولاهواء... فلا كان من لم تضطرم في قلبه مثل هذه النار.

– أن الناي نديم لكل من فرقه الدهر عن الحبيب، وإن أنغامه قد مزقت ما يغشي أبصارنا من حجب.

– إن الناي يروي لنا حديث الطريق الذي ملأته الدماء ويقص علينا عشق الجنون''.[43]

وبقي علينا أن نشير إلى أن العرفان يمكن أن نراهن عليه، باعتباره رهان إتيقي جديد، يمكنه أن يساهم في علاج حالة الإغتراب والتأزم التي تحياها الإنسانية في العصر الحديث. ولكن بعد ان ينزل كنظرية إخلاقية فعّالة في الواقع، خاصة وأنه قد شابه كثير من الغموض والتخوف لدى كثير من الناس لعدم وضوح العبارت التي تنقل كما هي من عند العرفاء، فإلى ذلك لايمنع أن نشير اليه كمجال نظري في علم الأخلاق الذي لابد أن يطرق بابه.

* * *

الهوامش:

[1] جامعة لامين دباغين – سطيف- الجزائر.

[2] جلال الدين الرومي، المثنوي، ج٢ ترجمة وشرح ودراسة الدكتور محمد عبد السلام كفافي، الطبعة الأولى، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ١٩٦٧.

[3] المصدر نفسه، ص ٤٢٨-٤٢٩.

[4] عادة ما يشبه المتصوفة البط، ومشيته بخلق الكبر إشارة إلى أول معصية في الوجود، وهي معصية إبليس لما تكبر عند السجود، والكبر هو الأصل الأول للأخلاق الذميمة.

[5] لمصدر نفسه، ص ٥٨٣-٥٨٤.

[6] علي عزت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة يوسف عدس، دار النشر للجامعة، مصر، ط٢، ١٩٩٧، ص٥٠

[7] جلال الدين الرومي، المثنوي، ج٢، ص ٥٨٤-٥٨٥.

[8] المصدر نفسه، ص ٢٨٣.

[9] المصدر نفسه، ص ٥٤٣.

[10] جلال الدين الرومي، المثنوي، ترجمة وشرح ودراسة الدكتور عبد السلام كفافي، ط١، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ص ١٣٣.

[11] المصدر نفسه، ص ٤٧٣.

[12] محمد المحمدي الشهراوي، قصص المثنوي، ج٣، دار الحجة البيضاء، ط١، ١١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص ٩٠-٩١.

[13] أحمد القابنجي، الله والإنسان، إشكالية العلاقة وأزمة الوجدان، اعداد وتنظيم المؤسسة الاسلامية للتأليف والترجمة، ط٢، ص١٤.

[14] جيهان أو قيوجو، مولانا جلال الدين الرومي، دار النيل، ط١، ٢٠٠٩، ترجمة أورخان محمد علي، ص ١١١-١١٢.

[15] مرجع سابق، صفحة نفسها.

[16] أحمد حسين، جلال الدين الرومي والتصوف، مجلة التراث العربي سوريا عدد٩٨ سنة ١ لوليو ٢٠٠٣، ص ١٩٦.

[17] جيهان أوقيوجو، مرجع سابق، ص ٩٠-٩١.

[18] جيهان أوقيوجو، مرجع نفسه الصفحة نفسها .

[19] المرجع السابق، ص ٩٢.

[20] المرجع نفسه الصفحة نفسها .

[21] المرجع نفسه الصفحة نفسها.

[22] حسين رزمجو، التصوف والعرفان من منظار جلال الدين الرومي المولوي، مجلة الأداب العالمية عدد١٢٧ سنة يوليو ٢٠٠٦ سوريا، ص ١٠٤.

[23] عبد الستار ابراهيم، الإكتئاب، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب سلسلة عالم المعرفة عدد ٢٣٩، نوفبر١٩٩٨، ص ٢٤.

[24] مارتين لينجز، الساعة الحدية عشر، الأزمة الروحانية للعالم الحديث، ترجمة توفيق محفوظ، أشرف شنودة، آفاق للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٢، ص١٠٤.

[25] أحمد حسين، مرجع سابق، ١٩٦.

[26] حسين رزمجو، مرجع سابق، ص ١٠٤.

[27] محمد حياة السندي المدني، شرح الحكم العطائية، تحقيق نزار حمادي، بيروت لبنان، دار المعارف، ط١، ٢٠١٠، ص ٣٩.

[28] أحمد القابنجي، مرجع سابق، ٦٤.

[29] محمد سعيد رمضان البوطي، شخصيات استوقفتني، دار الفكر المعاصر دمشق سوريا، ط٦، ٢٠٠٦، ص١٣٧.

[30] محمد إقبال، ديوان إقبال، إعداد سعد عبد الماجد الغوري، بيروت لبنان، دار بن كثير، ط٢٠٠٧،١، ج١، ص ١٢٥.

[31] المرجع نفسه، ص ١٣٠.

[32] محمد إقبال، رسالة الخلود أو جاويد نامة، ترجمة محمد السعيد جمال الدين.

[33] المرجع نفسه، ٧٣.

[34] أنا ماري شميل، الشّمس المنتصرة، ترجمة عيسى على العاكوب، ط١، طهران إيران، مؤسسة الطباعة والنشر، وزراة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤٢١، ص ٤١٤.

[35] المرجع نفسه، ص ٤١٥.

[36] عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

[37] المرجع السابق، ص ٤١٥.

[38] المرجع نفسه، ص ٤١٥.

[39] المرجع نفسه، ص ٤٢١.

[40] إحسان الملائكة، جلال الدين الرومي صائغ النفوس، ط١، دار البيضاء المغرب، ٢٠١٦، ص ٢٠١.

[41] إريك يونس جوفروا، المستقبل الروحاني للإسلام، ترجمة هاشم صالح، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١٦، ص ٦٤-٦٥.

[42] المرجع السابق، ص ٦٥-٦٦.

[43] جلال الدين الرومي، المثنوي الكتاب الأول، مصدر سابق، ص ٧٣.

ملف العدد

العمل الإيجابي ٢

دور الفعل الايجابي في توجيه قانون التضاد لبناء عالم أفضل
دراسة مقاربة في رسائل النور

The Role of Positive Action in Utilising the Law of Opposites in Building a Better World. An Interpretative Study from the Risale-i Nur

ABSTRACT

Dr. Um Kalthum Hakum Da'ud ibn Yahya

Human life is a combination of acts and counter acts that constitute a line to be followed by human beings according to their intellectual and religious backgrounds. The active Muslim in his society is a positive person in thinking, positive in action and in dealing with the fateful issues of his society that serve succession in the earth and also serve Islam and humanity.

Through his thorough understanding of the positive action and its consequences, Nursi was able to enrich the consensus that links the Muslim to the human society and to dwarf and refute the points of conflict. Before this, he was able to demonstrate to his followers the importance of positive action and its role in guiding the contradiction in the six diseases of heart besides its role in confronting the phenomenon of atheism on the one hand and the dispersion of advocacy on the other hand through the implementation of a series of acts that turn the poor into good, defeat into victory, fear into security, and despair into a hope that fills the horizons of the Islamic nation. All that we need at the current time in which nations are thronging upon us and we have failed ourselves and became hostile brothers is returning to the treatment recipe which took Bediuzzaman decades of observation and research in the pharmacy of the Koran. This will restore the nation's cultural heritage, mighty power, and its active contributions in building a better world.

* * *

الملخص

د. أم كلثوم حكوم داوود بن يحي[1]

الحياة البشرية مزيج من الأفعال والأفعال المضادة التي تشكل خطوطا يسير عليها البشر حسب مشاربهم الفكرية والدينية، والمسلم الفاعل في مجتمعه شخص ايجابي في التفكير ايجابي في العمل وفي التعاطي مع قضايا مجتمعه المصيرية بما يخدم الاستخلاف في الأرض وبما يخدم الإسلام والإنسانية.

وقد استطاع الأستاذ النورسي من خلال فهمه الدقيق للفعل الإيجابي وما يستتبعه من نتائج أن يثري مواطن الاتفاق التي تربط المسلم بالمجتمع الإنساني ويقزم ويحجم مواطن الاختلاف، بل واستطاع قبل ذلك أن يبين لأتباعه أهمية العمل الايجابي ودوره في توجيه التضاد في أمراض القلوب الستة، ودوره في التصدي لظاهرة الإلحاد من جهة والتشتت الدعوي من جهة أخرى من خلال تطبيق سلسلة من الأفعال التي تحول الرديء جيدا والهزيمة نصرا والخوف أمنا واليأس أملا يملأ أفاق الأمة الإسلامية، إن كل ما نحتاجه في وقتنا الراهن الذي تكالبت فيه علينا الأمم وخذلنا فيه أنفسنا فصرنا الإخوة الأعداء هو العودة لوصفة العلاج التي استغرقت من الأستاذ عقودا من التأمل والبحث في صيدلية القرآن عودة تعيد للأمة إرثها الحضاري وقوتها الجبارة ومساهماتها الفاعلة في بناء عالم أفضل.

* * *

مقدمة:

الحمد لله محق الحق وناصره، ومزهق الباطل وقاهره، والصلاة والسلام على النبي معلم الدين وناشره، وعلى آله وصحبه الطيبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من سنة الله في خلقه أن جعل الحق والباطل خصمين إلى يوم القيامة، وما يستتبع ذلك من قابلية الإنسان للتزكية والفجور، للرشد والغي، الخير والشر، للإيمان والكفر، العلم والجهل، للحب والكره، الحركة والسكون، للانتصار والخذلان، البناء والهدم وغير ذلك مما يدخل في قال تعالى:﴿وَنَفْسٍ

وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾،الشمس:٧-٨ وما يعرف في الدراسات الإنسانية بقانون التضاد، والذي يقضي بأن: ''كل فكرة وشعور في هذه الدنيا لها الضد معاكساً لها في الشحنة...''

ولأن الإنسان المسلم مكلف شرعا بالسعي إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل بما يحقق ذلك لا بما يظنه، من خلال منظومة من الأفعال الشرعية الايجابية التي تجعل منه مفتاحا للخير مغلاقا للشر، منخرطا في المجتمع الإنساني بما يحقق السلم المدني والتعايش الديني والبناء الحضاري.

ولأن الفعل الايجابي ليس حركة واضحة المعالم والنتائج في كل الأحوال، بل هو مزيج من الحكمة وبعد النظر والصبر والتصبر في الحكم على مآلات الأفعال، ولنا في قصة سيدنا موسى مع الخضر -الذي لم يستطع معه صبرا وهو يري خرق السفينة وقتل النفس وبناء الجدار لقوم ظالمين، فنفسه البشرية حكمت على جور هذه الأفعال والحكمة الربانية قضت بصحة المقصود وإن ظهر العكس في الفعل- خير مثال حيث كان رد الخضر قوله: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾،الكهف:٧٨ في دلالة واضحة على النتائج السلبية للتعجل في الحكم على جوهر الأفعال.

فإن النورسي رحمه الله استطاع بما أُودِع من حكمة وصبر وحسن سريرة، وقدرة قل نظيرها على التحليل والربط والتأمل والوقوف على مواطن الخلل في الأمة والأمراض التي شكلت لها مصدر الأزمة، أن يفقه قانون التضاد وأثره على الأمة الإسلامية والبشرية جمعاء، وأن يثري مواطن الاتفاق التي تربط المسلم بالمجتمع الإنساني وتحقق له الأمن والطمأنينة والسلام له ولغيره، وأن يقزم ويحجم مواطن الاختلاف -الذي عده خلاف الأصل في العلاقة مع الآخر- بما يضمن التعايش السلمي المبني على الاحترام العقدي والحرية الفكرية في عالم تعددت فيه الثقافات وتصارعت في الهويات، واستغل فيه الدين لأغراض سياسية تسعى وراء أطماع عسكرية واقتصادية وعولمية، لا تخدم الإسلام لا من بعيد ولا من قريب بل تهدده في عقر داره وتلبسه ثوب التطرف والإرهاب، وتوشحه بوشاح الجهل والظلم مؤسسة بذلك لأزمة التشتت الدعوي ولتخلق

ظاهرة معكوسة في المجتمع المسلم ألا وهي ''تعدد الحق ووحدة الباطل'' والتي أدخلت التيارات الدينية في دوامة التكفير والتبديع والتفسيق والرد على المخالف ونست جوهر العمل الدعوي ''الوحدة والخير والبناء''، فخالفت المقصد الشرعي للدعوة، وأحدثت أزمة ثقة بين شرائح المجتمع الإنساني والنخبة الدعوية.

سأحاول من خلال هذا البحث الوقوف على دور الفعل الايجابي في توجيه قانون التضاد بما يخدم الإسلام والإنسانية جمعاء، وبما يحدث توازنا دنيويا وفوزا أخرويا، وانتصارا لمبادئ الحق والعدل والخير، وانتكاسا لأضدادها من باطل وظلم وشر، من خلال رسائل النور للنورسي، وذلك وفق الخطة التالية:

المحور الأول: العمل الايجابي ودوره في توجيه التضاد في أمراض القلوب الستة

أولا: فوائد نورانية:

١. الفائدة الأولى.

٢. الفائدة الثانية.

٣. مباني العمل الإيجابي.

أ. الصبر.

ب. الشكر.

ت. الخدمة الإيمانية.

ث. الرضا.

ثانيا: أمراض القلوب

١. الآثار النفسية

أ. رفض اليأس.

ب. تحري الصدق.

٢. الآثار المجتمعية

أ. التخلص من الاستبداد

ب. نبذ العداوة.

ج. تقوية الروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض
- الاحترام المتبادل.
- الشفقة والرحمة
- الابتعاد عن الحرام
- الحفاظ على الأمن.
- نبذ الفوضى والغوغائية، والدخول في الطاعة.
- عدم حصر الهمة في المنفعة الشخصية.

المحور الثاني: العمل الايجابي ودوره في توجيه التضاد في القضايا الراهنة
أولا: الإلحاد
ثانيا: التشتت الدعوي
١. الشفقة على المخالف والأخذ بيده
٢. الصبر على الأذى الذي يصدر من الإخوة في الدعوة
٣. أن يكون الاختلاف في حقيقته اختلاف في الوسائل مع الاتفاق في الغايات
٤. أن يكون الحب في الله والبغض فيه هو البوصلة التي يشق به المؤمن طريقه في الدعوة
٥. الحرص على تحيق الأمن قبل أي هدف دعوي آخر

المحور الثالث: الفعل الايجابي ودوره في تحقيق التعايش السلمي
أولا: الاستفادة من الدرس القرآني.
ثانيا: توظيف رسائل النور.
الخاتمة.

المحور الأول: العمل الايجابي ودوره في توجيه التضاد في أمراض القلوب الستة

أولا: فوائد نورانية

لا بد لنا وقبل الخوض في فلسفة التضاد ودور العمل الايجابي في توجيهها أن نقف على فوائد نورانية سطرها النورسي بدم كان على استعداد لبذله في

سبيل الله، وعرق غلف جسده الهزيل المنهك المنعزل في زوايا الزنازين التي كانت مزاره المتكرر، ودموع غسلت وجها خر ساجدا فارا من الله إليه.

الفائدة الأولى:

أن الإنسان كائن قابل لتلبس الضدين جامع للنقيضين يتصارع فيه الخير والشر وينتصر أحدهما على الأخر في جولات وينتكس في أخرى، إلا أن الغلبة في الأخير تكون لمن يغذيه أكثر، يقول النورسي: ''نعم، أيها الإنسان! إن فيك جهتين: الأولى: جهةُ الإيجاد والوجودِ والخير والايجابية والفعل، والأخرى: جهةُ التخريب والعدم والشر والسلبية والانفعال''.[2]

ويغلب النورسي جهة الشر والتخريب من حيث القدرة على الفعل وأثره على جهة الإيجاد والخير معللا ذلك بقوله: ''لأنك عندما تقوم بالخير والإيجاد فإنك تعمل على سعةِ طاقتك وبقدر جهدك وبمدى قوتك، أما إذا قمتَ بالإساءةِ والتخريب، فإن إساءتك تتجاوز وتستشري، وان تخريبَك يعم وينتشر... أن النفس الأمارة بإمكانها اقتراف جنايةٍ لا نهاية لها في جهة الشر والتخريب، أما في الخير والإيجاد فان طاقتها محدودة وجزئية؛ إذ الإنسان يستطيع هدمَ بيتٍ في يوم واحد إلا أنه لا يستطيع أن يشيّده في مائة يوم''.[3]

الفائدة الثانية:

أن الفعل الايجابي هي قوة نفسية وقدرة فكرية على تحويل مسار الأحداث بما يخدم الإيمان، والتركيز على الصمود أمام التحديات لتحقيق الهدف الأسمى الذي نذر النورسي نفسه وأتباعه لخدمته، يقول رحمه الله تعالى مخاطبا أتباعه في أواخر حياته وملخصا خبرة امتدت عقودا في نصرة الدين: ''وظيفتنا هي العمل الايجابي البنّاء وليس السعي للعمل السلبي الهدام، والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضا الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله، إننا مكلفون بالتجمل بالصبر والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي''،[4] إننا ومن خلال توضيح النورسي لماهية العمل الايجابي نجده يركز على توافر مكونات البناء الأربعة.

١. مباني العمل الإيجابي:

أ. الصبر:

إن الصبر بالنسبة للنورسي مفتاح مهم من مفاتيح الخدمة الإيمانية تجعل المؤمن يركز على الهدف ولا يلقي بالا لأشواك الطريق ولا لقُطاعها من تغريبين وعلمانين ومحسوبين على التيار الدعوي يتجاوزهم تجاوز من خلال الحفاظ على التركيز الذهني على الهدف، وتوقع الأسوأ من الصعاب وبذل الاستعداد النفسي للتصبر ثم الصبر.

ب. الشكر:

لم يكتفي النورسي بحث طلبته على الصبر في مواجهة ما يحف إنقاذ الإيمان من عثرات بل وطن فيهم بعد فضيلة الصبر فضيلة الشكر على الصبر وما كان في الأساس مدعاة له من أهوال الطريق، مؤسسا لحالة فريدة من نوعها إنها حالة: ''الصبر على البلاء مع الشكر على الابتلاء''، قاطعا الطريق على أعداء الإيمان الذين كان سلاحهم نشر الخوف بين الإتباع ونثر أشواك التضييق والسجن والتنكيل ليفاجئوا بجيل يقدس الصبر ويحبه ويشكر المولى على الاصطفاء ويرى في الابتلاء متعة الانتقاء.

لم يكن في حسبان العدو أن سلاحه ضد الإيمان سيفقد فعاليته وينقلب السحر على الساحر، ويصير النورسي الرجل الكهل المنفي كابوسا يقض مضاجعهم وهم الجبابرة الطغاة المدججون بكل أنواع الأسلحة رابحا بذلك حربا نفسية ضروسا من خلال فضيلتي الصبر والشكر ليعلمنا درسا يكتب بماء العيون: متى غذى الإنسان الروحانيات وأكسبها قوتها الحقيقية انتصر على الماديات مهما بلغت من العتاد والعدة.

ت. الخدمة الإيمانية:

لا يمكن للخدمة الإيمانية أن تؤتي أكلها ما لم يتجمل صاحبها بالصبر ويتوشح بالشكر، كما لا يمكن للصبر والشكر أن يكونا فاعلين في النفس المؤمنة ما لم تجعل هدفها الأسمى خدمة الدين واستنقاذ الإيمان من براثن الوهن والضعف وعبث العابثين، فكانت الخدمة في عيون النورسين هي سبب

الوجود، وكان والصبر على المشاق مقرونا بالشكر على الابتلاء هو الشريان الرئيس الذي يغذي الخدمة ويحميها من أمراض القلوب التي قد تحَوِّل مسارها من فعل ايجابي بناء إلى فعل سلبي يهدم الأمن والاستقرار في المجتمع سواء كان هذا الهدم بأيدي من ضلوا الطريق ممن تخيل لهم أنهم أهل الدعوة والدين، أم كان بأيدي من نذروا أنفسهم لخدمة قوى الشر والقضاء على مواطن الخير في الأمة.

ث. الرضا:

إن ما تقدم ذكره من ضرورة الصبر والشكر أثناء القيام بالخدمة لا بد أن يقترن في فكر النورسي بالرضا بما قدره الله تعالى على حماة الدين من تنكيل وتضيق وإطلاق ليد من وصفهم النورسي بأهل الضلال، ويضرب لذلك مثلا عن معاناته مع ما ارتكب في حقه من ممارسات تعسفية في محبسه وفي منفاه وكيف تعامل معها بالرضا فيقول: ''إنني قابلت المعاملات الشائنة بحقي منذ ثلاثين سنة الأخيرة بالرضا والقبول، ذلك من أجل السعي للعمل الايجابي والاجتناب عن السعي للعمل السلبي لأجل ألاّ أتدخل بما هو موكول أمره إلى الله، بل قابلتها بالرضا والصبر الجميل اقتداء بنبي الله جرجيس عليه السلام وبالصحب الكرام الذين قاسوا كثيراً في غزوة بدر وغزوة أحد''.[5]

ثانيا: أمراض القلوب

وقف النورسي من خلال خطبته الشامية على مواطن الخلل الرئيسة في الأمة الإسلامية وربطها بالانهيار الذي أصابها في كل مرافقها الحيوية، ولأنه رجل عصر البلايا والرزايا قدر له معاينة عهد انهارت فيه الأمة ودخلت في موت سريري طال أمده وامتد أثره وكان العدو أول من قطف ثمره بينما المسلمون في براثن الوهن والضعف واليأس إما على أطلال متباكين، أو عن هويتهم منسلخين، وإما فرادى منسحبين.

وكما أتقن النورسي وضع معادلة الصمود أمام التيار التخريبي عندما حدد أمراض القلوب الستة، وسطر بخط قرآني -لا تثار حياله الضجة ولا يقابل بالعداء قطعاً، ولا ينفر منه إلا الشيطان الرجيم- وصفة السلامة التي تعيد الحياة

لموتى القلوب وتشفى من كان سقيما، وتنجي من كان شقيا محروما، فقد أيقن أن للفعل الايجابي سحرا يتسلل إلى النفوس الفاترة والعقول الخاملة يوقد فيها شعلة التفاني ويسقي شتلة التحدي لتُنبِت وسط ركام الظلم والتغريب والتخلف زهرة الحرية معطرة بعزة المسلم ونور الدين تعيد الحياة والعزة لأمة بأكملها.

والفعل الايجابي في نظر النورسي قبل كل شيء حالة إيمانية تقود الفرد المؤمن إلى طريق النجاة مهما حفته المهلكات ومهما تنازعته الشهوات ومهما كانت سبيله حبلى بالعثرات، وبدون هذا الإيمان الرباني تحول هذا الفرد إلى كتلة أثقلَ من الجبل وأضرّ من الطاعون من جهة الشر والتخريب.[6]

ومتى افتقد الفعل نفحته الإيمانية فقد الأثر المرجو وإن بدا للناظر ايجابيا مستحسنا يقول الإمام النورسي موضحا ذلك: ''ومن هنا غدا ''التخريب أسهل من التعمير'' دستوراً متعارفاً لدى الناس، ولما كانت أسس الكفر والضلال والطغيان والمعصية، إنكارا ورفضاً وتركاً للعمل وعدم قبول، فصورتها الظاهرية مهما بدت ايجابية وذات وجود، إلا أنها في حقيقتها انتفاء وعدم، لذا فهي جناية سارية''.[7]

والناظر في تعامل النورسي مع أمراض القلوب ييقن خطورة الداء وفعالية الدواء، حيث تناول بعين ثاقبة وقلب نابض بالحب لأمته وعقل مثقل بتفاصيل الأزمة -التي تضرب عليها طوقا من العزلة والخوف والشك في جدوى المقاومة تشل كل فكر مستنير وتسوقه سوقا إلى القطيع ليصير إنسانا ضائعا بين الخطوب غير محسوف عليه- مشكلا استثناءا فريدا من نوعه وظاهرة فكرية قد لا تتكرر، فالداء في نظره هو أحد هذه العاهات الستة:

١. حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبعثه

٢. موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية

٣. حب العداوة

٤. الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض

٥. سريان الاستبداد سريان الأمراض المعدية المتنوعة

٦. حصر الهمة في المنفعة الشخصية

أما الدواء فهو العمل الإيجابي المتصف بالإخلاص والقادر على قلب الرديء جيدا وخبيث طيبا، إنه سحر يحول التراب إلى تبر، والهزيمة إلى نصر، ويجعل المنخرطين في التخريب ينخرطوا طواعية في البناء وحب الخير ويصيروا حماة لرسائل النور بعدما كانوا في وقت مضى أشد المضيقين عليها، إن العمل الإيجابي المدروس المؤسس يقود في الأخير إلى أثار ايجابية تقضي على أمراض القلوب وهي تتنوع بين نفسية ومجتمعية وإنسانية:

١. الآثار النفسية

أ. رفض اليأس:

إن المصاب الجلل الذي أصاب الأمة في مقتل استنهض همة بديع الزمان النورسي فتميز عن غيره ممن حملوا هم الأمة لكن خانتهم العزيمة وقوة البصيرة، لقد شكلت مكونات الصبر وقوة العزم ممزوجة بقوة الشكيمة، ومراتب اليقين بالله برزخا حمى النورسي من طوفان اليأس الذي بغى على القلوب، ومنع العقول من تدبر الحلول وتصدير النصر للشعوب المثقلة بمرارة الهزيمة والمرعوبة من بطش المنتشي بالنصر وبالتغريب، الحاقد على كل ما هو إسلامي، المدرع بدبابات الجيوش وأبواب السجون ووسائل القمع والتنكيل ما ظهر منها وما استتر.

لقد استطاع النورسي بإيجابية الفريدة وهو الرجل الفقير الضعيف الغير ذي سلطان المنفي تارة والمسجون تارة أخرى أن يكون عصيا على الأعداء ويشكل لهم كابوسا يقض مضاجعهم ويعرقل مخططاتهم، إن القوة النفسية والصلابة الفكرية والإيمان المطلق بالهدف والاستعداد التام للتضحية مهما بلغت خطورتها سمت بشخص النورسي من المادية المحضة المتأثرة بما تتأثر به النفس البشرية من عوائق الطريق إلى الروحانية المحلقة في الملكوت لا تزيدها

الخطوب والمحن إلا سموا ورفعة وقدرة عجيبة على تخطي المحن وتحويلها على منح وعطايا تنسي المنتشي بها ضر البلايا.

إن الحبس والعدوان الذي سلط عليه ما لبث أن تحول إلى انس وسلوان، والغربة التي عاشها سرعان ما صارت خلوات ربانية تشد عضده وتهون عليه وعثاء السفر وتنسيه كآبة المنظر، والشيخوخة التي سقت جسمه وهنا لم تزد روحه إلا جبروتا يسمو فوق الجراح يحولها إلى رحيق عذب صاف تتهافت عليه جموع العطشى والمريدين في غدوة وروحة رسمت فسيفساء الصبر والتصبر وسط قسوة مادية عولمية بسطت سحب الإلحاد والزندقة ومعادة كل ما هو إسلامي على ربوع العالم المخدر بالشهوات المحفوف بالمنكرات.

ب. تحري الصدق:

لقد عاش سعيد القديم سنوات من عمره يسعى إلى الإصلاح السياسي والمجتمعي وساءه تفشي الكذب والخداع بين أبناء الدين الواحد ويعبر عن ذلك بقوله: ''لقد خاض سعيد القديم غمار السياسة ما يقارب العشر سنوات علّه يخدم الدين والعلم عن طريقها، فذهبت محاولته إدراج الرياح، إذ رأى أن تلك الطريق ذات مشاكل، ومشكوك فيها، وان التدخل فيها فضول بالنسبة إليَّ فهي تحول بيني وبين القيام بأهم واجب، وهي ذات خطورة، وان اغلبها خداع وأكاذيب، وهناك احتمال أن يكون الشخص آلة بيد الأجنبي دون أن يشعر.[8]

إن تفشي الكذب بين النخبة وبين العامة ينذر بفناء الأمة وانتفاء الإيمان الذي نذر النورسي نفسه وأتباعه لخدمته، يقول النورسي: ''إن الكفر بجميع أنواعه كذب، والإيمان إنما هو صدق''،[9] ما جعله يقف موقفا حازما منه، فيقول: ''أما الكذب فلا يسمح به قطعا''.[10]

إذ من غير المعقول أن يكون الشخص مؤمنا وغير مؤمن، ولا صادقا وغير صادق، ومن هنا وجب تحري الصدق وترك الكذب يقول النورسي: ''وعلى هذا فالطريق اثنان لا ثالث لهما: 'إما الصدق وإما السكوت' وليس الصدق أو الكذب أو السكوت قطعا''.[11]

إن الحل الوحيد هو تبني الصدق منهجا وسبيلا مع الموافق ومع المخالف بما يجعل المفتونين والمغيبين يراجعون أنفسهم بصدق ويختارون الصواب لأنفسهم بعد التعامل معهم بصدق وإرشادهم إلى قراءة رسائل النور، يقول: ''نعم، إن عدد الذين أنقذوا إيمانهم برسائل النور، واندفع بها خطرهم عن المجتمع، بل أصبحوا أعضاء نافعين ايجابيين يزيد كثيراً على مائة ألف شخص، وهم يشغلون مناصب رفيعة في كل دائرة من دوائر الحكومة الجمهورية، ويمثلون مختلف طبقات الناس، وهم يعملون بتفانٍ وإخلاص كاملين وعلى أتم وجه من الصدق والنفع والاستقامة... فالإنصاف يقتضي إذا حماية هؤلاء ومساندتهم لا محاولة الإساءة إليهم.''[12]

٢. الآثار المجتمعية

أ. التخلص من الاستبداد

إذا تخلى الإنسان عن الأنانية، وطلب الخير والوجود من التوفيق الإلهي وأرجَعَ الأمر إليه، وابتعد عن الشر والتخريب، وترك إتباع هوى النفس، فاكتمل عبداً لله تعالى تائباً مستغفراً، ذاكراً له سبحانه. فسيكون مَظهراً للآية الكريمة: ﴿يُبدّلُ اللهُ سَيّئاتِهم حَسَنات﴾،[الفرقان:٧٠] فتنقلب القابلية العظمى عندَه للشر إلى قابلية عظمى للخير، ويكتسب قيمة '' أحسن تقويم '' فيحلق عالياً إلى أعلى عليين.[13]

وقد سئل النورسي عندما كان مسجونا في منطقة بارلا أن يطلب من الجهات الرسمية السماح له بزيارة بعض البلدات المجاورة للراحة فقال: أن طلب الحق من مدّعي الحق زوراً ومراجعتهم ظلمٌ وبخس للحق وقلة توقير له، فلا أريد أن ارتكب هذا الظلم، ولا هذا التهوين من شأن الحق... ثم قال مثلما قال عنترة:

ماءُ الحياة بذلةٍ كجهنم وجهنم بالعزّ أفخرُ منزل.[14]

ب. نبذ العداوة:

إذا كانت أمراض القلوب التي حددها النورسي تشكل خطرا على كيان الأمة، فإن مرض العداوة يشكل ذروة المخاطر وشر الشرور، وهو عند النورسي مرض

اجتماعي خطير وحالة اجتماعية مؤسفة أصابت الأمة الإسلامية يدمي لها القلب، أنه يقر في حيرة عدم فهمه لعدم نبذ المسلمين للعداوة بينهم والاتحاد رغم تكالب الأعداء فيقول: ''إن اشد القبائل تأخراً يدركون معنى الخطر الداهم عليهم، فتراهم ينبذون الخلافات الداخلية، وينسون العداوات الجانبية عند إغارة العدو الخارجي عليهم، وإذا تقدّر تلك القبائل المتأخرة مصلحتهم الاجتماعية حق قدرها، فما للذين يتولون خدمة الإسلام ويدعون إليه لا ينسون عداوتهم الجزئية الطفيفة فيمهدون بها سبل إغارة الأعداء الذين لا يحصرهم العد عليهم؟! فلقد تراصف الأعداء حولهم وأطبقوا عليهم من كل مكان.. إن هذا الوضع تدهور مخيف، وانحطاط مفجع، وخيانة بحق الإسلام والمسلمين''.[15]

لقد وضع النورسي يده على جرح نازف في قلب الأمة الإسلامية حين وضع على كفة الميزان بعض الإخوة في الدين والأعداء في الكفة الأخرى فرجحت كفة العدو فيقول: ''وعلى الرغم من أن الروس كانوا ينظرون إلي بصفة قائد للمتطوعين الأكراد والظالم الذي يذبح الأسرى والقازاق، إلا أنهم لم يمنعوني من إلقاء الدروس... ولم يمنعونا من الاختلاط والاتصال بعضنا مع البعض ولم يقطعوا عنا المراسلات... بينما أرى هؤلاء الذين يفترض فيهم أنهم إخواني في الدين وفي الوطن يمنعونني من الدرس بغير سبب،... فضلاً عن ذلك لو ذكرني احدهم بخير، يغضب الموظف المراقب عليّ، ويحاول بشتى الوسائل أن يهوّن من شأني، ويشدّد من المضايقات كي يحصل على تكريم من آمريه والتفاتهم إليه... ولكني أقول: إن كثيراً من المنافقين قد اندسوا بين أصدقائي هؤلاء، وحيث أن المنافق اشد من الكافر وأخبث منه، فلهذا يذيقونني من العذاب ما لم يذقني إياه كفار الروس''.[16]

ثم يقول مبينا الحل الوحيد الأوحد والمتمثل في فعل ايجابي يقضي على العداوة إنه التآخي: ''ليس لكم أمام جميع أولئك الأعداء الألداء إلا ذلك السلاح البتار والخندق الأمين والقلعة الحصينة، ألا وهي الإخوة الإسلامية، فأفق أيها المسلم! واعلم إن زعزعة قلعة الإسلام الحصينة بحجج تافهة وأسباب واهية خلاف للوجدان الحي وأي خلاف ومناف لمصلحة الإسلام كلياً... فانتبه!

ولقد ورد في الأحاديث الشريفة ما مضمونه: إن الدجال والسفياني وأمثالهما من الأشخاص الذين يتولون المنافقين ويظهرون في آخر الزمان، يستغلون الشقاق بين الناس''.[17]

إنه يربي أتباعه على الايجابية في التعامل مع المخطئين بما يسد الثغرات أمام النعرات التي تبث العداوة بين المسلمين، فيقول في وصية مشفقا على الأتباع وعلى المخالفين: ''إخواني! إن مرضي قد اشتد كثيراً، ولعلي أتوفى قريباً، أو امنع من المكالمة كلياً -كما كنت امنع أحيانا منها- لذا فعلى إخوتي في الآخرة أن يتجاوزوا عن الهجوم على أخطاء بعض المخطئين المساكين، وليعدّوها من قبيل أهون الشرين، وليقوموا بالعمل الايجابي دائماً؛ لأن العمل السلبي ليس من وظيفتنا؛ ولأن العمل السلبي في الداخل لا يُغتفر، ومادام قسم من السياسيين لا يلحقون الضرر برسائل النور، بل مسامحون قليلاً، لذا انظروا إليهم كأهون الشرين، ومن أجل التخلص من أعظم الشر فلا تمسوهم بضرر بل حاولوا أن تنفعوهم.[18]

ج. تقوية الروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض

لقد ساء النورسي ما عاصره من فتور للروابط الإيمانية التي تربط المسلمين وانتشار للفكر القومي -وما يحمله ذوق للنفس، ولذة تُغفل، وقوة مشؤومة- الذي صار مطية لأجندة أوروبية تستغله لتمزيق المسلمين تمهيدا لابتلاعهم، ولهذا ورد في الحديث الشريف (أن الإسلام يجبّ ما قبله) ويرفض العصبية الجاهلية، وأمر القرآن الكريم بـ ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.الفتح:٢٦ فهذه الآية الكريمة والحديث الشريف يرفضان رفضاً قاطعاً القومية السلبية وفكر العنصرية.[19]

وكما أن القومية داء فإن العصبية والعنصرية داء يفتك بالأمة يمزقها فرقا وشيعا، وقد حاول البعض بلا طائل اللعب على هذا الوتر لثني النورسي عن المضي في الخدمة الإيمانية حيث سأله البعض: ''يطلقون عليك اسم 'سعيد الكردي' فلربما تحمل فكر العنصرية والدعوة إليها، وهذا ما لا يتفق وشأننا ولا

طائل لنا به''، فيرد قائلا: ''وأنا أقول: أيها السادة! إن ما كتبه سعيد القديم وسعيد الجديد في متناول اليد، أبينه شاهداً ولقد نظرت -منذ السابق- إلى القومية السلبية والدعوة إلى العنصرية نظرة السم القاتل، لأنها مرض أوروبي خبيث سار، وذلك حسب الأمر النبوي الجازم بان الإسلام يجب العصبية الجاهلية، ولقد ألقت أوروبا بذلك المرض الوبيل بين المسلمين ليمزقهم ويفرّقهم شذر مذر ليسهل عليها ابتلاعهم قطعاً.[20]

لقد رأى الأستاذ أن العلاج الوحيد لهذه الحالة والحيلولة دون رؤية نتيجتها الوخيمة هو في تسعة أمور آتية:[21]

- العمل الايجابي البنّاء، وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلا.

- على المسلم أن يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام -مهما كان نوعها- والتي ستكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفاق فيما بينها فيتفق معها.

- على المسلم اتخاذ دستور الإنصاف دليلاً ومرشداً، وهو أن صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: ''إن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل'' من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: ''الحق هو مسلكي فحسب'' أو ''أن الحسن والجمال في مسلكي وحده'' الذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها.

- العلم بان الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي وأحد منابع العزة الإسلامية.

- الحفاظ على الحق والعدل بإيجاد شخص معنوي، وذلك بالاتفاق مع أهل الحق للوقوف تجاه أهل الضلالة والباطل الذين اخذوا يغيرون بدهاء شخص معنوي قوي في صورة جماعة على أهل الحق -بما يتمتعون به من

تساند واتفاق- ثم الإدراك بأن أية مقاومة فردية -مهما كانت قوية- مغلوبة على أمرها تجاه ذلك الشخص المعنوي للضلالة.

- ولأجل إنقاذ الحق من صولة الباطل

- ترك غرور النفس وحظوظها.

- وترك ما يُتصور خطأً انه من العزة والكرامة.

- وترك دواعي الحسد والمنافسة والأحاسيس النفسانية التافهة.

بهذه النقاط التسع يُظفر بالإخلاص ويوفي الإنسان وظيفته حق الوفاء ويؤديها على الوجه المطلوب.

ويخلص النورسي في الأخير إلى مجموعة الأفعال الإيجابية التي تقضي على أمراض القلوب وتنقذ الحياة الاجتماعية وهي خمسة:[22]

- الاحترام المتبادل

- الشفقة والرحمة

- الابتعاد عن الحرام

- الحفاظ على الأمن:

يقول الأستاذ النورسي: ''نعم، إن في مسلكنا قوة، إلا إننا لم نقم باستعمالها إلا في تأمين الأمن الداخلي؛ لذا قمت طوال حياتي بتحقيق الأمن الداخلي إتباعا لدستور الآية الكريمة: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾،[الأنعام:١٦٤] أي لا يجوز معاقبة إنسان بجريرة أخيه أو أحبائه، إن هذه القوة لا يمكن استعمالها إلا ضد الهجمات الخارجية، إن وظيفتنا -وفق دستور الآية الكريمة المذكورة- هي الإعانة على ضمان الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة''.[23]

- نبذ الفوضى والغوغائية، والدخول في الطاعة:

يقول النورسي: ''إذ ينبغي الوقوف أمام التخريب المعنوية التي تستهدف الداخل بشكل ايجابي بناء، بالإخلاص التام، إن الجهاد في الخارج يختلف عما

هو في الداخل، وقد أحسن إلي المولى سبحانه وتعالى بملايين من الطلاب الحقيقيين، فنحن نقوم بالعمل الايجابي البناء بكل ما نملك من قوة في سبيل تأمين الأمن الداخلي، فالفرق عظيم بين الجهاد الداخلي والخارجي في الوقت الحاضر."[24]

- عدم حصر الهمة في المنفعة الشخصية:

ينذر النورسي أتباعه من مرض العصر وهو الأنانية وحب النفس، واشتهاء قضاء حياة جميلة في ظل مباهج وزخارف المدنية الجذابة وأمثالها من الأمراض المزمنة، ويبين لهم أن أول درس من دروس رسائل النور الذي تلقيته من القرآن الكريم، هو التخلي عن الأنانية وحب النفس، حتى يتم إنقاذ الإيمان بالتقلد بالإخلاص الحقيقي.[25]

ويبين لهم أن قوتهم تذهب أدراج الرياح من جراء أغراضهم الشخصية وأنانيتهم وتحزبهم، وأن قليلة جداً تتمكن من أن تذيقهم الذل والهلاك، ما لم يتمسكوا بالدستور الإلهي: (المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضَاً).[26]

إن تغليب المصالح الشخصية على المصلحة العامة صار خطرا محققا يهدد وحدة الأمة، يقول النورسي: "إن كان التفرق والتحزب لأجل الحق وباسمه، فلربما يكون ملاذ أهل الحق، ولكن الذي نشاهده من التفرق إنما هو لأغراض شخصية ولهوى النفس الأمارة بالسوء. فهو ملجأ ذوي النيات السيئة بل متكأ الظلمة ومرتكزهم، فالظلم واضح في تصرفاتهم."[27]

المحور الثاني: العمل الايجابي ودوره في توجيه التضاد في القضايا الراهنة

أولا: الإلحاد

إن العالم المادي المجرد من كل ما هو إنساني المعادي لكل ما هو روحاني عالم تعاني فيه الأنفس الخيرة والطباع السليمة من فتنة الشر والإلحاد والزندقة وضرب ثوابت الأمة، حيث تضطرب الأفكار وتزيغ الأبصار، وتحرك فيها نوازع الشر والتمرد على الخير.

ويقول النورسي مخاطبا دعاة التغريب والملحدين: ''يا من يحثّ المسلمين ويشوّقهم على حُطام الدنيا ويسوقهم قسراً إلى صنائع الأجانب والتمسك بأذيال رقيّهم، ويا مدّعي الحمية، أيها الشقي! تمهّل، وتأمّل! واحذر من انقطاع عُرى الدين لبعض أفراد هذه الأمة وانفصام روابطهم معه، لأنه إذا انقطعت تلك الروابط لدى البعض تحت سطوة مطارق التقليد الأعمى والسلوك الأرعن، فسيكونون مُلحدين مضرّين بالمجتمع، مُفسدين للحياة الاجتماعية كالسّم القاتل، إذ المرتد سمٌ زعاف للمجتمع، حيث قد فسد وجدانه وتعفنت طويته كلياً''.[28]

ثانيا: التشتت الدعوي

لقد فرق النورسي بين ما يعد اختلافا يورث رحمة بين المسلمين وبين ما يعد اختلافا يورث فرقة وتنافر وتدابر، إذ أن الاختلاف الوارد في قوله ﷺ: (اِخْتِلافُ أُمَّتي رَحْمَةٌ) هو الاختلاف الايجابي البنّاء المثبت، ومعناه: أن يسعى كل واحد لترويج مسلكه وإظهار صحة وجهته وصواب نظرته، دون أن يحاول هدم مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإبطال مسلكهم، بل يكون سعيه لإكمال النقص ورأب الصدع والإصلاح ما استطاع إليه سبيلاً.[29]

أما الاختلاف السلبي فهو محاولة كل واحد تخريب مسلك الآخرين وهدمه، ومبعثه الحقد والضغينة والعداوة، وهذا النوع من الاختلاف مردود أصلا في نظر الحديث، حيث المتنازعون والمختلفون يعجزون عن القيام بأي عمل ايجابي بناء.[30]

هذا الاختلاف هو البيئة الحاضنة للضعف والوهن وتكالب الأعداء وانتصارهم، فانتصار أهل الباطل على أهل الحق إنما هو حاصل بسبب اغتنامهم اختلاف أهل الحق، واستغلال نقاط الضعف عندهم والنفث فيها، وإثارة الغرائز الحيوانية والنفسانية والأغراض الشخصية عندهم، ولكن هذا الانتصار الوقتي لهم لا قيمة له ولا أهمية أمام بشرى الله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، الأعراف:١٢٨ والسر الكامن في (الحقُّ يعلو ولا يُعلى عليه)، إذ يصبح سبباً لدخولهم النار وفوز أهل الحق بالجنّة.[31]

لقد حرص النورسي على قطع الطريق أمام دعاة الفتن وأهل الباطل من خلال غرس مبدأ الأخوة بين طلبته وحثهم على النظر إلى المخالف أو المخطئ بعين الرحمة والشفقة والأخذ بيده إلى بر الأمان والعودة به إلى حاضنة الإيمان، إننا ومن خلال وصيته القيمة لطلبته التي حثهم فيها على تبني السلوك الايجابي والعمل البناء يمكن أن نستخلص أهم ما يمكن لطلاب النور التشبث به في تعاملهم مع إخوانهم في الدعوة إذ يقول لهم: ''إخواني! لا تهاجموا بعض العلماء الذين ظنوا بعض الجاءات العصر ضرورة، وركنوا إلى البدع، لا تصادموا هؤلاء المساكين الذين ظنوا الأمر ضرورة، بدون علم وعملوا وفقها، ولهذا فنحن لا نقوم باستعمال قوتنا في الداخل. فلا تتحرشوا بهم وان كان المعارضون لنا من العلماء الائمة. إنني قد تحملت وحدي المعارضات كافة، ولم افتر مقدار ذرة قط. ووفّقت في تلك الخدمة الإيمانية بإذن الله، فالآن رغم وجود ملايين من طلبة النور، فإنني أسعى بالعمل الايجابي وأتحمل جميع مظالمهم واهاناتهم وإثاراتهم''.[32]

إن السلامة من فخ التشتت الدعوي يستلزم أفعالا ايجابية بناءة أكثر من أن تحصى ولعل أهمها:

١. الشفقة على المخالف والأخذ بيده

٢. الصبر على الأذى الذي يصدر من الإخوة في الدعوة

٣. أن يكون الاختلاف في حقيقته اختلاف في الوسائل مع الاتفاق في الغايات

فتصادم الآراء ومناقشة الأفكار لأجل الحق وفي سبيل الوصول إلى الحقيقة إنما يكون عند اختلاف الوسائل مع الاتفاق في الأسس والغايات، فهذا النوع من الاختلاف يستطيع أن يقدم خدمة جليلة في الكشف عن الحقيقة وإظهار كل زاوية من زواياها بأجلى صور الوضوح.[33]

٤. أن يكون الحب في الله والبغض فيه هو البوصلة التي يشق به المؤمن طريقه في الدعوة

يقول النورسي: ''ان لم تكن تصرفات المؤمن وحركاته وفق الدساتير السامية التي وضعها الحديث الشريف: الحب في الله والبغض في الله '' والاحتكام إلى أمر الله في الأمور كلها، فالنفاق والشقاق يسودان.. نعم، إن الذي لا يستهدي بتلك الدساتير يكون مقترفاً ظلماً في الوقت الذي يروم العدالة.[34]

٥. الحرص على تحقيق الأمن قبل أي هدف دعوي آخر

يقول النورسي: ''إن طلبة النور ليسوا بعيدين فقط عن الإضرار بالأمن والإخلال بالاستقرار بل إنهم يعملون بكل قواهم وبكل قناعاتهم لحفظ الأمة من الفوضى والفتن''.[35]

المحور الثالث: الفعل الايجابي ودوره في تحقيق التعايش السلمي

إن أول ما افتتح الله عز وجل به كتابه العزيز قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾،الفاتحة:٢ حيث عرف عن نفسه لعباده بأنه رب العالمين عربا وعجما بدوا وحضرا مسلمين وكفارا، وكذا كان رسوله الكريم في دعوته للإسلام قال تعالى عن نبيه محمد: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾،الأنبياء:١٠٧ وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.سبأ:٢٨

إن ما سبق ذكره يؤسس لعالمية الرسالة المحمدية باعتبارها آخر الرسالات وإذا كان الأنبياء عليهم السلام أرسلوا إلى أقوامهم، فإن الحبيب المصطفى كان المرسل بالدين الإسلامي إلى البشرية جمعاء بجميع ألوانها وأجناسها بجميع عصورها وأزمنتها، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾،الفرقان:١ وقال ﷺ: (فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ).[36]

إن الإسلام حق مشاع وثروة مشتركة لجميع الأمم والشعوب، والعناصر والأجناس،[37] وهو الدين الذي ارتضاه الله ورسوله للبشرية وقد أعلنها ﷺ في حجة الوداع، وختم بها حديثه مع المسلمين وغيرهم فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾.المائدة:٣

يقول النورسي: ''ولكن أحد أسرار كون القرآن الكريم رحمة للعالمين هو: مثلما انه رحمة للمسلمين جميعاً، فهو رحمة لجميع الكفار أيضا وبني آدم اجمع، حيث يورثهم احتمال وجود الآخرة ووجود الله سبحانه، فيخفف عنهم بهذا الاحتمال شيئاً من الجحيم المعنوي الذي يكتوون بناره في هذه الحياة الدنيا، وهذا سر دقيق من أسرار كون القرآن رحمة للخلق أجمعين''.[38]

ويقول في موضع أخر: ''إن الرسول ﷺ قد أرسل إلى البشرية كافة، قدوةً وإماما ورائداً، كي تتعلم منه مناهج الحياة الاجتماعية والشخصية ودساتيرَها، وتَتعود على الانقياد لقوانين الإرادة الإلهية الحكيمة وتنسجم مع دساتيرها الربانية، فلو كان الرسول ﷺ مستنداً إلى المعجزات وخوارق العادات في جميع أفعاله الشخصية منها والاجتماعية لما تسنّى له أن يكون إماماً مطلقاً ولا قدوةً كاملة حسنة للبشرية قاطبةً''.[39]

إن الحياة البشرية ما هي إلا كركب وقافلة تمضي، ولقد رأيت بنور القرآن الكريم في هذا الزمان، إن طريق تلك القافلة الماضية أدت بهم إلى مستنقع آسن، فالبشرية تتعثر في سيرها فهي لا تكاد تقوم حتى تقع في أوحال ملوثة منتنة.[40]

لقد رأى النورسي في العنصرية أكبر خطر يهدد التعايش السلمي بين أفراد المجتمع الإنساني: ''وكذلك شعوب أوروبا، لما دعوا إلى العنصرية وأوغلوا فيها في هذا العصر نجم العداء التاريخي المليء بالحوادث المريعة بين الفرنسيين والألمان كما أظهر الدمار الرهيب الذي أحدثته الحرب العالمية، مبلغ الضرر الذي يلحقه هذا الفكر السلبي للبشرية.''[41]

ورأى في الإرهاب مستنقعا يسقط الأمة والأمم المجاورة لها في دوامة القتل والدمار: ''إن قسم الضلالة من العلم والفلسفة، أي غير المتوافق مع القرآن الكريم والمنحرف عن الصراط السوي قد بدأ بنشر الكفر المطلق على طراز الشيوعيين، فبدأ بتطعيم أفكارهم المولدة للفوضى والإرهاب ونشرها بوساطة المنافقين والزنادقة وبوساطة قسم من السياسيين الكفرة، ولهذا فان إحدى المعجزات المعنوية للقرآن الحكيم انه قد منح هذا الدرس لطلاب رسائل النور

ليكونوا سداً إمام الكفر المطلق والإرهاب في هذا القرن، وحقاً أن الرسائل أدت دورها.''[42]

إن القانون الأساس للسياسة البشرية هو: يضحّى بالإفراد من اجل سلامة الأمة، وتُفدى بالأشخاص حفاظاً على الجماعة. ويرخص كل شيء في سبيل حماية الوطن.

فجميع الجرائم البشعة التي ارتكبت في البشرية إلى الآن إنما ترتكب بالاستعمال السيئ لهذه القاعدة ولهذا القانون الأساس، فلقد تيقنت من هذا يقيناً قاطعاً. فهذا القانون البشري الأساس ليس له حدّ معين ولا ضوابط مخصصة، لذا فقد مهّد السبيل للتلاعب باستعماله بكثرة.[43] بينما في القانون الرباني يتلخص في آيتين عظيمتين ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾،[الأنعام:١٦٤] و﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾.[المائدة:٣٢]

فهاتان الآيتان تعلّمان القاعدة الجليلة الآتية:

أ. لا يؤاخذ احد بجريرة شخص آخر.

ب. أن البريء لا يُضحّى به -حتى من اجل جميع الناس- دون رضاه، ولكن لو ضحى بنفسه بإرادته وبرضاه فتلك مرتبة الشهادة.[44]

إن فلاح الأمة الإسلامية وقدرتها على التعايش السلمي مع باقي الأمم بما يحفظ عزتها ويقوي كيانها مطلب شرعي أزلي، وقد بين النورسي كيفية الوصول إلى هذا المبتغى من خلال آليتين اثنين:

الأولى: الاستفادة من الدرس القرآني:

نعم إن هذا الدرس القرآني هو الذي وقانا من هذا التيار الجارف الذي استولى على الصين ونصف أوروبا ودول البلقان وأقام سداً أمام هذا الهجوم، وهكذا وُجد حل سليم أمام هذا الخطر الداهم.[45]

الثانية: توظيف رسائل النور:

إن أجزاء رسائل النور التي ليست سوى علوم إيمانية، تؤسس الأمن والنظام، ذلك لأن الإيمان الذي هو منبع الخُلُق الحسن والخصال الحميدة ومنشؤها، لن يخلّ بالأمن بل يحققه ويضمنه. أما ما يخل بالأمن فهو عدم الإيمان بسوء خُلُقه وسجيته.[46]

كما أن رسائل النور أصبحت وسيلة لإنقاذ الإنسانية من الإرهاب -شيئاً ما- أصحبت وسيلة للتآخي والوحدة بين الأخوين الجليلين للإسلام وهما العرب والترك، وكذلك أصبحت وسيلة لنشر الأحكام الأساسية للقران الكريم حتى بتصديق أعدائها.[47]

الخاتمة:

إن النورسي وكما أتقن وضع معادلة الصمود أمام التيار التخريبي عندما حدد أمراض القلوب الستة، وسطر بخط قرآني -لا تثار حياله الضجة ولا يقابل بالعداء قطعاً، ولا ينفر منه إلا الشيطان الرجيم- وصفة السلامة التي تعيد الحياة لموتى القلوب وتشفى من كان سقيما، وتنجي من كان شقيا محروما، فقد أيقن أن للفعل الايجابي سحرا يتسلل إلى النفوس الفاترة والعقول الخاملة يوقد فيها شعلة التفاني ويسقي شتلة التحدي لتُنبِت وسط ركام الظلم والتغريب والتخلف زهرة الحرية معطرة بعزة المسلم ونور الدين تعيد الحياة والعزة لأمة بأكملها.

* * *

الهوامش:

[1] أستاذ مشارك، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.
[2] الكلمة الثالثة والعشرون، ص:٣٦٠.
[3] الكلمة الثالثة والعشرون، ص:٣٦٠.
[4] سيرة ذاتية، ص: ٤٦٩.
[5] سيرة ذاتية، ص: ٤٦٩.
[6] الكلمة الثالثة والعشرون، ص:٣٦٠.
[7] الكلمة الرابعة عشر، ص: ١٩١.
[8] المكتوب السادس عشر، ص: ٧٩.
[9] الخطبة الشامية، ص:٥٠.
[10] الخطبة الشامية، ص:٤٦.
[11] الخطبة الشامية، ص:٤٦.
[12] الشعاع الرابع عشر – ص: ٤١٥.
[13] الكلمة الثالثة والعشرون، ص: ٣٦١.
[14] المكتوب السادس عشر – ص: ٩٢-٩٤.
[15] المكتوب الثاني والعشرون – ص: ٣٤٩.
[16] المكتوب السادس عشر – ص: ٩٥.
[17] المكتوب الثاني والعشرون – ص: ٣٤٩.
[18] سيرة ذاتية – ص: ٤٧٣.
[19] المكتوب السادس والعشرون – ص:٤١٤.
[20] المكتوب الثالث عشر، ص: ٥٩.
[21] اللمعة العشرون، ص: ٢٢٩.
[22] الشعاع الرابع عشر، ص: ٤٠٦.
[23] سيرة ذاتية، ص: ٤٦٩.
[24] سيرة ذاتية ، ص: ٤٧٠.
[25] سيرة ذاتية ، ص: ٤٧٤.
[26] المكتوب الثاني والعشرون، ص: ٣٥٠.
[27] سيرة ذاتية، ص: ٤٧١.
[28] اللمعة السابعة عشرة، ص: ١٨٦.
[29] المكتوب الثاني والعشرون، ص: ٣٤٧.
[30] المكتوب الثاني والعشرون، ص: ٣٤٧.
[31] اللمعة الثالثة عشرة، ص: ١٣١.
[32] سيرة ذاتية، ص: ٤٧١.
[33] سيرة ذاتية، ص: ٤٧١.
[34] المكتوب الثاني والعشرون، ص: ٣٤٨.
[35] الشعاع الرابع عشر، ص: ٤٢٧.
[36] أخرجه مسلم في صحيحه، المساجد ومواضع الصلاة، برقم: ٥٢٣.

[37] حمد بن ناصر، أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٣هـ، ١٤١٤هـ، ص:١٨٢.
[38] سيرة ذاتية ، ص: ٤٧١-٤٧٢.
[39] اللمعة الثالثة عشرة ، ص: ١٢٥.
[40] المكتوب الثالث عشر، ص: ٥٩.
[41] المكتوب السادس والعشرون، ص:٤١٤.
[42] المكتوب السادس والعشرون، ص:٤١٤.
[43] اللمعة الثالثة عشرة ، ص: ١٣١.
[44] ملحق أميرداغ/٢، ص: ٣٧٧.
[45] المكتوب السادس والعشرون، ص:٤١٤.
[46] سيرة ذاتية ، ص: ٢٥٨.
[47] سيرة ذاتية، ص: ٤٧١-٤٧٢.

الجهاد الفكري وعلاقته بالعمل الإيجابي في رسائل النور

Intellectual Jihad and Its Relation with Positive Action in the Risale-i Nur

ABSTRACT

Benomar Lakhsasi

The issue of maqasid (the goals, purposes) is considered the most important milestone of the positive action for Nursi, and this is very important because the goal is a compass to know the direction and it is important in determining the means of progressing. The goals of positive action are a group of circles; the smaller one is included under the bigger one. The narrower the circle, the stronger the influence is on other circles. They are divided to: the goal of sincerity, the goal of word and action, the goal of achieving and maintaining security, and the goal of reforming and bringing happiness to the human society.

Some of the means of positive action are showing the shortest path to God, entrusting the affairs of creatures to the Creator, having ethical conduct with everyone and in different circumstances, as well as collective action. One indication of the intellectual jihad for Nursi, which is briefly explained in the introduction of "The Supreme Sign," is contemplating the issues of positive action and intellectual jihad, and thus realizing that each one is necessary for the other. That is because positive action necessitates protecting the intellectual jihad, and the latter has no goal other than the positive action, so the relation between the two is complementary and supportive.

* * *

الملخص

بنعُمر لخصاصي[1]

تعدُّ مسألة المقاصد أهم مَعلم من معالم العمل الإيجابي عند النورسي، وهذا أمر مهم جدا، إذ المقصد بَوْصَلَة تتحدد بها الوجهة، وفي ذلك أيضا نوع تحديد

لوسائل السير، ومقاصد العمل الإيجابي مجموعة دوائر الصغير منها منضو تحت الأكبر منه، كلما كانت الدائرة أضيق كان تأثيرها أقوى في سائر الدوائر، وتنقسم إلى مقصد الإخلاص ومقصد القول والعمل ومقصد تحقيق الأمن والحفاظ عليه ومقصد إصلاح وإسعاد المجتمع الإنساني.

ومن وسائل العمل الإيجابي بيان أقصر الطرق إلى الله، وتفويض أمر الخلق إلى الخالق وهو يتم بأشكال كثيرة، والتحلي بمكارم الأخلاق مع الجميع وفي مختلف الظروف، وكذا العمل الجماعي. ومن دواعي الجهاد الفكري عند النورسي التي أجملها في مقدمة الآية الكبرى إنعام النظر في قضيتي العمل الإيجابي والجهاد الفكري، ليلاحظ أن كلا منهما ضروري للآخر، لأن من مقتضيات العمل الإيجابي حماية الجهاد الفكري، وهذا الأخير لا مقصد له إلا العمل الإيجابي، وبالتالي فإن العلاقة بينهما علاقة تكامل على صعيد التصور، وتساند على صعيد النزيل.

* * *

يئن واقع الإنسانية، في زمن الناس هذا، تحت وطأة ألم عميق، وشقاء مرير، وتيه واسع عريض، وما ذاك إلا بما كسبته أيدي كثير منا، بالخروج عن نهج الخالق الرازق المنعم الكريم رب العالمين. ويجد المؤمن؛ الذي لا يرضى بالمنكر وانتشاره ولا بالذل وهوانه؛ نفسه أمام خيارين: الأول منهما القبول والاستكانة للظلم، مما يزيد في طغيان الطغاة، وشره العصاة عباد الشهوات؛ وثانيهما: اعتماد أسلوب الثورات لإصلاح الأوضاع السلبية.

ويشهد التاريخ عبر مختلف حقبه ويؤيّده الواقع، أن هذا الخيار لا يزيد الأمر إلا سوءًا، بسفك الدماء وتخويف الناس، ونشر الفتن، وتبديد المال، وتمزيق الأوطان، وتعميق الأحقاد؛ وبعد ذلك يعود الاستبداد -غالبا- من جديد بشرعية الثورة، فتعيث في الأرض فسادا، فكم من ثائر بالأمس صار مستبد اليوم.

أمام هذه الوضعية، التي تخير بين أمرين أحلاهما مر، يطلع علينا بديع الزمان النورسي -رحمه الله رحمة واسعة- من خلال رسائل النور، بخيار ثالث

هو العمل الإيجابي، الذي يبني ولا يهدم؛ والذي يتأسس على الإيمان؛ هذا الإيمان الذي يتعرض باستمرار لمحاولات الطمس والإطفاء، يحتاج إلى الاسترداد ثم الدفاع عنه ليؤدي وظيفته في الحياة، ولن تكون وسيلة الدفاع إلا إيجابية أيضا، وهي الجهاد الفكري الذي يُقوّض ويجتث الجذور الفكرية لكل أنواع الظلم والغلبة والعبثية والإباحية...

هذا ما سيتطرق إليه هذا البحث من خلال محاولة الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما هو العمل الإيجابي والجهاد الفكري عند النورسي؟ ما دواعيهما؟ ما أشكال العلاقة بينهما؟

المبحث الأول: مفهوم العمل الإيجابي ومقاصده عند النورسي

المطلب الأول: مفهوم العمل الإيجابي عند النورسي:

العمل الإيجابي، عند النورسي، هو خدمة الإيمان، المؤسس على الحقائق القطعية، المنتج للسلوكات العملية -الفردية والجماعية- البناءة، المحققة لمصلحة الإنسان العاجلة والآجلة، المنزهة عن كل الوسائل الهدامة.[2]

اختار بديع الزمان النورسي أنجع طريق لخدمة الدنيا والآخرة، وخدمة المجتمع المسلم والمجتمع الإنساني؛ ويتمثّل في إبراز حقائق الإيمان وإشاعة نورها لأن النور يطرد الظلام تلقائيا، وقد كان هذا الاختيار نابعا من فهم عميق لواقعه المحلي والعالمي الذي لا يجدي فيه مسلك المغالبة السياسية خلال تلك الفترة على الأقل، فقد قال: ''أعظم خطر على المسلمين في هذا الزمان هو فساد القلوب وتزعزع الإيمان بضلال قادم من الفلسفة والعلوم. وإن العلاج الوحيد لإصلاح القلب وإنقاذ الإيمان إنما هو النور وإراءة النور. فلو عُمل بهراوة السياسة وصولجانها وأُحرز النصر، تدنى أولئك الكفار إلى درك المنافقين. والمنافق – كما هو معلوم – أشد خطرا من الكافر وأفسد منه. فصولجان السياسة إذن لا يصلح القلب في مثل هذا الوقت، حيث يُنزل الكفر إلى أعماق القلب ويتستر هناك وينقلب نفاقا.''[3]

ومن أجل تحليل مكونات هذا التعريف نعتمد المعالم الآتية:

أولا: مقاصد العمل الإيجابي:

تعدُّ مسألة المقاصد، أهم معلم من معالم العمل الإيجابي عند النورسي، وهذا أمر مهم جدا، إذ المقصد بَوْصَلَة تتحدد بها الوجهة، ويتعين بها الطريق، وفي ذلك أيضا نوع تحديد لوسائل السير ومركوبه وسرعته... ومقاصد العمل الإيجابي مجموعة دوائر، الصغير منها منضو تحت الأكبر منه، كلما كانت الدائرة أضيق كان تأثيرها أقوى في سائر الدوائر -إن سلمت وسيلة الانتقال-:

الدائرة الأولى (المقصد الأول): الإخلاص

الإخلاص لله تعالى تعبدا بطاعته وحده، وتوكلا بالاعتماد عليه وحده، قال -رحمه الله-: ''ليكن همك إرضاء الخالق لا الخلق، لأن التوجه إليه يغني عمن دونه، والتوجه إلى غيره غير مجد لتنازعهم، واحتياجهم للأعلى سبحانه.''[4] وهذا المقصد جوهري ومحوري من أخطأه أخطأ المنطلق والمسعى والمرسى. ''نعم! إن الطريق طريقان، فمن يفارقنا في مسلك الإخلاص التام -وهو الجادة الكبرى للقرآن الكريم- فربما يكون من الذين يخدمون الإلحاد وأعداء القرآن دون أن يشعر.''[5] ولابد في الإخلاص المنتج لآثاره الإيجابية من المزاوجة -كما ألمعت أعلاه- بين مجال العمل امتثالا، ومجال الثقة في الله تفويضا، قال رحمه الله: ''إن التوكل في ترتيب المقدمات كسل، بينما تفويض الأمر إلى الله في ترتّب النتيجة توكل يأمر به الشرع.''[6]

الدائرة الثانية (المقصد الثاني): القول والعمل:

''يحرص النورسي -بأشكال مختلفة وفي مناسبات متعددة- على بيان البعد الاعتقادي، للعمل الإيجابي؛ وبيان البعد العملي للجانب العقائدي. فإذا كان الإيمان بالقدر عند البعض وسيلة تسويغ السلبية والخضوع والقعود عن العمل؛ وعند البعض الآخر اعتدادا بالنفس ونسبة الفضل إليها ووقوعا في الغرور والقاطع عن الوصول، فإن النورسي ينظر إليه من جانبين متكاملين، يضمنان استمرار العمل الإيجابي ونجاعته، وتقريرًا لهذه المعاني قال الأستاذ النورسي: ''إن القدر والجزء الاختياري هما في أعلى مراتب الإيمان والإسلام، قد دخلا

ضمن المسائل الإيمانية، لأنهما ينقذان النفس الإنسانية... فالقدر ينقذها من الغرور، والجزء الاختياري ينجيها من الشعور بعدم المسؤولية''.[7]

ومن هذا المنطلق تصبح كل الظروف الصعبة والشاقة مطية ومركوبا للعمل الإيجابي.[8] وبهذا الصنيع أخرج علم الكلام من الطابع النظري المجرد إلى ساحة الفعل الناجع.[9]

الدائرة الثالثة (المقصد الثالث): تحقيق الأمن والحفاظ عليه:

رفض النورسي الانضمام إلى كل اشكال الثورة ومحاولة إصلاح فساد المجتمع بالقوة والعنف، وفوق ذلك رفض هذا النهج حتى من أجل الدفاع عن النفس، وحفاظا على إيجابية عمله برفعه عما يخدش في سلميته أو يلوث أمن مجتمعه، يشهد له قوله: ''قررت أن أتحمل جميع إهاناتهم وحقاراتهم وكل ما تنطوي صدورهم عليها من نيات فاسدة. وإني مستعد لتلقي كل ذلك في سبيل استتباب الأمن والنظام في ربوع البلاد، ولاسيما لراحة الأطفال الابرياء والشيوخ الموقرين والمرضى والضعفاء والفقراء، وسعادتهم الدنيوية والأخروية...''[10] ولعدم اهتبال أهل الإلحاد والعبثية الفرصة لتعريض أمن الناس إلى الخطر وذلك من خلال السعي المستمر إلى إشاعة الفوضى تنكيلا بالناس وتخويفا لهم، ولذلك جعل النورسي مقصد تحقيق الأمن هدفا ساميا له ''اننا نسعى بما اوتينا من قوة لإقامة سد قرآني شبيه بسد ذي القرنين أمام الفوضى والارهاب، فالذين يتعرضون لنا إنما يهيئون الأوساط ويمهدون السبيل للفوضى والشيوعية''.[11]

الدائرة الرابعة (المقصد الرابع): إصلاح وإسعاد المجتمع الإنساني:

بما أن العمل الإيجابي، يهدف أساسا الإخلاص لله تعالى، فهو خدمة للإيمان وتصفية وتقوية له، وبذلك يصبح الإيمان نورا لا يملك شعاعه إلا أن يضيء كل محيطه، قال الأستاذ -رحمه الله-: ''القرآن الكريم النازل رحمة للعالمين لا يقبل إلا طرازا من المدنية التي تمنح السعادة للجميع أو الأكثرية، بينما المدنية الحاضرة قد أطلقت الأهواء والنوازع من عقالها، فالهوى حر طليق طلاقة البهائم، بل أصبح يستبد، والشهوة تتحكم، حتى جعلتا الحاجات غير الضرورية في حكم الضرورية. وهكذا محيت راحة البشرية، ... الشريعة تربي

في روح الإسلام الشفقة وعزة الإيمان. فلقد أخذ القرآن بيده حقائق الشريعة. كل حقيقة منها عصا موسى (في تلك اليد) وستسجد له تلك المدنية الساحرة سجدة تبجيل وإعجاب.''[12]

ثانيا-وسائل العمل الإيجابي:

الوسيلة الأولى: بيان أقصر الطرق إلى الله:

إن العقيدة الإسلامية تقطع بأن التوفيق في الأعمال من الله تعالى، ولذلك يكرر النورسي تذكيرنا في مواضع مختلفة من كلياته أن نجاح الأعمال فرع من نجاح السير في الطريق إلى الله، وقد فهم من القرآن الكريم ''طريقا قصيرا وسبيلا سويا هو: طريق العجز، الفقر، الشفقة، التفكر''[13] والعلاقة بين هذه الخطوات والعمل الإيجابي واضحة لأن ''من يجد الله فقد وجد كل شيء، فما الموجودات إلا تجليات أسمائه الحسنى جل جلاله.''[14]

الوسيلة الثانية: تفويض أمر الخلق إلى الخالق :

يتم ذلك بأشكال كثيرة منها: عدم تكفير المقصر. وعدم الإكراه وعدم الحكم على سائر الأعمال بالسلبية. وعدم استعمال القوة فرضا للدين أو انتقاما من المخالف، فمبدأ الغاية تبرر الوسيلة الذي تُستغل للدفاع عن استعمال العنف والقوة ولو بالتضحية بالناس، مبدأ مرفوض، اعتبره النورسي من خصائص السياسة الغربية لا الإسلامية، قال -رحمه الله-: ''إن سياسة المدنية الحاضرة تُضحي بالأكثرية في سبيل الأقلية، بل تضحي قلة قليلة من الظلمة بجمهور كبير من العوام في سبيل مقاصدها. أما عدالة القرآن الكريم، فلا تُضحي بحياة بريء واحد، ولا تهدر دمه لأي شيء كان، لا في سبيل الأكثرية، ولا لأجل البشرية قاطبة.''[15]

الوسيلة الثالثة: التحلي بمكارم الأخلاق مع الجميع وفي مختلف الظروف:

إن مسألة الأخلاق مسألة جوهرية في الدين الإسلامي، تميزه عن كل المنظومات الفلسفية البشرية، ولذلك لا تقبل التنازل، ولأن آثارها في العمل الإيجابي واضحة على الفرد والمجتمع، وإشاعة الإيجابية على الأعمال، فقد أولاها النورسي عناية خاصة وبين آثارها في العمل الإيجابي، ومن بين ما قال في ذلك مقارنا بين القيم الإسلامية وقيم الفلسفة الغربية: ''إن شأن 'الحق' هو

'الاتفاق'... وشأنَ 'الفضيلة' هو 'التساند'... وشأنَ دستور 'التعاون' هو 'إغاثة كل للآخر'... وشأنَ 'الدين' هو 'الأخوة والتكاتف'... وشأن 'إلجام النفس' وكبح جماحها وإطلاق الروح وحثها نحو الكمال هو 'سعادة الدارين'."[16]

الوسيلة الرابعة: العمل الجماعي:

لاحظ النورسي تكاتف أهل الضلال فيما بينهم ضد أهل الحق، حتى كونوا شخصا معنويا للضلالة، ولا مجال للحفاظ على الحق إلا بشخص معنوي مقابل يسعى جاهدا إلى "الحفاظ على الحق والعدل بإيجاد شخص معنوي، وذلك بالاتفاق مع اهل الحق للوقوف تجاه اهل الضلالة والباطل الذين اخذوا يغيرون بدهاء شخص معنوي قوي في صورة جماعة على اهل الحق -بما يتمتعون به من تساند واتفاق ثم الإدراك بان اية مقاومة فردية -مهما كانت قوية- مغلوبة على امرها تجاه ذلك الشخص المعنوي للضلالة."[17] وهذا العمل الجماعي يقتضي تخليا عن الأنانيات الفردية، وتحليا بروح التعاون الإسلامي، قال رحمه الله: "إن هذا الزمان -لأهل الحقيقة- زمان الجماعة وليس زمان الشخصية الفردية وإظهار أنانيته وغروره. فالشخص المعنوي الناشئ من الجماعة هو الذي يهيمن ويصمد تجاه الأعاصير. فلأجل الحصول على حوض عظيم، ينبغي للفرد إلقاء شخصيته وأنانيته وغروره التي هي كقطعة ثلج في ذلك الحوض وإذابتها فيه. وإلا ستذوب حتما تلك القطعة من الثلج، وتذهب هباء وتفوت الفرصة من الاستفادة من ذلك الحوض أيضا."[18]

"يفرض منطق التعاون عدم مهاجمة أو تهوين مسالك الذين اختاروا طريقا مخالفا لخدمة الإيمان والأمن والأمة؛ وتحري روابط الوحدة الكثيرة بين مختلف أطياف الأمة واتخاذ مسلك الإنصاف دليلا ومرشدا..."[19]

وتطبيقا لذلك يبتعد النورسي أشد الابتعاد من تكفير الآخرين،[20] ويقبل بقبول المرتبة الأدنى من الحق والحسن، بدل المرتبة العليا منهما إن كان ذلك خادما للتعاون والتساند،[21] وفوق ذلك يدعو إلى الاتفاق مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى دفعا للعدو المشترك.[22]

المبحث الثاني: الجهاد الفكري عند النورسي مفهومه ودواعيه

أولا – مفهوم الجهاد الفكري وقيمته:

الجهاد الفكري عند النورسي هو مواجهة الفلسفة الغربية الإلحادية المهاجمة للحقائق الإيمانية، بإبراز الحجج البرهانية التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم.[23] ومن العبارات الدالة على مفهوم وقيمة الجهاد الفكري عنده، قوله: ''إنني بفضل الإيمان وبحكم مهنتي في قوة خمسين مليون شخص! إنني بقوة القرآن الكريم أتحدى أوروبا كلها بما في ذلك ملاحدتكم. لقد اقتحمت قلاعهم الحصينة التي يسمونها 'العلوم الطبيعية أو الحديثة'... وذلك بفضل ما نشرت من الحقائق الإيمانية والبراهين القرآنية الدامغة التي أنزلتُ بها أكبر فلاسفتهم إلى رتبة هي أدنى مائة مرة من رتبة الأنعام! ولو اجتمعت أوروبا بأسرها بما في ذلك ملاحدتكم، فلن تستطيع أن تحول دون مسالة واحدة من مسائل مهنتي ولا أن تغلبني بإذن الله وتوفيقه.''[24] ويظهر تميز رسائل النور في نجاعة جهادها، لاعتمادها على اللغة المشتركة بين الإنسانية، لغة المنطق العقلي، والنزول بالمعاني الإيمانية المجردة إلى حيز الفهم الدقيق، قال الأستاذ: ''إن أجزاء 'رسائل النور' قد حلت أكثر من مائة من أسرار الدين والشريعة والقرآن الكريم، ووضحتها وكشفتها والجمت أعتى المعاندين الملحدين وافحمتهم، وأثبتت كالشمس وضوحا ما كان يظن بعيدا عن العقل من حقائق القرآن كحقائق المعراج النبوي والحشر الجسماني، أثبتتها لأشد المعاندين والمتمردين من الفلاسفة والزنادقة حتى أدخلت بعضهم إلى حظيرة الإيمان، فرسائل هذا شأنها لا بد أن العالم –وما حوله– بأجمعه سيكون ذا علاقة بها، ولا جرم أنها حقيقة قرآنية تشغل هذا العصر والمستقبل، وتأخذ جل اهتمامه، وأنها سيف الماسي بتار في قبضة أهل الإيمان...''[25]

ثانيا-مجال الجهاد الفكري عند النورسي:

إن الجهاد الفكري عند بديع الزمان النورسي، مسدد نحو هدف محدد يحرص على بيانه وتمييزه بخصائصه المجسدة له، تفاديا لكل خلط يجر إلى الهدم. إن جهاده الفكري موجه نحو الفلسفة الغربية المادية، التي يثبت أنها

المسؤولة عن نشر الإلحاد وما نتج عنه من سفك للدماء وانتشار للحروب وتمجيد للقوة وسحق للمستضعفين وفشو للإباحية... يقول -رحمه الله-: ''إن الفلسفة التي تهاجمها رسائل النور وتصفعها بصفعاتها القوية، هي الفلسفة المضرة وحدها، وليست الفلسفة على إطلاقها، ذلك لأن قسم الحكمة من الفلسفة التي تخدم الحياة الاجتماعية البشرية، وتعين الأخلاق والمثل الإنسانية، وتمهد السبل للرقي الصناعي، هي في وفاق ومصالحة مع القرآن الكريم، بل هي خادمة لحكمة القرآن، ولا تعارضها، ولا يسعها ذلك؛ لذا لا تتصدى رسائل النور لهذا القسم من الفلسفة.'' لهذا يتوجّه رفضه إلى قسم الثاني من الفلسفة، وهو المشار إليه بقوله: ''أما القسم الثاني من الفلسفة، فكما أصبح وسيلة للتردي في الضلالة والإلحاد والسقوط في هاوية المستنقع الآسن للفلسفة الطبيعية، فإنه يسوق الإنسان إلى الغفلة والضلالة بالسفاهة واللهو. وحيث إنه يعارض بخوارقه التي هي كالسحر الحقائق المعجزة للقرآن الكريم، فإن رسائل النور تتصدى لهذا القسم الضال من الفلسفة في أغلب أجزائها وذلك بنصبها موازين دقيقة، ودساتير رصينة، وبعقدها موازنات ومقايسات معززة ببراهين دامغة. فتصفعها بصفعاتها الشديدة، في حين أنها لا تمس القسم السديد النافع من الفلسفة.''[26] وبهذا النص وبغيره يجلي النورسي أن القسم الفلسفي الذي يجاهده هو القسم الهجومي الذي يسعى جاهدا إلى نشر ضلالاته، وانطلاقا من ذلك لا يُعمم الحكم على الأوروبيين، وإنما يميز بين أوربا التي لازالت متأثرة بالنصرانية، وأروبا الناشرة لضلال الإلحاد والعبثية والإباحية، يقرر هذه الحقيقة بقوله: ''إن أوربا اثنان: أحدهما نافع للبشر باستفادته من الدين العيسوي والمدنية الإسلامية، أظهر بإحسان الله ما يستريح به البشر في هذه الحياة... وأوربا الثاني: خالف الأديان السماوية، واستند بالفلسفة الطبيعية المادية، وغلبت سيئات المدنية حسناتها، وصار سببا لمشقة أكثر البشر وشقاوتهم...''[27]

ثالثا: دواعي الجهاد الفكري عند النورسي:

عايش بديع الزمان النورسي مرحلة فارقة من تاريخ الأمة، عنوانها البارز، سقوط الخلافة العثمانية، ونشاط قوى الإلحاد الداخلية والخارجية بمحاولة

نقض كل الأسس العقَدية التي تقوم عليه الشخصية المسلمة على الصعيدين الفردي والمجتمعي، ولذلك نجد النورسي ينص في كثير من رسائله على أن هذا الأمر هو أساس جهاده الفكري والداعي إليه، وقد تجلى في كثير من المظاهر الواقعية نجملها في:

تكتل أهل الضلالة في حربهم المعنوية للإيمان:

اتخذت الحرب المعنوية ضد الإيمان أشكالا متنوعة في عهد النورسي حيث أثيرت مشكلات خطيرة وشبهات فاتنة ''نسجت خيوطها العنكبوتية الواهية، دوائر الاستشراق ومراكز التبشير والمؤسسات الثقافية الملحقة بوزارات المستعمرات والخارجية في الدول الاستعمارية الكبرى''[28] لقد لاحظ أن الحرب على الإيمان -في زمانه- حرب فكرية ومنظمة، ولذلك وجب أن يكون الجهاد أيضا فكريا ومنظما يقول: ''إذ أن أهل الضلالة المغيرين على أهل الإيمان أصبحوا روحا خبيثة تسري في الأمة، وشخصية معنوية حاملة لروح الجماعة والتنظيم الخاص تفسد وجدان الناس وقلوبهم عامة في العالم الإسلامي. وتمزق الستار الإسلامي السامي الذي يحي العقائد التقليدية لدى عوام المسلمين، وتحرق المشاعر التي تديم الحياة الإيمانية... فبينما يحاول كل مسلم -يائسا- لينجو بنفسه من هذا الحريق المرعب الذي شب في أرجاء العالم. إذا بـ 'رسائل النور' تأتي كالخضر عليه السلام، وتمد إليه يد العون والمساعدة، وإذا برسالة 'الآية الكبرى' كالجندي المطيع ذي الخوارق، تستمد الإمداد المعنوي والمادي الذي لا يقاوم من آخر جيوشه المحيطة بالكون.''[29]

شيوع أفكار الزندقة في مجتمعه:

لمس -عند الكثيرين من معاصريه- هجوما صارخا على القرآن الكريم، وتجاوزا شنيعا على الحقائق الإيمانية بتزييفها، وربط أواصر الإلحاد بالطبيعة، وإلصاق نعت ''الخرافة'' على كل ما لا تدركه عقولهم القاصرة...[30] ومن الكلمات التي انتشرت وتعبر عن هذه الروح ، قولهم عن الشيء ''أوجدته الأسباب'' ''تشكل بنفسه'' ''اقتضته الطبيعة''.[31]

ظهور منطق تحكم الحضارة الأوربية وفلسفتها المادية وأفكارها داخل المجتمع.[32]

معاينة واقع الشقاء الذي ألحقه الفكر المادي الطبيعي بالبشرية:

أنتج الفكر الإلحادي الطبيعي "تعقد متطلبات الحياة اليومية.. كلَّها تؤدي إلى تشتت الأفكار وحيرة القلوب وتبعثر الهمم وتفتت الاهتمامات، حتى أضحت الأمور المعنوية غريبة عن الأذهان."[33]

وفوق ذلك لقد أثبتت الفلسفة الغربية واقعا مرا ذلك أنها لم تمنح أنصارها إلا الشقاء والتيه وفقدان المعنى وانهماك في ملذات يُظن أنها الملجأ والملاذ فإذا بها هي العذاب الأليم "... فيا أوربا التي نأت عن النصرانية وابتعدت عنها، وانغمست في السفاهة والضلالة، لقد أهديت بدهائك الأعور كالدجال لروح البشر حالة جهنمية، ثم أدركت أن هذه الحالة داء عضال لا دواء له. إذ يهوي بالإنسان من ذروة أعلى عليين إلى درك أسفل سافلين، وإلى أدنى درجات الحيوان وحضيضها، ولا علاج لك من هذا الداء الوبيل إلا ملاهيك الجذابة التي تدفع إلى إبطال الحس، وتخدير الشعور مؤقتا، وكمالياتك المزخرفة وأهواؤك المنومة... فتعسا لك ولدوائك الذي كون هو القاضي عليك..."[34]

نشوب الحرب العالمية الأولى باعتبارها؛ عقوبة ربانية لأنصار الفلسفة الملحدة ولمهملي أركان الإسلام وترك الفرائض، يقول: "إن ضلال البشرية وعنادها النمرودي وغرورها الفرعوني، تضخم وانتفش حتى بلغ السماء ومس حكمة الخلق، وأنزل من السماوات العلى ما يشبه الطوفان والطاعون والمصائب والبلايا.. تلك هي الحرب العالمية الحاضرة. إذ أنزل الله سبحانه لطمة قوية على النصارى بل على البشرية قاطبة. لأن أحد أسبابها التي يشترك فيها الناس كلهم هو الضلال الناشئ من الفكر المادي، والحرية الحيوانية، وتحكم الهوى.

أما ما يعود إلينا من سبب فهو: إهمالنا أركان الإسلام وتركنا الفرائض".[35]

تغير حالة الناس إزاء الحقائق الإيمانية:

استدعت حالة الناس؛ في مجال الخدمة الإيمانية ؛ أساليب برهانية كفيلة بإنارة الحق في زمن الظلمات: ذلك أن ما نفخته أبواق الإلحاد في قلوب الكثيرين بدأ يُنبت نابتة الشك والريب، مما استدعى جهادا فكريا يليق بهذه الوضعية، يقول -رحمه الله-: ''إن الشمس الإيمانية كانت رصينة متينة في العصور السابقة، وكان الانقياد تاما كاملا، إذ كانت توضيحات العارفين -في الأمور الفرعية- مقبولة، وبياناتهم كافية حتى لو لم يكن لديهم دليل.

اما في الوقت الحاضر فقد مدت الضلالة باسم العلم يدَها إلى أسس الإيمان وأركانه، فوهبني الحكيم الرحيم -الذي يهب لكل صاحب داء دواءه المناسب- وانعم علي سبحانه شعلة من 'ضرب الأمثال' التي هي من أسطع معجزات القرآن وأوضحها، رحمة منه -جل وعلا- لعجزي وضعفي وفقري واضطراري، لأنير بها كتاباتي التي تخص خدمة القرآن الكريم. فلله الحمد والمنة:

فبمنظار 'ضرب الأمثال' قد أُظهرت الحقائق البعيدة جدا انها قريبة جدا.

وبوحدة الموضوع في 'ضرب الأمثال' قد جُمِّعت أكثر المسائل تشتتا وتفرقا.

وبسلم 'ضرب الأمثال' قد تُوصِّل إلى أسمي الحقائق واعلاها بسهولة ويسر.

ومن نافذة 'ضرب الأمثال' قد حُصل اليقين الإيماني بحقائق الغيب واسس الإسلام مما يقرب من الشهود.

فاضطر الخيال إلى الاستسلام وأرغم الوهم والعقل إلى الرضوخ، بل النفس والهوى. كما اضطر الشيطان إلى إلقاء السلاح.''[36]

حاجة الشباب -بالخصوص- إلى القوة العلمية المودعة في ''رسائل النور'' إنقاذا لأنفسهم ومجتمعهم:

إن الشباب طاقة كبرى، المفروض فيها أن تكون بانية للأمم صادة كل محاولات التخريب، ولكن قوى الإضلال تستغل نبض الهوى والمشاعر الذي

يسري في عروقه، فيرسل عليه ''عواصف هوجاء من الشمال تحمل فتنا مدمرة لهذا العصر؛ إذ تستبيح لهوى الشباب الذي لا يرى العقبى أعراض النساء والعذارى الفاتنات وتدفعهم إلى الاختلاط الماجن البذيء، فضلا عن إباحتها أموال الأغنياء لفقراء سفهاء.

إن فرائص البشرية كلها لترتعد أمام هذه الجرائم المنكرة التي تُرتكب بحقها.''[37] ولذلك لا يجوز أن تُترك هذه الطاقة الكبيرة فريسة للإضلال والفتن، وعليهم أن يتسلحوا بحجج وبراهين ''رسائل النور'' دفاعا عن استقلاليتهم الفكرية وصفائهم الإيماني، يقول النورسي -رحمه الله-: ''فعلى الشباب المسلم في هذا العصر العصيب ان يشمروا عن سواعد الجد لينقذوا الموقف، ويسلوا السيوف الألماسية لحجج ''رسائل النور'' وبراهينها الدامغة -التي في رسالة (الثمرة) و ''مرشد الشباب'' وأمثالهما- ويدافعوا عن أنفسهم، ويصدوا هذا الهجوم الكاسح الذي شُنَّ عليهم من جهتين... وإلا فسيضيع مستقبل الشباب في العالم، وتذهب حياته السعيدة...

ولكن إذا ما صان نفسه بتربية القرآن، ووقاها بحقائق 'رسائل النور' فسيكون شابا رائدا حقا، وإنسانا كاملا، ومسلما صادقا سعيدا، وسلطانا على سائر المخلوقات''.[38]

المبحث الثالث: علاقة العمل الإيجابي بالجهاد الفكري:

إن إنعام النظر في قضيتي العمل الإيجابي والجهاد الفكري عند بديع الزمان سعيد النورسي، ليلاحظ أن كلا منهما ضروري للآخر، لأن من مقتضيات العمل الإيجابي حماية الجهاد الفكري، وهذا الأخير لا مقصد له إلا العمل الإيجابي، ولذلك قال النورسي: ''إن أعظم إحسان أعده في هذا الزمان وأجل وظيفة، هو إنقاذ الإيمان والسعي لإمداد إيمان الآخرين بالقوة ...''[39] وبالتالي فإن العلاقة بينهما علاقة تكامل على صعيد التصور، وتساند على صعيد النزيل.

أولا- علاقة التكامل التصوري:

يعلم أنّ الخلفية النظرية (التصورات) هي أساس كل صلاح وإصلاح عمليين للفرد والجماعة في المنظومة الإسلامية وفي غيرها من الرؤى الفكرية

والفلسفية، ولذلك علمنا القرآن؛ في مرحلة مبكرة؛ ضرورة المزاوجة بين بناء العقائد وصيانتها؛ في الآن نفسه؛ وإلا لن يستقيم بناء إذا كانت جهة تبني والأخرى تهدم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي ۞ يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۞ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۞ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾العلق:١-١٢ فقد انتقل الله في سياق معجز من بناء العقيدة في القلوب إلى صيانتها من تشويش المشوشين، ومن خلال تأملنا في منهج بديع الزمان النورسي، نلاحظ أنه يسلك هذا المسلك باعتماد التكامل بين؛ خدمة الإيمان، تعريفا وتشييدا وارتقاء؛ وخدمته حماية وصيانة. يستشف هذا النهج، من قوله: -رحمه الله تعالى-: ''إن رسائل النور لا تعمر تخريبات جزئية، ولا ترمم بيتا صغيرا مهدما، بل تعمر أيضا تخريبات عامة كلية، وترمم قلعة محيطة عظيمة -صخورها كالجبال- تحتضن الإسلام وتحيط به. وهي لا تسعى لإصلاح قلب خاص ووجدان معين بل تسعى أيضا -وبيدها إعجاز القرآن- لمداواة القلب العام، وضماد الأفكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هيئت لها وركّمت منذ ألف سنة، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توجه نحو الفساد نتيجة تحطم الأسس الإسلامية وتياراته وشعائره التي هي المستند العظيم للجميع وبخاصة عوام المؤمنين. نعم إنها تسعى لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والإيمان.'' وزاد المسألة توضيحا فقال:'' فأمام هذه التخريبات الكلية الرهيبة، والشقوق الواسعة، والجروح الغائرة، ينبغي وجود حجج دامغة واعتدة مجهزة بدرجة حق اليقين وبقوة الجبال ورسوخها، ووجود أدوية مجربة لها من الخواص ما يفوق ألف ترياق وترياق (مضاد للسموم) ولها من المزايا ما يضاهي علاجات لا حد لها. هذه هي مهمة رسائل النور النابعة من الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم، وفي الوقت الذي تقوم به في هذا الزمان اتم قيام، فهي تحظى بكونها مدار انكشاف لمراتب غير محدودة للإيمان ومصدر رقي في مدارجه السامية غير المتناهية.''[40]

وقد يتضخم جانب أكثر من الآخر حسب الحاجات العلمية والعملية؛ وقد يتحد الغرضان حتى يصعب التفريق بين العمل الإيجابي والجهاد الفكري.

ثانيا- علاقة التساند التنزيلي:

إن تنزيل التصورات الإيمانية على أرض الواقع يحتاج عند النورسي إلى تساند متبادل بين العمل الإيجابي والجهاد الفكري، وذلك ما نحاول إثباته من خلال ما يأتي:

١- التساند من أجل تحقيق الأمل:

إن النظر بأمل إلى الحياة الحاضرة والمستقبلة هو أساس العمل الإيجابي، إذ لو استسلم المسلم فردا وجماعة إلى الظلمات المستقبلية التي توحي بها الفلسفة الطبيعية الملحدة، لما صح منه أي عمل ينفع به نفسه أو غيره، ومن هذا المنطلق يزاوج النورسي بين بناء الأمل في نفوس قراء الرسائل على أسس عقدية متينة توقن بعلم الله المحيط وبحكمته البالغة وقدرته المطلقة؛ وفي الوقت ذاته يوجه سهام نقده للفلسفة الغربية التي بسبب إلحادها تغتال أي أمل في المستقبل لأنها تنفي الحكمة الإلهية وتحيل الوجود لعبثية لا منطق لها ولا ميزان؛ وفي هذا الصدد يعقد مقارنة بين هذه الفلسفة وبين حكمة القرآن من حيث نظرتهما إلى الدنيا، ومن بين ما ذكره في الموضوع قوله: ''إن فلسفة البشر وحكمته تنظر إلى الدنيا على أنها ثابتة دائمة، فتذكر ماهية الموجودات وخواصها ذكرا مفصلا مسهبا، بينما لو ذُكرتْ وظائف تلك الموجودات الدالة على صانعها فإنها تذكرها ذكرا مجملا مقتضبا. أي إنها تفصل في ذكر نقوش كتاب الكون وحروفه، في حين لا تعير معناه ومغزاه اهتماما كبيرا.'' عرّج بعدها -وفي السياق نفسه- على تقرير ما اشتمل القرآن الكريم، فقال: ''أما القرآن الكريم فإنه ينظر إلى الدنيا، على أنها عابرة سيالة، خداعة سيارة، متقلبة لا قرار لها ولا ثبات، لذا يذكر خواص الموجودات وماهيتها المادية الظاهرة ذكرا مجملا مقتضبا، بينما يفصل تفصيلا كاملا لدى بيانه وظائفها التي تنم عن عبوديتها التي أناطها بها الصانع الجليل، ولدى بيانه مدى انقياد الموجودات للأوامر التكوينية الإلهية، وكيف وبأي وجه من وجوهها تدل على أسماء صانعها الحسنى.''[41] وبذلك فالدنيا وفق فلسفة البشر الملحدة منقطعة عن مصلحة الإنسان بسبب انقطاعها عن خالقها وبالتالي فلا أمل منها إلا بإعادة النظر فيها بمنظار من خلقها ''فالدنيا -من حيث إنها دنيا- متوجهة نحو الفناء والزوال، وساعية سعيا حثيثا نحو

الموت والخراب، ومتزلزلة متبدلة باستمرار. فهي عابرة راحلة كالماء الجاري في حقيقة أمرها. إلا أن الغفلة عن الله أظهرت ذلك الماء جامدا ثابتا، وبمفهوم (الطبيعة) المادي تعكر صفوه وتلوث نقاءه، حتى غدت ستارا كثيفا يحجُب الآخرة... وهكذا فإن القرآن الكريم بجميع آياته المتوجهة للكون (أي الآيات الكونية) يمضي على هذا الأساس، فيكشف عن حقيقة الدنيا كما هي، ويبينها للأنظار. ويصرف نظر الإنسان ببيانه إلى مدى دمامة وجه الدنيا القبيح -بتلك الآيات- ليتوجه إلى الوجه الصبوح الجميل للدنيا الجميلة، ذلك الوجه المتوجه إلى الصانع الجليل...''[42] وبذلك يبين أن بناء الأمل وهو عمل إيجابي، يقتضي حتما جهاد الفلسفة الغربية في جانبها العبثي.

٢. التساند من أجل تحقيق مصلحة الإنسانية:

إن تحقيق المصلحة الإنسانية عمل إيجابي ضخم وكبير، عمل النورسي على بيان جذوره الإيمانية، ومسالكه العملية، يتوقّف بناء هذا المسعى واقعيا على مجهود ووقت لكي يتم ويؤدي وظيفته؛ ومن هذا المنطلق يرى بديع الزمان النورسي أن العمل الإيجابي المؤسس على الخدمة الإيمانية الذي يبني ولا يهدم، معرض للهدم من طرق الفلسفة الغربية الملحدة، التي تنطلق من عدم وتحيل العالم إلى عدم، وكل من اقتنع بها لابد أن يشتغل من أجل العدم سواء أحس بذلك أم لا، يقول -رحمه الله-: ''الكفر والعصيان والسيئة كلها تخريب وعدم، ويمكن أن تترتب تخريبات هائلة وعدمات غير محدودة على أمر اعتباري وعدمي واحد. إذ كما أن عدم إيفاء ملاح سفينة ضخمة بوظيفته يُغرق السفينة، ويُفسد نتائج أعمال جميع العاملين فيها؛ لترتب جميع تلك التخريبات الجسيمة على عملِ عدم واحد، كذلك الكفر والمعصية، لكونهما نوعا من العدم والتخريب، فيمكن أن يحركهما الجزء الاختياري بأمر اعتباري، فيسببان نتائج مريعة.

لأن الكفر وإن كان سيئة واحدة؛ إلا أنه تحقير لجميع الكائنات بوصمها بالتفاهة والعبثية، وتكذيبٌ لجميع الموجودات الدالة على الوحدانية، وتزييف لجميع تجليات الأسماء الحسنى...''[43]

أثبت النورسي أن المنهج القرآني هو الكفيل بإشاعة العمل الإيجابي لأنه قائم على الحق والمصلحة والتعاون والمساواة وهي أسس خادمة للإيجابية من كل جهة، في حين أن منهج الفلسفة الملحدة خادم للسلبية من كل جهة إذ يقوم على القوة والمنفعة، والصراع، والعنصرية[44] ''ومن المعلوم أن شأن 'القوة' هو 'الاعتداء'... وشأن 'المنفعة' هو 'التزاحم' إذ لا تفي لتغطية حاجات الجميع وتلبية رغباتهم... وشأنَ 'الصراع' هو 'النزاع والجدال'... وشأنَ 'العنصرية' هو 'الاعتداء' إذ تكبر بابتلاع غيرها وتتوسع على حساب العناصر الأخرى. ومن هنا تلمس لِم سُلبت سعادة البشرية، من جراء اللهاث وراء هذه الحكمة.''[45] وبذلك يتبين أن الحضارة الغربية تنتج أعمالا تمتاز بالسلبية سطر التاريخ تفاصيلها، ولذلك وجب تبيين زيفها وضررها حماية العمل الإيجابي النوري.

٣. التساند لتحقيق الأمن الاجتماعي:

كان الإجرام ولا زال معضلة جل المجتمعات يقض راحة الناس ويحيل حياتهم إلى خوف دائم وشقاء مستمر، يرى بديع الزمان النورسي -بحق- ان لا علاج له إلا ببناء المراقبة الدينية الذاتية وبعبارة أخرى ببناء التقوى في النفوس، قال ردا على الذين قالوا بأن ''الوجدان هو مقام ومكان الدين، فالدين لا يرتبط بالحكم ولا بالقانون، إذ عندما ارتبط بهما في السابق ظهرت الفوضى الاجتماعية'':[46] ''إن الدين ليس عبارة عن الإيمان فقط، بل العمل الصالح أيضا هو الجزء الثاني من الدين، فهل يكفي الخوف من السجن أو من شرطة الحكومة لكي يبتعد مقترفو الكبائر عن الجرائم التي تسمم الحياة الاجتماعية كالقتل والزنا والسرقة والقمار ويمتنعوا عنها؟ إذن يستلزم أن نخصص لكل شخص شرطيا مراقبا لكي ترتدع النفوس اللاهية عن غيها وتبتعد عن هذه القذارات. ورسائل النور تضع مع كل شخص في كل وقت رقيبا معنويا من جهة العمل الصالح ومن جهة الإيمان، وعندما يتذكر الإنسان سجن جهنم والغضب الإلهي فإنه يستطيع تجنب السوء والمعصية بسهولة...''[47] ومن هنا فإن الفلسفة الغربية الملحدة بإرادتها، إقناع الناس بالفناء بعد الموت وانعدام الحياة الآخرة إنما تحرم المجتمعات من نعمة الرقابة الذاتية، وتفتحها أمام الفوضى والإجرام وبذلك فإن المقاومة الفكرية للإلحاد هي مقاومة للإجرام؛ وتحقيق للأمن

الاجتماعي، يقول -رحمه الله-: ''إن مهمة رسائل النور الأساس هي: خدمة القرآن الكريم، والوقوف بصرامة وحزم في وجه الكفر المطلق الي يودي بالحياة الأبدية ويجعل من الحياة الدنيا نفسها سما زعافا وجحيما لا تطاق.''[48]

ونظرا للبعدين العقدي والعملي لمسألة الأمن، فقد جعله النورسي أحد الأسس الثابتة التي يجب تطبيقها لإنقاذ البلاد والحياة الاجتماعية لأبنائها من الفوضى والانقسام.[49] ويستدل بالمعطيات الواقعية على نجاح ''رسائل النور''؛ بعملها الإيجابي وجهادها الفكري؛ في تحقيق الأمن وصيانته، يقول -رحمه الله تعالى-: ''والدليل على أن رسائل النور في نظرتها إلى الحياة الاجتماعية قد ظلت تثبت وتحكم هذه الأسس الخمسة وتحترمها احتراما جادا محافظة بذلك على الحجر الأساس لأمن البلاد، هو أن رسائل النور قد استطاعت في مدى عشرين عاما أن تجعل أكثر من مائة ألف رجل أعضاء نافعين للبلاد والعباد دون أن يتأذى أو يتضرر بهم أحد من الناس...''[50]

خاتمة: نتائج البحث وتوصياته

خَلُصَ الباحث إلى مجموعة من النتائج نوجزها في النقط الآتية:

- قدم بديع الزمان سعيد النورسي للإنسانية، نظرية (العمل الإيجابي) باعتباره حلاً وسطاً لمعضلة الإصلاح التي تخير -عادة- بين أمرين مرفوضين: الاستكانة أو الثورة بالقوة.

- العمل الإيجابي، عند النورسي، هو خدمة الإيمان، المؤسس على الحقائق القطعية، المنتج للسلوكات العملية – الفردية والجماعية -البناءة، المحققة لمصلحة الإنسان العاجلة والآجلة، المنزهة عن كل الوسائل الهدامة.

- مقاصد العمل الإيجابي عند النورسي: تتلخّص مقاصد العمل الإيجابي فيما يأتي:

- الإخلاص لله تعالى تعبداً بطاعته وحده؛ وتوكلاً بالاعتماد عليه وحده.
- توحيد العقيدة مع القول والعمل.

• تحقيق الأمن والحفاظ عليه.

• إصلاح وإسعاد المجتمع الإنساني.

- يعتمد العمل الإيجابي على مجموعة من الوسائل ليتحقق على أرض الواقع، منها: بيان أقصر الطرق إلى الله؛ تفويض أمر الخلق إلى الخالق؛ التحلي بمكارم الأخلاق مع الجميع وفي مختلف الظروف؛ ثم العمل الجماعي.

- تعرض العمل الإيجابي لمحاولة الهدم باستهداف أسسه الإيمانية، يفرض نوعاً من الجهاد يتلاءم مع طبيعة الهجوم، وذاك هو الجهاد الفكري.

- الجهاد الفكري عند النورسي هو مواجهة الفلسفة الغربية الإلحادية المهاجمة للحقائق الإيمانية، بإبراز الحجج البرهانية التي تقوم عليها العقيدة القرآنية.

- الجهاد الفكري عند النورسي موجه حصراً للفلسفة الغربية الطبيعية الملحدة الطاعنة في الحقائق الإيمانية.

- دواعي الجهاد الفكري عند النورسي:

• مجابهة تكتل أهل الضلالة في حربهم المعنوية ضد أهل الإيمان.

• دفع منطق تحكم الحضارة الأوربية وفلسفتها المادية وأفكارها داخل المجتمع المسلم.

• تطعيم المجتمع بالحقائق الإيمائية تثبيتا وإثباتا بما ييسّر ضمان استرداد الأفراد والمجتمع لها في شعاب الحياة بدفع التشكيك والشبهات.

- العلاقة بين العمل الإيجابي والجهاد الفكري علاقة تكامل على صعيد التصور العَقدي؛ وعلاقة تساند على مستوى التنزيل العملي.

- يبني التصور العَقَدي للعمل الإيجابي على التصورات الصحيحة، ويأتي الجهاد الفكري لصد شبهات الفلسفة الملحدة.

- يتساند العمل الإيجابي على صعيد التنزيل مع الجهاد الفكري لتحقيق الأمل، ومصلحة الإنسان، والأمن الاجتماعي.

توصيات البحث:

إن الإبحار في عالم بديع الزمان سعيد النورسي، والاقتناع بنجاعة مسلكه العلمي والمنهجي، من خلال هذا البحث، ليفتح آفاقا واسعة علمية وعملية، ولذلك نوصي بما يلي:

- تخصيص مؤتمر للجانب المنهجي لفكر النورسي، حتى يتعلم المسلمون طريقة تفكير هذا الأستاذ، حتى تنفتح آفاق جديدة في فكر الأمة، وتكون إنارة (رسائل النور) منهجية بالإضافة إلى إنارتها في المضمون.

- من القضايا التي نرى أهمية بحثها من خلال (رسائل النور): فقه الواقع؛ فقه الأولويات؛ فقه التوقع؛ منهج تأويل النصوص الشرعية؛ تغير أساليب الدعوة...

- نوصي بضرورة إعادة الاعتبار للحاجات الواقعية، في تحديد القضايا العَقدية المدرسة في الجامعات والمعاهد الدينية، وكذا أساليب تدريسها. فقد نجحت رسائل النور في الدفاع عن الحقائق الإيمانية، لأنها اعتمدت المشاكل الواقعية والشبهات الحاضرة والأساليب المناسبة للعصر والخصم.

- نوصي بتحويل نظرية بديع الزمان في العمل الإيجابي والجهاد الفكري إلى أعمال أدبية وفنية، لتصل رسائلها إلى عموم المسلمين، وينخرط الجميع في إشاعة النور.

* * *

الهوامش:

[1] كلية أصول الدين، تطوان، المغرب.

[2] تم تركيب هذا التعريف انطلاقا من مواضع متعددة ومتفرقة من (كليات رسائل النور)، يُنظر مثلا: سيرة ذاتية: ١٠٢–١٠٣، ١١٨–١١٩، ٤٦٩، ٤٧٣... إعداد وترجمة : إحسان قاسم الصالحي. وينظر : المكتوبات. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. ط ٣ (٢٠٠١) نشر: شركة سوزلر للنشر. المكتوب: ١٦، ص: ٨٩. وينظر: الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. ط٦ (٢٠١١) نشر: شركة سوزلر للنشر: من ص: ٣٥٠ إلى ص: ٣٥٩...

[3] اللمعات ترجمة إحسان قاسم الصالحي. ط٦ (٢٠١١) نشر: شركة سوزلر للنشر. (اللمعة السادسة عشر) ص: ١٤٥–١٤٦.

[4] ينظر: مرشد أهل القرآن . سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحي . ط٣ (بمصر) ٢٠٠١. نشر شركة سوزلر للنشر. ص: ١٣٢. قال المترجم معرفا بهذا الكتاب: ''لقد كان الأستاذ النورسي على ارتباط وثيق مع طلابه رغم شدة المضايقات وصرامة العوائق، فكان يبعث إليهم بتوجيهاته ورسائله الخاصةمن المنفى والمعتقلات، بشتى الوسائل والطرق... ثم جمعت هذه الرسائل الخاصة فاصبحت ثلاثة كتب اطلقت عليها (الملاحق). وقام تلميذه الأمثل زبير كَوندز آلب بجمع فقرات من تلك الملاحق ومستلات من رسائل أخرى وضمها في كتاب سمي (خدمت رهبري) ترجمناه تحت عنوان (مرشد القرآن إلى حقائق الإيمان) بعد القيام بما يستوجب من تبويب وتنسيق ووضع للعناوين وبيان للمصادر.'' نفسه : ١١.

[5] المرجع السابق: ١٣٦.

[6] الكلمات تأليف بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط٦ (٢٠١١) نشر: شركة سوزلر للنشر. ص: ٨٥٧.

[7] المرجع السابق: ٥٣٣.

[8] يظهر ذلك جليا أيضا في رؤيته الرفيعة لظروف السجن والنفي والتضييق التي لحقته باستمرار، ينظر مثلا: الشعاعات (الشعاع الرابع عشر): ٥٢٥.

[9] ينظر تقديم محسن عبد الحميد لرسالة الآية الكبرى، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. ط٣ نشر شركة سوزلر للنشر. ص: ١٢.

[10] الملاحق، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط ٣ بمصر سنة ١٩٩٩ م، نشر: شركة سوزلر. (ملحق أميرداغ ١) ص: ٢٣٩.

[11] نفسه.

[12] الكلمات: ٨٤٢–٨٤٣.

[13] نفسه: ٥٤٩.

[14] نفسه: ٥٥١.

[15] نفسه: ٨٤٨.

[16] المرجع السابق: ١٤٣.

[17] مرشد أهل القرآن: ١٣٣.

[18] نفسه: ١٠١–١٠٢.

[19] نفسه: ١٣٢–١٣٤.

[20] يُنظر: الملاحق: ٢٩٨.

[21] ينظر: الكلمات: ٨٤٩.

[22] ينظر: الملاحق (ملحق أميرداغ ١): ٢٩٩.
[23] ينظر مثلا: صيقل الإسلام . بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. ط٣ بمصر ٢٠٠٢، نشر شركة سوزلر للنشر. ص: ٢٢–٢٤.
[24] المكتوب. بديع الزمان سعيد النورسي ، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي. ط ٣ بمصر ٢٠٠١ . ص: ٩٠.
[25] مرشد أهل القرآن إلى حقائق أهل الإيمان : ٨٩ .
[26] الملاحق (ملحق أميرداغ ١) : ٢٨٦–٢٨٧ .
[27] الهامش رقم١، ص: ٢٦٨ من: المثنوي العربي النوري. تأليف بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، ط١ بمصر (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) نشر: دار سوزلر للنشر.
[28] تقديم الدكتور محسن عبد الحميد لرسالة الاية الكبرى (مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه) الرسالة رقم ١٤ من سلسلة (من كليات رسائل النور). تأليف بديع الزمان الروسي. ترجمة: إحسان قاسم الصالحي. ط٣/نشر شركة سوزلر للنشر/القاهرة. ص: ٨
[29] مرشد أهل القرآن : ٨٤–٨٦.
[30] ينظر سبب تأليفه (رسالة الطبيعة) في الهامش رقم ١ من ص: ٢٤٥ من كتاب (اللمعات).
[31] نفسه: ٢٤٧.
[32] يُنظر: الكلمات : ٥٥٥.
[33] نفسه : ٥٥٥ .
[34] اللمعات: ١٦٣–١٦٤.
[35] الكلمات : ٨٤٤–٨٤٥.
[36] مرشد أهل القرآن: ٩٤–٩٥.
[37] الشعاعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة : إحسان قاسم الصالحي، ط٢ بمصر سنة : ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، نشر: دار سوزلر للنشر. ص: ٥٢٢.
[38] نفسه.
[39] مرشد أهل القرآن إلى حقائق الإيمان: ٦٣.
[40] المرجع السابق: ٨٧–٨٨.
[41] الكلمات: ٥٠١.
[42] نفسه: ٥٠٣–٥٠٤.
[43] نفسه : ٥٣٥-٥٣٦.
[44] ينظر: الكلمات: ١٤٣.
[45] الكلمات: ١٤٣.
[46] الشعاعات: ٣٣٨.
[47] نفسه.
[48] نفسه: ٤٠٦.
[49] نفسه : ٤٠٦.
[50] نفسه: ٤٠٧.

الأبعاد الإيجابية لمفهوم الجهاد في ضوء رسائل النور

Positive Dimensions of the Concept of Jihad in the Light of the Risale-i Nur

ABSTRACT

Dr. Ziyad Khalil al-Daghamin

ihad for the sake of Allah is adopted to carry the message of faith, justice and freedom. Its goal is to remove the obstacles that prevent human beings from reaching the faith and to eliminate all the paths that prevent humans from following the concept of faith. It is not a hostile path. It includes the jihad by word, saving the faith of people, and to obey and follow the way of Allah. Preparedness, readiness, spreading science, and the ability to manufacture are considered the greatest jihad. The strengthening of the bonds of love in society is considered jihad, too.

* * *

الملخص

د . زياد خليل الدغامين[1]

أقر الجهاد في سبيل الله ليحمل رسالة الإيمان والعدل والحرية، وأنّ هدفه إزالة العوائق التي تحول بين الإنسان وبين الوصول إلى الإيمان، وتذليل كل الطرق التي توصل إليه، فهو ليس مساراً عدائياً. ويشمل جهاد الكلمة وإنقاذ إيمان العوام وطريق التذلل والخضوع لله تعالى. والاستعداد والجاهزية ونشر العلوم والتمكن من القدرة على التصنيع يعدّ من الجهاد الأكبر. وتوثيق عرى المحبة في المجتمع يعدّ من الجهاد أيضاً.

* * *

مقدمة:

يتراءى لكل من غلب عليه الجهل، وأظلمت نفسه بكره الإسلام، أنّ الجهاد في سبيل الله يحمل معاني القهر والاستبداد وإرغام الآخرين على معتقدات ومبادئ لا يرغبونها، وأنها تقود إلى استرقاق الآخرين وإخضاعهم بالقوة للجزية ومبادئ الإسلام وتعاليمه. وقد أساء هؤلاء إلى الإسلام كثيراً بدافع التشويه والتنفير عن حقائق هذا الدين، وتعاليمه السامية السمحة النبيلة؛ إمعاناً منهم في الصدّ عن سبيل الله تعالى وقد كثرت دراسات المستشرقين التي تؤصل لذلك في أذهان أبناء الغرب. يضاف اليوم وسائل جديدة في الإساءة كالإعلام والفن والرواية والأدب... كلها وسائل أسهمت وتسهم في تشويه الدين عموماً، والجهاد في سبيل الله خصوصاً.

وهنا ينبري بديع الزمان ليؤكد على الأبعاد الإيجابية للجهاد في سبيل الله تعالى. فيبين أنّ الجهاد في سبيل الله يحمل رسالة الإيمان والعدل والحرية، وأنّ هدف الجهاد في سبيل الله إزالة العوائق التي تحول بين الإنسان وبين الوصول إلى الإيمان، وتذليل كل الطرق التي توصل إليه!

غير أنّ الجهاد في سبيل الله -في فكر بديع الزمان- لا يقتصر على المعنى الذي هو قتال أعداء الله والدفاع عن بيضة الإسلام بالسيف والرمح والسنان، بل يشمل كذلك كل ما من شأنه أن ينقذ إيمان العوام من دعوة وبيان ووعظ وتوجيه وإرشاد. والمعنى الأكبر فيه هو سلوك طريقة التذلل والخضوع والخشوع لله ربّ العالمين.

إنّه في الوقت الذي تتوجه فيه جوقة الإعلام للنيل من هذا المبدأ العظيم في الإسلام، ووصف الإسلام بالإرهاب والظلم والعدوان تتبدّى المعاني التي ذكرها النورسي رحمه الله تعالى لتكون نبراسا يردّ كيد الكائدين، وطعن الطاعنين، وإفك المفترين، ولا غرابة في ذلك فقد كان رحمه الله ينظر إلى المستقبل بأفق واسع، ونظر ثاقب، وبصيرة نقادّة يهديه إيمانه بالله ويقينه به إلى أنّ الجهاد سبب عزة ومنعة للأمة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وما ترك قوم الجهاد في سبيل الله تعالى إلا كتب عليهم الذلة والصغار، والذل والعار.

وسيقع هذا البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة

المقدمة: فكرة الموضوع وأهميته.

المبحث الأول: في الجهاد المادي.

المبحث الثاني: في الجهاد المعنوي.

الخاتمة وتشمل أهم النتائج.

المبحث الأول: في الجهاد المادي

١. بيان صورة الجهاد المشرقة:

إنّ صورة الجهاد ينبغي أن تكون مشرقة وضاءة، لا ينبغي أن يلوث حقائقه أحد؛ لأنه لا يبتغي منفعة مادية عاجلة، ولا مصلحة دنيوية آجلة، بل يبتغي هداية الإنسان الذي ينبغي أن يخط طريقه في الحياة على هدى ونور.

وقد أرّقت الإساءة إلى هذه الصورة الناصعة للجهاد أستاذنا بديع الزمان رحمه الله، فنعى مفاهيم أهل الزمان الذين قلبوا المعاني، وتلاعبوا في الألفاظ حين أطلقوا على الجهاد اسم: ''البغي'' وعلى الأسر اسم ''الحرية''.[2] هذا القلب لحقائق المعاني، إنما يهدف إلى النيل من رسالة الجهاد المشرقة، وما وصل إلى هذا الحدّ إلا بسبب توغل الثقافة الغربية في نفوس أبناء المسلمين وتغلغلها في قلوبهم.

يوضّح النورسي رحمه الله أنّ الجهاد ليس تسلطاً ولا جبروتاً، ولا استبداداً، كما هي معارك الغرب والشرق وحروبهما والآثار المأساوية المترتبة على هذه الحروب، وما تجرّه من ويلات على الخلق والبلاد، إنها حروب تهلك الحرث والنسل، وتفسد الأخضر واليابس، ففي عرض مقارنته بين الدولة الإسلامية - التي تحمل لواء الجهاد بصورته المشرقة- وغيرها أنّ التيار الاستبدادي الاستعماري في الدول الأخرى تيار ظالم ومناف لطبيعة العالم الإسلامي، ومباين لمصالح الأكثرية المطلقة من أهل الإيمان، فضلاً عن أنّ عمره قصير، ومعرّض للتمزّق والتلاشي، ولو كنا نشبه ذلك التيار لخرجنا عن الطبيعة الفطرية

للعالم الإسلامي ولسقناه إلى ما ينافي طبيعته. فالمدنية الحديثة لم نر منها غير الضرر فقد طغت سيئاتها على حسناتها. والإنسان بصحوته ويقظته ومصلحته سيقضي عليها (سيئاتها).[3] هذا الاعتراف من النورسي بحسنات المدنية الغربية الحديثة لا أننا لو سلكنا مسلكهم لتمزقت دولة الإسلام ولم يبق له أثر!

ويرى أن الدولة لا تعني غضّ الطرف وقطع النظر عن رؤية الأخطار الهائلة المحدقة بالأمم والمجتمعات، وهي ما تسبّبت به هذه المدنية!! وهذا من إنصاف النورسي وتفكيره العقلاني في التعامل مع كل ما حوله.

ومعنى هذا الكلام أنّ مسار الجهاد في الإسلام ليس مساراً عدائياً أو استبدادياً ظالماً يهدف إلى جني المصلحة والمنفعة، أو يهدف إلى السيطرة على العالم وإذلال الخلق كما هي طبيعة حروب العصر التي لا ترعى في مؤمن إلاّ ولا ذمّة. وهنا يشير النورسي إلى صفة في الأمة المسلمة تلك الصفة الفطرية التي تحترم إنسانية الإنسان وكرامة الإنسان، وتتقيد بقيود الشريعة الفطرية! فإذلال الخلق وقهرهم مرفوض فطرة، وسفك الدماء مرفوض فطرة... فالجهاد محكوم بأساسيات الفطرة وأنوار الشريعة الغراء.

٢. الغايات المثالية للجهاد:

من واقع التفكير الهادئ العميق يوجز النورسي رحمه الله غايات الجهاد على صورة لم يسبق إليها توضيحاً وبياناً وتأصيلاً، فيبين أنّ دولة الإسلام أخذت على عاتقها القيام بفريضة الجهاد فرضاً كفائياً، للأسباب الآتية:[4]

- إعلاء كلمة الله تعالى.

- الحفاظ على استمرار حرية العالم الإسلامي الذي يعدّ كالجسد الواحد.

- أنّ الجهاد باعث روح الأخوة الإسلامية بين المسلمين. فحين يتألم المجاهدون في مكان يتألم معه العالم الإسلامي كله.

والإضافة النوعية في هذا البيان ما ورد في الفقرتين الثانية والثالثة من غايات عظيمة، فالحفاظ على حرية العالم الإسلامي مقصد من مقاصد الجهاد في سبيل الله، إنّ مقصد الحرية هو أحد المقاصد القرآنية الأربعة التي تقررت في فكر

النورسي رحمه الله. والجهاد يضمن بقاء هذه الحرية واستمراريتها، ويصون قرار الأمة السياسي والاقتصادي والاجتماعي عن التأثر بهوى الأمم الأخرى والتبعية لها، كحال الأمة اليوم حيث لا تملك أياً من قراراتها السيادية أو المصيرية، وإنما هي خاضعة لتأثير قوى الشرق والغرب عليها.

أما الفقرة الثالثة التي يرى فيها أنّ الجهاد في سبيل الله هو باعث روح الأخوة الإسلامية ومحرّكها، فتشعر الأمة كأنّها كالجسد الواحد، وبذلك تزول ما يسمى بالحدود المصطنعة التي صنعها الغرب ومزق بها هذا الجسد الكبير للأمة الإسلامية. لا كما يشهد الواقع المعاصر من مآسي تحدث في بلد لا يحسّ ولا يتألم بسببها المسلم في البلد المجاور! إن هذه الوحدة الشعورية بين أفراد الأمة تجعلها وحدة واحدة بقطع النظر عن ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم... فلو عطس ابن المشرق لقال له ابن المغرب: يرحمك الله! فالجهاد في سبيل الله يمثل الصورة العملية الواقع لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات:١٠] ولقوله صلى الله عليه وسلم:'' مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى''.[5]

فالآثار الإيجابية المترتبة على الجهاد في سبيل الله تعود وتنعكس على حرية الأمة ووحدتها الاستراتيجية، فتحفظ كرامتها وسيادتها وهيبتها بين الأمم.

٣. التحذير من مخاطر ترك الجهاد:

تضافرت نصوص الكتاب والسنة في الحث على الجهاد في سبيل الله، والتحذير من التواني والتباطؤ في النهوض به، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.[التوبة:٢٤]

ويقول النبي ﷺ: (لَئِنْ تَرَكْتُمْ الْجِهَادَ وَأَخَذْتُمْ بِأَذْنَابِ الْبَقَرِ وَتَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ لَيُلْزِمَنَّكُمْ اللهُ مَذَلَّةً فِي رِقَابِكُمْ لَا تَنْفَكُّ عَنْكُمْ حَتَّى تَتُوبُوا إِلَى اللهِ وَتَرْجِعُوا عَلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ)[6] والمقصود إن اشتغل المسلم بعرض الدنيا من حرث وزراعة وتجارة وترك الجهاد في سبيل الله فإنّه سيترتب على ذلك ذلّ ومهانة.

تتعالى الأصوات التي تنتقد الجهاد، وتعتبره عبئاً على الأمة، وتحاول أن تسوّق فكرة أنّ الجهاد في الإسلام دفاعي فقط، وأنه ليس إلا دفاعاً عن النفس. وكأن تركه يورث خيراً كثيراً، وينهض النورسي رحمه الله ليرد على مثل هذا الافتراء، فيرى أن ترك الجهاد يحدث شروراً كبيرة دون الحصول على خير يذكر، بينما الجهاد يورث خيراً كثيراً فالإسلام بالجهاد ينجو من سيطرة الكفار.[7] وهي إشارة ذكية نمّت عن عقلية عبقرية، أجل! إن ترك الجهاد سيعرض الإسلام للخطر، والواقع أكبر برهان، وأوضح شاهد على ذلك!

ويلمح النورسي رحمه الله فهماً متداولاً في أرض الواقع من الشبهات، حيث ينسب بعضهم الأفعال ونتائجها إلى الفعل نفسه، فلا يعني هذا أن يعتقد مسلم أن نتائج الخير مترتبة على الجهاد نفسه، بل إنّه يجب عليه أن يفكر في عمله ويدع التفكير فيما يخص فعل الله تعالى وشؤونه سبحانه. فالله أمر بالجهاد ونحن ننفذ إرادة الله تعالى.[8] فإذا أخذ المسلم بالأسباب، وأعدّ ما تتطلبه ضرورة الإعداد والاستعداد، فإنّ تحقيق النتائج موكول إلى الله تعالى لا يخضع لهوى أو رغبة أحد.

٤. الآثار النفسية للجهاد على تركيبة الأفراد

ويبرز النورسي بوصفه عالماً من علماء النفس والاجتماع، فيبين أنّ الجهاد ضرورة لازمة لصقل شخصية المسلم، فلا يمكن أن يكتسب الشجاعة والجسارة فرد ترك الجهاد في سبيل الله، وكما يصدق هذا على الفرد يصدق على الحكومة والدولة، يقول النورسي رحمه الله: إنّ نشوء الحسّيات العالية، ونمو الأخلاق، إنما هو بالمجاهدة، وتكمّل الأشياء إنما هو بمقابلة الأضداد ومزاحمتها، ألا ترى أن حكومة إذا جاهدت ينمو فيها الجسارة وإذا تركت انطفأت.. تأمل.[9] هذه الجسارة هي هيبة الحكومة وقوتها.

ويؤكد هذا المعنى في ضوء قوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾[البقرة:٢٧] يقول: ''اعلم! أن هذا الأمر عام للأمر التشريعي والأمر التكويني المندمج في القوانين الفطرية والعادات الإلهية، فالقطع لما أمر بوصله شرعاً كقطع صلة الرحم وقطع قلوب المؤمنين بعض عن بعض وعلى هذا القياس..

وتكويناً كقطع العمل عن العلم، وقطع العلم عن الذكاء، وقطع الذكاء عن الاستعداد ، وقطع معرفة الله عن العقل، وقطع السعي عن القوة، وقطع الجهاد عن الجسارة''.[10]

هذا كله يصوّر شخصية سعيد القديم في موقفه من الجهاد، ويبقى صالحاً لما بعد شخصية سعيد الجديد من الناحية الفكرية التنظيرية، وهو فكر متوازن رصين تقررت فيه أبعاد الجهاد بعقلانية وحكمة. أما من الناحية العملية الواقعية فإنّ النورسي رحمه الله يرى أنّ هناك جهاداً أهم تتطلبه الحياة الواقعية! وهو ما سيتم تناوله في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: في الجهاد المعنوي

إنّ شخصية سعيد الجديد تمثل الجهاد من النوع الثاني، إنّه الجهاد الذي يحفظ حقائق الإيمان، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾الفرقان:٥٢ فحين رأى نتائج الحرب العالمية الثانية قال: بحلول الحرب العالمية الثانية وخضّها لهم أفرز الذهن المبارك من اللين فتحوّل إلى مخيض لا قيمة له، فعاد سعيد الجديد إلى الاستمرار في جهاده وخالف سعيد القديم.[11] وقد تقررت أبعاد أخرى في فكر النورسي لموضوع الجهاد المعنوي، نوردها في النقاط الآتية:

١. أعلى وسيلة لإعلاء كلمة الله تعالى في زماننا هذا هو الرقي المادي.[12]

يقول رحمه الله: ''إنّ الأجانب يسحقوننا تحت تحكمهم المعنوي بسلاح العلوم والصنائع، ونحن سنجاهد بسلاح العلم والتقنية الجهل والفقر والخلاف الذي هو ألدّ أعداء إعلاء كلمة الله تعالى، أما الجهاد الخارجي فنحيله إلى السيوف الألماسية للبراهين القاطعة للشريعة الغراء؛ لأنّ الغلبة على المدنيين إنّما هي بالإقناع، وليس بالإكراه كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئا''.[13]

وهذا الكلام ينطبق على واقع العالم الإسلامي ليس منذ عهد النورسي فحسب، بل ينطبق على واقعنا الحالي، حيث تفشى الجهل والأمية، والتخلّف في العالم الإسلامي، ولهذا السبب هيمن الغرب والشرق على هذا العالم الممتدّ من طنجة في الغرب إلى الخليج العربي في الشرق، وتفوّق على مليار

من المسلمين بفضل العلم، بل وصل الأمر إلى أن يكون لباسهم منه، وطعامهم منه، وسلاحهم منه، ودواؤهم منه... ولا حول لهم ولا قوّة! لقد استطاع النورسي رحمه الله أن يشخص الواقع أبلغ تشخيص، بل شخص العلاج لهذا الداء أبلغ تشخيص أيضاً.

٢. مجاهدة النفس ومغالبتها من الجهاد الأكبر

يؤكد النورسي أنّ أنجع وسائل الجهاد هي الجهاد الأكبر في العالم الأصغر لكل إنسان، يقول: "إنّ جني فوائد الحرية الحقة، والاستفادة منها استفادة كاملة منوط بالاستمداد من الإيمان؛ ذلك لأنّ من أراد العبودية الخالصة لرب العالمين لا ينبغي له أن يذل نفسه فيكون عبداً للعبيد، وحيث إنّ كل إنسان راع في ملكه وعالمه فهو مكلف بالجهاد الأكبر في عالمه الأصغر ومأمور بالتخلّق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وإحياء سنته الشريفة.[14] وهو من أعظم الجهاد كذلك. ولعلي بالنورسي رحمه الله يؤكد أن الغرب ما غزانا في عقر دارنا، وما فرض هيمنته علينا إلا بضعف إيماننا، وإهمالنا كتاب ربنا وسنة نبيّنا المصطفى صلى الله عليه وسلم. والقلوب الخاوية من الإيمان يسهل استعبادها للهوى، ويسهل امتطاؤها للشهوة. بل سيكون هؤلاء الجسر الذي يعبر عليه أعداء الأمة إلى قلبها، فيعيثون فيه الفساد! وما من صخرة كأداء تحطمت عليه أحلام أعداء الأمة وآمالهم إلا الإيمان واليقين الراسخ بالله تعالى.

٣. أثر رسائل النور في عالم الجهاد الأكبر

لا شك أنّ النورسي رحمه الله قضى دهراً من عمره يبين الإيمان الحق، ويذبّ عن هذا الدين الافتراءات الشبهات التي علقت به من واقع الجهل والتخلف، أو تلك التي قذف بها الشرق والغرب في أذهان المسلمين، فشوشت أفكارهم، بل أخرجت بعضهم إلى عالم الإلحاد والضلال، وإذا انساق خلف هذه الشبهات المثقفون فما بالك بالعوام من الناس!! هذا فضلاً عن انهيار القيم والأخلاق. إنّ دينهم في خطر عظيم! هذا الواقع المرير المؤلم ألهم النورسي بأنّ المعركة الحقيقية هي لا تتمثل في القتال بالسلاح، بل هي في ترسيخ حقائق

الإيمان وقواعد الإسلام في نفوس الناس، ولذلك بدأ يكتب رسائله يحاجج بها في كل صعيد، ويبثها في كل ميدان!

يقول مشخصاً واقع العالم الإسلامي: ''إنّ أعظم خطر على المسلمين في هذا الزمان هو فساد القلوب، وتزعزع الإيمان بضلال قادم من الفلسفة والعلوم، وإن العلاج الوحيد لإصلاح القلب وإنقاذ الإيمان إنّما هو النور، وإراءة النور وليس الجهاد المادي''.[15] أي: من خلال رسائل النور التي هي تفسير للقرآن الكريم.

يقول رحمه الله: ''إن الذي يقابل الدمار الأخلاقي والانحطاط القيمي وتصدّع ركائز الإيمان هو تلك الرسائل النورانية التي أينما حلّت قاومت الدمار، وحالت دون تهدم الأسس الاجتماعية القرآنية... إن الفساد الذي دبّ في العالم اليوم وأحاطه بظلمات الإرهاب والفوضى، وعمت الحياة والأخلاق مظالم شنيعة وإلحاد شنيع، فظهر الفساد في البر والبحر نتيجة زلزال السد القرآني العظيم وهو الشريعة المحمدية الغراء. وإن الجهاد المعنوي لطلاب النور ضد هذا التيار الجارف يعدّ –بإذن الله– جهاداً عظيم الثواب''.[16]

إنّ نشر رسائل النور يعدّ من أنواع العبادات... بل إنه جهاد معنوي تجاه أهل الضلالة ذلك الجهاد الأهم.[17] وكثيراً ما يطلق النورسي على خدمة رسائل النور بالجهاد المعنوي. أو جهادنا المقدس.[18]

ويقول مخاطبا تلاميذه: ''انّ دوام عملكم في سبيل الايمان بوساطة رسائل النور يعني أنّ كل واحد منكم يؤدي عملاً كبيراً في وقت قليل، نظير ما ينجزه البعض في عشر سنوات من أعمال تنجز في مائة سنة... إنها مجاهدة مرهقة''.[19]

إنّه لا ينبغي الاستخفاف بالأخلاق والقيم، ولا ينبغي الاستهتار بالعلاقات الاجتماعية والروابط الأخوية بين المسلمين، فإصلاح هذه الروابط والعلاقات، وإدامة المحبة بين أفراد المجتمع... لمن أهم الواجبات!

يقول: مخاطباً أهل الحق وأهل الشريعة وأهل الحقيقة والطريقة بضرورة العفو والصفح عملا بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[الفرقان:٧٢] فاعفوا

عن هفوات إخوانكم، واصفحوا عن تقصيراتهم، وغضّوا أبصاركم عن عيوب بعضكم، واجعلوا انقاذ أهل الحق من السقوط والذلة من أهم واجباتكم الأخروية وأولاها بالاهتمام وامتثلوا بما تأمركم به مئات الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة من التحابب والتعاون، واستمسكوا بكل مشاعركم بعرى الاتفاق والوفاق مع إخوانكم في الدين، ونهج الحق المبين...[20]

ويحذّر -كل التحذير- من الاستهانة بهذا الجهاد المعنوي فيقول: ''واحذروا دائما من الوقوع في شباك الاختلاف، ولا يقولن أحدكم: سأصرف وقتي الثمين في قراءة الأوراد والأذكار والتأمل، بدلاً من أن أصرفه في مثل هذه الأمور الجزئية'' فينسحب من الميدان ويصبح وسيلة في توهين الاتفاق والاتحاد، وسبباً في إضعاف الجماعة المسلمة؛ ذلك لأن المسائل التي تظنونها جزئية وبسيطة ربما هي على جانب عظيم من الأهمية من هذا الجهاد المعنوي.[21]

وهكذا... يختار النورسي لكل معركة السلاح الذي يناسبها، فالبندقية والمدفع لا يصلحان حين يتفشى الجهل وتسود الأمية والتخلّف، وتنحدر الأخلاق، وتختلّ القيم والأعراف والموازين الحق.

الخاتمة

نخلص من هذا البحث إلى نتائج عديدة أجملها في النقاط الآتية:

- الجهاد في سبيل نشر حقائق الإيمان وترسيخ قواعد الإسلام لا يقل أهمية عن جهاد أعداء الله بالسلاح، فلكل معركة سلاحها.

- إن نشر العلوم والتمكن منها، وامتلاك القدرة على التصنيع لهو من الجهاد الأعظم الذي نتمكن به من مقارعة أعداء هذا الدين الذين هيمنوا على الأمة المسلمة بالعلم والصناعة. بل إنّها أنجع وسيلة لإعلاء كلمة الله لتكون هي العليا.

- إنّ الجاهزية والاستعداد لمواجهة أعداء الله ضرورة لازمة لنمو الأخلاق الفاضلة من شجاعة وجسارة إن على مستوى الفرد، أو على مستوى الدولة والحكومة.

- إنّ مسار الجهاد في سبيل الله ليس مساراً عدائياً أو استبدادياً ظالماً، بل مسار يعلي كلمة الله، ويحفظ حرية العالم الإسلامي، ويعمق روابط الأخوة الإيمانية بين المسلمين.

- إن توثيق عرى المودة والمحبة، وحفظ روابط الأخوة بين أفراد المجتمع هو من الجهاد الأكبر الذي تدعو إليه رسائل النور بوصفها تبيانا لمعاني القرآن الكريم.

* * *

الهوامش:

[1] كلية الشريعة/ جامعة آل البيت/ الأردن.
[2] انظر: المكتوبات، ص : ٦٠٤.
[3] انظر: صيقل الإسلام، ص :٣٥٦-٣٥٧.
[4] النورسي: المكتوبات، ص ٦٠٦. وصيقل الإسلام، ص ٣٥٦-٣٥٧.
[5] رواه الإمام مسلم في الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفه وتعاضدهم، حديث رقم: ٤٦٥٨.
[6] رواه الإمام أحمد في المسند، ح رقم ٤٧٦٥.
[7] انظر: المكتوبات، ص ٥٢. إشارات الإعجاز ص ٣٥.
[8] انظر: اللمعات، ص ١٩٨-١٩٩.
[9] إشارات الإعجاز، ص ٢٠٧.
[10] المصدر السابق نفسه، ص ٢١٢
[11] صيقل الإسلام، ص ٣٨٣.
[12] المصدر السابق نفسه، ص ٥٢٧.
[13] صيقل الإسلام، ص ٥٢٧.
[14] المصدر السابق نفسه، ص ٥٣١.
[15] اللمعات، ص ١٥٨.
[16] الملاحق، ص ١٧٠.
[17] اللمعات، ٢٥٢، والملاحق، ٢٨٨. وانظر: الشعاعات، ص ٣٦٥-٣٦٦.
[18] انظر: الشعاعات، ص ٣٦٧، ٥٢٦.
[19] الشعاعات، ص ٥٢٨.
[20] اللمعات، ص ٢٣٥
[21] المصدر السابق نفسه، ص ٢٣٦.

غياب العمل الإيجابي أو تغييبه في حياة المسلمين المعاصرة
– الأسباب والعلاج –
دراسة في رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي

The Absence of Positive Action in Contemporary Muslim Life –Causes and Solutions– A Study of Bediuzzaman Said Nursi's Risale-i Nur

ABSTRACT

Prof. Dr. 'Ammar Djidel

An inductive reasoning will show that our century is characterized –in Nursi's terms- by the dominance of negative action, loss of positive action, terrorism, violence, chaos, tyranny, and injustice. This diagnosis could be considered a general description of the situation of the Muslim countries as a whole. There is no way to ward off these shortcomings without restoring back the positive action in consideration, theorization, and management and then applying it in every aspect of life. That is because the basis of overcoming the negative action is dominating the positive action, and it necessitates saving the faith, willingness to ward off internal and external ravages gently protecting the interests of everyone, and extreme caution of moving from a bad situation to worse. The negative action has terrible destructive effects that could be eliminated only by positive action. Thus, it becomes an important source of achieving security and stability and the solidarity of the ruler with the nation and vice versa, preoccupation with the fateful issues, and staying away from the suspicions, and from attacking opponent scholars, all which cause loss of freedom.

The study also points out that one of the direct results of the dominance of negative action on positive action is the negligence of saving faith and holding firmly to Quran. The most important thing in positive action is saving faith which is a paved path of reconciliation between the religious and modern schools, the shortest path of faith effectiveness, the foundation of the Islamic and human communication, the basis of thanksgiving and worship, the basis of establishing compassion and love in the heart and mind. Saving the faith gives the life a meaning, and it saves the human from absurdity and meets his moral needs without compromising his material needs, thus defeats the danger, softens the hearts, restores the function of faith service, promotes full sincerity, and contributes in overcoming internal and external ravages; this is the task of positive action.

الملخّص

أ.د. عمّار جيدل[1]

يمكن ومن زاوية وظيفية أن نستشف بمسلك استقرائي أنّ عصرنا تميّز بحسب -تعبير الأستاذ النورسي بهيمنة العمل السلبي وتضييع العمل الإيجابي والإرهاب -والعنف والفوضى والاستبداد والظلم ، ويعدّ هذا التشخيص عاما معرفا بحال بلاد المسلمين قاطبة، ولا طريق لدفع تلك النقائص بغير استعادة العمل الإيجابي في النظر والتنظير والتدبير ثم ترجمته في شعاب الحياة، لأن أساس تجاوز العمل السلبي هو تغليب العمل الإيجابي، ومقتضاه إنقاذ الإيمان والاستعداد لدفع التخريبات الداخلية والخارجية بلطف يراعي حماية المكاسب، والحذر الشديد من الانتقال من وضع سيّء إلى وضع أسوأ، ذلك أنّ للعمل السلبي آثار تدميرية رهيبة لا تدفع إلا بالعمل الإيجابي. فيكون مصدرا مهمّا للاستجلاب الأمن والاستقرار، وتضامن الحاكم مع المحكوم والعكس أيضا، والانشغال بالمعارك المصيرية، والبعد عن مواطن الشبهة، والابتعاد عن مهاجمة العلماء المخالفين، و التحرر من الارتهان للوقتي من ضغوط الزمان، فيكون كلّ ذلك سببا في تضييع الحرية،

وأشارت الدراسة إلى أنّ من النتائج المباشرة لتغليب العمل السلبي على العمل الإيجابي الغفلة عن إنقاذ الإيمان وعن الاعتصام بالقرآن، إنّ من أهمّ ما يرمي إليه العمل الإيجابي فيكون إنقاذ الإيمان، وهو طريق معبّد للمصالحة بين المدرستين الدينية والحديثة، وأقصر طرق الفعالية الإيمانية، ومصدر قيم الخير وصد الشر، وأساس التواصل الإسلامي والإنساني، وأساس الشكر والعبادة، ومبعث التأسيس القلبي والعقلي للشفقة والمحبّة، إنّ إنقاذ الإيمان يعطي الحياة معنى، فينقذ الإنسان من العبثية ويلبي حاجاته المعنوية من غير تفريط في حاجاته المادية، وبذلك تجاوز الهلاك، وتليين القلوب، وتستعاد وظيفة الخدمة الإيمانية، وإشاعة الإخلاص التام، والمساهمة في دفع التخريبات الداخلية والخارجية، تلكم هي مهمّة العمل الإيجابي.

* * *

بين يدي البحث

يحسن في البداية التأكيد على مجموعة من القضايا تيسيراً لاستيعاب الفكرة التي يراد بيانها في هذه الورقة، تؤكّد الورقة من البداية النقاط الآتية:

١- تعد رسائل النور في حقيقة أمرها ووفق ما أراد صاحبها جامعة بديلة عن المدرسة التي تمكّن منها خللٌ طرأ على أهلها في أوضاعهم العلمية والأدبية والأخلاقية إضافة إلى أوضاعهم الإيمانية أو الدينية بصفة عامة، لهذا كانت رسائل النور في وضعها الأصلي برنامج تلك الجامعة، ونظراً لعدم التمكّن العملي من تنفيذ مشروع تلك الجامعة، فقد تحوّل برنامجها المعروف برسائل النور إلى جامعة حرة مفتوحة متنقّلة.

٢- تمثّل رسائل النور حسب تقديرنا أم برامج الحركات على تنوّع ميادين مرابطتها، لهذا ينصب حديثنا في هذه الورقة على برنامجها الذي يمثّل أمّ برنامج الحركات الاجتماعية والتربوية والحضارية و...، وبالتالي ليس من مقصدنا الحديث عن حركة بعينها، بل يقتصر جهد ذلك البرنامج على صرف الجهد إلى حماية المبادئ الرئيسة المهددة في عصرنا الحاضر، فما هي المبادئ المهددة؟ هذا ما تحاول الورقة بيانه.

٣- أم برامج الحركات إثراء لمجمل الحركات وليس بديلاً لحركة أو حركات، فهو قيمة مضافة إلى برامج الحركات الحاضرة، لهذا كان حديثنا عن مسلك في التربية والتعامل مع الواقع الجديد، إنّه مسلك وليس حركة، من هذا المنطلق كانت الإفادة من أم البرامج سواء فردية وجماعية غير ملزمة بالانخراط في سلك حركة كما أنّها لا تمنع منه؛ لهذا أؤكّد أنّها تمثّل إضافة للدعوة الإسلامية في شكلها الرسمي أو الأهلي أو غيرهما.

التشخيص (ذكر أسباب الخلل الطارئ على الأمّة)

شاع بين الناس أنّ الإنسان الذي أزفت أيامه في الحياة الدنيا على الانتهاء، يكون سريع الخطو إلى تطليق دنيا الناس وقصر جهده على ما ينتظره في الدار الآخرة، وهذا شأن من يعيش لنفسه، أمّا من يعيش لأمّته؛ فإنّه يستصحب

بتصرّفاته قبل أقواله سنّة النبي ﷺ، فيتجاوز الأنانية وينادي بملء فيه متأسيا بسيدنا رسول الله ﷺ: ''أمتي، أمّتي''.[2]

وقد كان الأستاذ بديع الزمان النورسي متمثّلا التوجيهات النبوية الكريمة، فضمّن درسه الأخير[3] توجيهات تبيّن حال الأمّة الإسلامية والخلل الطارئ على تصوّراتها وتصرّفاتها.

ولو أردنا أن نلخّص تلك الأمراض التي أصابت الأمة، لوجدناها ما زالت بيننا تمدّ بعناصر الحياة من تصرّفاتنا وتصوّراتنا، ولعلّ أهمّها على رأي النورسي، ما ملخّصه النقاط الآتية: تغليب العمل السلبي على العمل الإيجابي.

يولّد تغليب العمل السلبي على العمل الإيجابي الانشغال عن المبادئ المهددة، فتتهيّأ النفوس للغفلة عن إنقاذ الإيمان، ومن ثمّ تضييع وظيفة الخدمة الإيمانية، بسبب ضياع الإخلاص التام، وشيوع التخريب المعنوي.

لم تأت هذه الأمراض الفتّاكة من فراغ، بل صنعناها في مؤسساتنا الاجتماعية واستنسختها منظوماتنا التربوية بشكليها الوعظي والتعليمي؛ فكانت بالفعل والقول مسوّقات تلك التصوّرات والتصرّفات.

يستشف من مبررات إنشاء مدرسة الزهراء (الجامعة التي تمثّل رسائل النور برنامجها)[4] أنّ الخلل الطارئ على الأمّة نشأ بفعل كسبها وتصرّفات اتباعها، لهذا توقّف الأستاذ عند تلك الأسباب عرضاً وتحليلاً، ومن زاوية تأوينية نرى أنّ تلك المبررات مازالت حاضرة بيننا بعناوين مختلفة؛فمازالت مشكلة التعليم تفرض نفسها، وما زال إهمال المناطق الفقيرة والنائية سبباً في توتّر العلاقات بين المركز (السلطة المركزية) والأطراف (مواطن الأقليات أو المنبوذين...)، وزادت المؤامرة على الإسلام استفحالا، وشاعت النزعات الانفصالية في بلاد المسلمين، وعطّلت المدارس دورها في صناعة الوعي، وتحكّم قلّة قليلة من الأسرة الإنسانية في مصير الأغلبية الساحقة المسحوقة، وتحوّل المؤمنون عن وظيفة الخدمة.

تغليب العمل السلبي على العمل الإيجابي وآثاره التدميرية:

حضور الأستاذ النورسي في المشهد الثقافي والتربوي أكبر من أن يستدلّ عليه؛ فعباراته الواردة في درسه الأخير، تؤكّد بما لا يدع مجالا للشك أنّنا أمام شخصية منفصلة جسمانيا عن المجتمع،[5] ولكنّها متّصلة به في وعيها بما يعيشه من سلبيات خطيرة؛ فمن ذلك تنبيهه إلى خطورة العمل السلبي على الأمة في حاضرها ومستقبلها، لما يقتضيه من عناية بأقوال وأعمال المخالفين أكثر من العناية بالبذل العملي الميداني، يشير إلى ذلك المعنى قول الأستاذ:

''إنّ وظيفتنا هي العمل الإيجابي البنّاء وليس السعي للعمل السلبي الهدام.''[6]

ومن مقتضيات العمل الإيجابي السعي الدؤوب للقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله، وهذا يفرض التجمّل بالصبر والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة،[7] وغني عن التأكيد أن لفظ البناءة يؤكّد بما لا يدع مجالا للشك أنّ المطلوب هو تجاوز العمل السلبي بعمل يضيف قيمة مضافة للعمل المكتسب، إنّها تعني البناء لا الهدم وتهدف إلى تحقيق الاتصال والابتعاد عن الانفصال بكل معانيه وأبعاده، وفي ذلك مسلك حياة ومنهج تبليغ.

إنّه مسلك ينأى بالملتزم به ولا سيما عشّاق رسائل النور من الوقوع تحت طائلة المضاعفات الثانوية لتغليب العمل السلبي على العمل الإيجابي، ولعل من أهمّها:

أ ـ ضياع الأمن والاستقرار:

ضياع الأمن والاستقرار نظراً لما يتطّلبه العمل السلبي من نقد ومطارحات ونقاشات، كان يمكن تجاوزها بالعمل الإيجابي، والذي من ثمراته المباشرة الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي، لما يفرضه من عمل بنّاء يؤسس للتواصل وينشد تحقيقه بكل أبعاده.

وقد ضرب الأستاذ النورسي أروع الأمثلة في العمل الإيجابي، رغم تهيّئ الجو للعمل السلبي، فيقول متحدّثا عن نفسه: ''أقول متخذًا من نفسي مثالاً:

إنّني لم أنحن تجاه التحكم والتسلط منذ القدم. وهذا ثابت بكثير من الحوادث. فمثلاً: عدم قيامي للقائد العام الروسي، وكما إنّني لم أعر أيّة أهمية على أسئلة الباشوات في ديوان المحكمة العسكرية العرفية الذي كان يهددني بالشنق والإعدام. وطوري هذا تجاه القواد الأربعة تُبين عدم قبولي للتحكم والتسلط. إلاّ أنّني قابلت المعاملات الشائنة بحقي منذ ثلاثين سنة الأخيرة بالرضى والقبول، ذلك من أجل السعي للعمل الإيجابي والاجتناب عن السعي للعمل السلبي لأجل ألاّ أتدخل بما هو موكول أمره إلى الله. بل قابلتها بالرضى والصبر الجميل."[8]

ومن ذلك أنّه رحمه الله لم يدع بسوء حتى على المدعي العام الذي اتخذ ضدّه قراره الجائر رغم أنّه قد اثبت أخطاءه البالغة واحداً وثمانين خطأً. [9]

لأن المسألة الأساسية في هذا الزمان هي العمل الإيجابي الذي طريقه الجهاد المعنوي، وإقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة.

ب- خوف الحكّام:

يحذّر الأستاذ النورسي من الاغترار بقوّة مسلك العمل الإيجابي واستعماله في غير تأمين الأمن الداخلي، ذلك أنّ وظيفته الأساسية هي الإعانة على ضمان الأمن الداخلي بكل ما يملك من قوة. لهذا السبب لم يشتغل الأستاذ بما يخلّ بنظام الأمن، وكانت تصرّفاته سعيا دؤوبا لدفع خوف الحكام وأنصارهم من جهة، وسعيا إلى التحقق بالحرية التي هي مطلب الجميع خدمة للبلاد والعباد.[10]

ج – الانشغال بالمعارك الهامشية عن المعركة الأصلية:

نسجّل في البداية أنّ العمل السلبي يشغل المهتمين بالدعوة عن المعارك المصيرية، ويسلمهم إلى معارك هامشية، المنتصر فيها منهزم، بالنظر إلى ضياع معركة المصير، وانشغالا بأولوية الأولويات سعى بديع الزمان إلى تطمين الحكّام على ملكهم ودفع خوفهم من المتديّنين،[11] وبهذا الصدد تراه يؤكّد أنّه ليس من مقاصد رسائل النور أو أهدافها في العصر الحاضر الاشتغال بالسياسة،

إذ تتلخّص المعركة في تحطيم الكفر المطلق الذي يعدّ أس أساس الفوضى والاستبداد والتأسيس للأمن والنظام والحرية والعدالة.[12]

صرّح بديع الزمان بهذه المعاني في سياق مرافعته عن رسائل النور فيقول رحمه الله: ''أيها البائسون!.. إن رسائل النور لاعلاقة لها بالسياسة، بل تقوم بتحطيم الكفر المطلق -الذي أسفله الفوضى وأعلاه الاستبداد المطلق- وتفتيته وردّه على أعقابه... تسعى رسائل النور إلى تأسيس الأمن والنظام والحرية والعدالة في هذا البلد.''[13]

د ـ الابتعاد عن مواطن التهمة:

تدل تصرّفاته رحمه الله على تبني ذلك المسلك في التغيير، إذ تأسيسا لمعاني طلب الأمن والحرية والنظام والعدالة، تجده ينأى بنفسه من أن يكون هدفا للاتّهام بالتعلّق بالدنيا ومفاتنها، لهذا تجده من منطلق الحكمة في التبليغ يتهرّب تهرّبا شديدا وينفر من التعرّض للسياسة والحكم، رغم امتلاكه قوّة الحق ما يسمح له بالدفاع عن حقه بجدارة وكفاءة، تؤكّدها إشارته الرائعة إلى مقتضيات تغييب العدالة رغم عزوفه عن الخوض في السياسة، وعزاءه في ذلك أنّه مادام كل شئ زائلاً وفانياً ومادام الموت موجوداً والقبر لا يزال فاغراً فاه، ومادام الأذى ينقلب إلى رحمة، فإننا نفضل أن نصبر ونتوكل على الله ونشكره ونسكت. أما محاولة الإخلال بسكوتنا وهدوئنا بالإكراه بإيقاع الأذى بنا فإنها تناقض كل مفاهيم العدالة والغيرة الوطنية والحمية الملية.[14]

هـ ـ قلب الموازين:

- غيبوبة تسمّت صحوة:

ينأى العمل السلبي بأصحابه عن رؤية القضايا بموضوعية؛ يقلبُ هذا المسلك المحكّم التصوّرات وتهيمن عليه تشوّهات ظاهرة، فلا يرى الأمور على ما هي عليه في الواقع، وذلك من منطلق الرغبة الجامحة في تدمير الآخر، عِوض الانشغال بالبناء. ذلك أنّ مواقفها تعبّر عن ردود أفعال أكثر مما تعبّر عن حركة ذاتية مؤسّسة على معرفة جيّدة بالمعطيات وتفاعلها مع الواقع.

المصلح الإيجابي حينما يسجّل خللا في التصوّرات وانحرافا في الفعل، يسعى جاهدا إلى تحصيل صحوة تتجاوز الوعي الراهن الذي من مكوّناته عقلية العمل السلبي، ثم التأسيس لوعي يستوعب الراهن بجميع مكوّناته المادية والمعنوية، ويستلهم من القرآن دواءه، ذلك هو مسلك المصلحين الرساليين عبر الزمان.

جعل بديع الزمان التأسيس لصحوة إسلامية راشدة مقصدا رئيسا من مقاصد رسائل النور، ذلك ما ورد في الرسائل: ''أجل إن الهدف الذي كان يصبو إليه... منذ نعومة أظفاره والأمل الذي كان يحدوه... هو حصول صحوة إسلامية تعم العالم الإسلامي.

أثبت الأستاذ تبني هذا المسلك الإيجابي في مباحثاته مع مئات العلماء في كثير من الأماكن التي حلّ بها حتى حيّر السياسيين. ولم تغادره هذه المسؤولية الجسيمة والمهمة الثقيلة والشوق الدائم قط. فكان يأمل أن يكون الإعلان عن الحرية والمشروطية في خدمة الشريعة الغراء، ويكون ذلك تباشير سعادة الأناضول والعالم الإسلامي قاطبة.

وأكّد تبني ذلك المسلك بلسانه وقلمه؛ فألقى الخطب في ضوء ذلك الأمل وكتب المقالات بغية تحقيقه، وظهر ذلك أيضاً في مؤلفاته ولاسيما في السنوحات، واللمعات وغيرهما مما ألّفه في تلك المرحلة، وكان لا يتوانى من التصريح أن أعظم صوت مدوٍ في المستقبل هو صوت القرآن العظيم.''[15]

- مهاجمة العلماء المخالفين:

يتوقّف أنصار العمل السلبي كثيرا عند نقد المخالفين دون نظر في المضاعفات الثانوية لتلك الهجمات، إذ قد نهيّئهم بتلك التصرفات للانخراط في سلك المناوئين لأصالة الأمة وميراثها.

سعى الأستاذ إلى بيان عدم جدوى هذا المسلك، وتجاوز مجرد البحث النظري؛إذ بيّن بأحواله قلب مقاله أنّ الميل إليه صرف للطاقات في غير أبوابها، لهذا يقول ناصحا: ''إخواني! لا تهاجموا بعض العلماء الذين ظنوا بعض

إلجاءات العصر ضرورة، وركنوا إلى البدع. لا تصادموا هؤلاء المساكين الذين ظنوا الأمر ضرورة، بدون علم وعملوا وفقها... فلا تتحرشوا بهم وان كان المعارضون لنا من العلماء الأئمة.''

ويضرب النورسي أروع أمثلة العزوف عن مهاجمة أمثال أولئك العلماء، وفي ذلك يقول: ''إنني قد تحملت وحدي المعارضات كافة، ولم أفتر مقدار ذرة قط. ووفّقت في تلك الخدمة الإيمانية بإذن الله. فالآن رغم وجود ملايين من طلبة النور، فإنني أسعى بالعمل الإيجابي وأتحمّل جميع مظالمهم وإهاناتهم وإثاراتهم.''

ويؤكّد ذلك المعنى في قوله: ''إنّنا لا نلتفت إلى الدنيا، فإذا ما نظرنا إليها فنحن لا نسعى سوى معاونتهم فيها. فنحن نعاونهم في تأمين الأمن بشكل إيجابي. وبسبب هذه الحقائق وأمثالها نحن نسامحهم حتى لو عاملونا بالظلم.''

- الاستجابة لضغوط الزمان:

المتلبّس بالعمل السلبي تقرن أفعاله في الغالب بمحاولات تكييف الموروث الثقافي والحضاري برغبات الغازي؛فمن ذلك الفهم الخاطئ لقاعدة الضرورات تبيح المحظورات.

من ذلك ما حكاه النورسي عن بعضهم، وخاصة في قولهم: ''نحن الآن مضطرون. أي أننا مضطرون في تقليد بعض الأصول الأوروبية وموجبات المدنية حسب القاعدة المعروفة: إنّ الضرورات تبيح المحظورات.'' فيقول الأستاذ مخاطبا تلك الزمرة من المعجبين المخطئين في تقدير الضرورات: ''إنّكم منخدعون تماماً؛لأنّ الضرورة النابعة من سوء الاختيار لا تبيح المحظورات. فلا يجعل الحرام بمثابة الحلال. بينما إن لم تنبع من سوء الاختيار، أي إن لم تأت الضرورة عن طريق الحرام فلا ضير.''

ويزيد الأستاذ المسألة وضوحا بسوق الأمثلة، فيقول: ''مثلاً: إذا سكر شخص بسوء اختياره بشربه الحرام، ثم اقترف جريمة وهو سكران، فإنّ الحكم يجري عليه ولا يكون بريئاً بل يعاقب. ولكن إذا قام طفل مختل العقل بقتل

شخص ما -وهو في حالة الاختلال- فهو معذور ولا يعاقب. لأنه لم يقترف الجريمة بإرادته. وهكذا قلت للقواد والأئمة: أي الأمور تُعد ضرورية مما سوى الأكل والعيش؟. فالأعمال النابعة من سوء الاختيار والميول غير المشروعة لا تكون عذراً لجعل الحرام حلالاً."[16]

و- تضييع الحرية:

التركيز على تبني العمل السلبي يجلب التضييق على التصرّفات، ذلك أنّ الحكام أو من يقوم مقامهم يضيقون ذرعا بالعمل السلبي، بل سيكون العمل السلبي سببا في التضييق على العمل الإيجابي النابع من مصادر أخرى، فينال المجيد عقوبة بجريرة المقصّر، ولا يبعد هذا الخطر بغير المرافعة عن الحرية التي تخدم العمل الإيجابي ، بل لا يمكن تصوّر عمل إيجابي في غير جو الحرية، لهذا رافع الأستاذ عن الحرية[17] من منطلق التأسيس للعمل الإيجابي والمحافظة عليه؛فدعا إلى وضع قوانين أساسية تصونها من العابثين والوصوليين والانتهازيين، وتكون تلك القوانين مصونة بالشريعة الغراء، فالعمل على تكوين وعي بضرورة الحرية لا يختلف من حيث القيمة والتأثير عن العمل الإيجابي المؤسس للصحوة نفسها، إذ الخلوص إلى الصحوة يمرّ ضرورة بالحرية.

كما تجلى العمل على تأسيس صحوة إسلامية راشدة بإعادة الأمور إلى نصابها، فيعود الإيمان إلى مركزه في صناعة الوعي بالحياة ويكوّن دافع العمل إلى الخير الإنساني العام، وطريق ذلك إنقاذ الإيمان، وبهذا يكون من أهمّ متطلّبات تحصيل صحوة إنقاذ الإيمان والاعتصام بالقرآن الكريم.

إلاّ أنّ فاعلية هذا المسعى يفرض سعيا مستمرا للتحقّق بالجهاد المعنوي وتحقيقه على مستوى الأحوال قبل الأقوال، لهذا يجب التحلي بمقتضيات الجهاد المعنوي.

النتائج المباشرة لتغليب العمل السلبي على العمل الإيجابي:

١ـ الغفلة عن إنقاذ الإيمان وعن الاعتصام بالقرآن:

اعتبر الأستاذ رحمه الله أهم قضية في الوقت الحاضر إنقاذ الإيمان وتقويته بالاعتصام بالقرآن الكريم، وفي ذلك أقصر طرق صد الإلحاد، وحصر الأستاذ

نظره في هذا المقصد، ذلك أنّ حماية الإيمان وإنقاذه حماية للأمة في ماضيها حاضرها ومستقبلها، لهذا فالمرافعة مطلوبة حتى بمنظور وطني، لأنّها وطنية صادقة، ترمي إلى حماية البلاد والعباد من الوقوع في مخالب الأمراض القاتلة كالكفر والإلحاد الذين هم أخطر من الطاعون والسل.

وقد كانت تلك المساعي سببا في تكالب أعداء الوطن والدين من الملحدين؛فاختلقوا الافتراءات الظالمة والإشاعات المغرضة، ورغم ذلك بقي الأستاذ صلبا شامخا صابرا، يجابه كل ذلك بثقة المؤمن بالله، ومردّ ذلك التحمّل، الإيمان، ذلك المقصد الذي عمل على إنقاذه، فقد كان الإيمان مصدر العمل الإيجابي البناء ومرجعه، وهو المصدر الوحيد والرئيس لتلك الإيجابية.

ويرجع تركيز الأستاذ على عامل الإيمان الفاعل لأنّه أقوى من صولجان السياسة، ويمثّل برنامجا مكثّفا يسع الحياة كلّها، إذ لو كانت لنا مائة من الأيدي لما كفت في حمل النور المنبعث من الإيمان، ذلك الإيمان الذي كان وسيبقى أساس مسلكنا الحاثّ على الإخلاص وابتغاء مرضاة الله وحده، وهذا هو مصدر قوة النور. فالعناية الإلهية تحمي خدمتنا ما دمنا مخلصين نعمل عملاً إيجابياً بناءً.[18]

- أهداف إنقاذ الإيمان:

أ- المصالحة بين المدرستين الدينية والحديثة:

المسلك المؤسس على الإيمان كمقصد رئيس في تطعيم الأمّة ضد أمراض الإلحاد مدرسة تُصالح بين أهل المدرستين الدينية والحديثة وأهل الزوايا والتكايا وتجعلهم يتّحدون في خدمة ذلك المقصد، ذلك أنّ الإيمان يحدث بينهم الميل عن التنازع ثم الميل إلى تبادل الأفكار.[19]

ب- أقصر طرق الفاعلية:

يعتبر بديع الزمان رسائل النور من أهم وأقصر طرق تحقيق مقصد إنقاذ الإيمان وتحقيق الفعالية المنشودة المؤسسة للإيجابية المطلوبة.

ج- مصدر قيم الخير وصد الشر:

الإيمان مصدر قيم الخير وحائط صدّ الشر من ولوج القلوب والعقول؛فهو الدافع إلى الشكر والعبادة اللتين تعتبران مدار المقاصد الإلهية في بناء قصر الكون ولا سيما الإنسان الذي هو أفضلهم إزاء النعم التي نالوها، إنّ مدار الاستفادة من الكون وعناصره المادية والمعنوية الإيمان،[20] ذلك المقصد الذي يعدّ بمثابة محرّك سائر المقاصد ولبّ لبابها.

د- أساس التواصل الإسلامي والإنساني:

الإيمان يؤسس للتواصل بين المؤمنين من جهة والأسرة الإنسانية من جهة أخرى؛ذلك أنّه رابطة قوية في التأسيس المعنوي لأسمى جمعية وأقدسها في الوقت الماضي والحاضر والمستقبل، هي جمعية الجنود المؤمنين. فجميع الذين انخرطوا في سلك الجندية المؤمنة المضحية ابتداءً من الجندي إلى القائد هم داخلون في هذه الجمعية، وتواصل هؤلاء مع سائر أفراد الأسرة الإنسانية مبناه القيّم المؤسسة للإيمان، تلك القيم التي يرى من خلالها البشر من أسرة واحدة ولا فضل فيها لعربي على أعجمي ولأبيض على أسود، وأنّهم خلقوا للتعارف...

هـ- أساس الشكر والعبادة:

أصفى خلاصة مترشحة من الإيمان بجميع مضامينه وأبعاده الوظيفية الشكر والعبادة والحمد والمحبّة، ذلك وتعدّ في رسائل النور أهم المقاصد الإلهية في الكون وأهم نتيجة لخلق العالم.[21]

و- التأسيس القلبي والعقلي للشفقة والمحبّة:

تعمل رسائل النور من خلال مقاصدها إلى تجاوز ما شاع تداوله بين البشر من ألفاظ فقدت اجتماعيا معانيها وخاصة مصطلحي المحبّة والشفقة، إذ لا نجد لتلك المعاني في مزاولتنا الاجتماعية سندا من نقل أو عقل أو قلب، فكان منهج الرسائل مؤسسا للفكرة في أصل وضعها؛ فاستصحبها في وضع الرسائل، بل جعلها من غاياتها الرئيسة تأسيسا وتمحيصا، يشهد لهذه المعاني تأكيد بديع الزمان النورسي أنّ منهج رسائل النور يعبّر عن الشفقة والعدل والحق والحقيقة والضمير ليمنعنا بشدة من الوقوع تحت طائلة الاستجابة للاستفزاز الاجتماعي

أو المعرفي من خلال قصر الاهتمام بالأمور الجزئية على حساب الأمور الكلية والأساسية، نحو اختصار الهم في المزاولة السياسية نقدا وتمحيصا بل وحتى تأسيسا.

والقضية بهذا الصدد تحتاج إلى تدقيق، فالمسألة المشار إليها قد تكون قضية خطيرة وكلية لها دور أساسي في تزييف الوعي أو تأخير صناعة وعي، إلاّ أنّها بالنظر إلى المسألة الأم تعتبر جزئية، من ذلك مثلا في ظل الظروف الراهنة مسألة الإلحاد؛فلو قصرنا المعركة على المبتلين بهذا المرض النفسي والمعرفي؛ فإننا سنخسر أبناءهم وربّما أحفادهم، لهذا يؤكّد الأستاذ على أنّ وراء كل فرد من أولئك المبتلين بالإلحاد -واستحقوا بذلك العقاب- عدداً من الأطفال والمرضى والشيوخ الأبرياء. فإذا نزل بأحد أولئك المبتلين المستحقين للعقاب كارثة أو مصيبة، فإن أولئك الأبرياء أيضا سيحترقون بنارهم دون ذنب جنوه. وكذا لأن حصول النتيجة المرجوة أمر مشكوك فيه، لذا فقد مُنعنا بشدة[22] عن الاهتمام بالمسائل الجزئية على حساب معركة المصير المعبّر عنها بقضية حماية المكاسب الإيمانية والتأسيس لبقائها في المجتمع دون الدخول في معركة قد تعرّض البلاد والعباد إلى ما تحمد عقباه، لهذا يلحّ النورسي على التحليل الذي بموجبه نقدّر الأولويات، وأولوية الأولويات حسب تقديره حماية الإيمان بتثبيته وإثباته إن اقتضى الحال، وفي ذلك أبين جواب وأحسنه على الإلحاد عوض الدخول في مهاترات تعرّض طاقات الأمة إلى الضياع أو على الأقل تسهم في صرفها في غير أبوابها.

ح- إنقاذ الإيمان يعطي الحياة معنى:

إنقاذ الإيمان يعطي معنى إيجابيا لكل يوم من أيام العمر التي تمضي في السجن الكبير (الدنيا) أو السجن الصغير المعروف، فيمكن أن يُكسِب المرء ثواب عبادة عشرة أيام من عبادة يوم واحد، ويمكن أن يحوّل ساعاته الفانية -من حيث النتيجة- إلى ساعات باقية خالدة.. بل يمكن أن يكون قضاء بضع سنين في السجن وسيلة نجاة من سجن أبدي لملايين السنين.[23]

يحلّي الإيمان المنقذ الحياة بالرحمة وبذلك تكسب الحياةُ معنى وتشدّ إليها القلوب والعقول بما يخدم تعبيدها لله تعالى؛فالرحمة وفق ضبط الشرع لها من أدلة القيامة والسعادة الأبدية؛ لأن الرحمة إنما تكون رحمةً، والنعمة نعمةً إذا جاءت القيامة وحصلت السعادة الأبدية. وإلاّ فالعقلُ الذي هو من أعظم النِعَم يكون مصيبةً على الإنسان، والمحبة والشفقة اللتان هما من ألطف أنواع الرحمة تتحولان ألماً شديداً بملاحظة الفراق الأبدي.[24]

ط- إنقاذ الإنسان والاستجابة لحاجاته:

ترمي المقاصد الكلية والجزئية إلى إنقاذ الإنسان، فتستجيب تلك المقاصد لحاجاته، إذ لا يمكن تصوّر عدم استجابة العدالة والحكمة الربانيتين لتلك الحاجة العظمى، حاجة البقاء لأسمى مخلوق وهو الإنسان في حين أنهما تستجيبان لأدنى حاجة لأضعف مخلوق، فهل من الممكن أن تردّا أهم ما يرجوه الإنسان وأعظم ما يتمناه، وألاّ تصونا حشمة الربوبية وتتخلفا عن الإجابة لحقوق العباد؟[25]

وبذلك تعطي للحياة البشرية معنى وتزوّدها بالعناصر الإنسانية في التصرّفات والمقاصد والأهداف المتعلّقة بالحياة الدنيوية نفسها.

ي- تجاوز الهلاك:

إنقاذ الإيمان يؤسس لحائط صدّ معرفي واجتماعي و... فيؤسس للتطعيم المعرفي والحضاري المانع من تجاوز الفكر المهلك فضلا عن منع المبتلى بذلك من إهلاك نفسه، لهذا ينصح الأستاذ وبإلحاح بالتعلّق بالدين والعض عليه بالنواجذ فهو حامينا من الهلاك الدنيوي والأخروي، لهذا قال النورسي ناصحا: ''أيها المسلم لا ترخِ يدك عن الإسلام الذي هو حامي وجودنا وكياننا تجاه الدمار الذي تولّده هذه النتيجة المخيفة لتقدم أوروبا، بل عض عليه بالنواجذ واستعصم به بقوة، وإلاّ فمصيرك الهلاك.''[26]

س- تليين القلوب:

ترمي مقاصد رسائل النور إلى تثبيت القلوب وتنشيط عزائم الأتقياء والصالحين وتشدّ على أيديهم؛فتزوّدهم بالقيم والأصول الميسّرة لتحقيق ذلك الأمر بيسر ووضوح، بل تتجاوز ذلك إلى خدمة كل من دخلها محررا من أفكار مسبقة؛ وهو سرّ فشل أعداء رسائل النور المتسترين أن يتحمّلوا تلك الفتوحات النورية، فنبّهوا المسؤولين في الدولة ضد أهل الرسائل، وأثاروهم عليهم، فأصبحت الحياة -مرة أخرى- ثقيلة مضجرة، إلاّ أنّ العناية الإلهية تجلّت على حين غرة، حيث إن المسؤولين أنفسهم -وهم أحوج الناس إلى رسائل النور- بدأوا فعلاً بقراءة الرسائل المصادرة بشوق واهتمام، وذلك بحكم وظيفتهم. واستطاعت تلك الرسائل بفضل الله أن تليّن قلوبَهم وتجعلها تجنح إلى جانبها. فتوسعت بذلك دائرة مدارس النور، حيث إنهم بدأوا بتقديرها والإعجاب بها بدلاً من جرحها ونقدها. فأكسبتهم هذه النتيجة منافع جمة، إذ هي خير مائة مرة ممّا هم فيه من الأضرار المادية، وأذهبت ما عانوه من اضطراب وقلق. ولكن ما إن مرّت فترة وجيزة، حتى حوّل المنافقون -وهم الأعداء المتسترون- نظر الحكومة إلى شخصي أنا، ونبّهوا أذهانها إلى حياتي السياسية السابقة، فأثاروا الأوهام والشكوك، وبثوا المخاوف من حولي في صفوف دوائر العدل والمعارف (التربية) والأمن ووزارة الداخلية. ومما وسّع تلك المخاوف لديهم ما يجري من المشاحنات بين الأحزاب السياسية، وما أثاره الفوضويون والإرهابيون -وهم واجهة الشيوعيين- حتى أن الحكومة قامت إثر ذلك بحملة توقيف وتضييق شديد على الأستاذ النورسي وتلاميذه، وبمصادرة ما تمكنت من الحصول عليه من الرسائل، فتوقف نشاط طلاب النور وفعالياتهم.[27]

٢- تضييع وظيفة الخدمة:

تضييع وظيفة الخدمة الإيمانية غفلة ظاهرة عن مقتضيات الجهاد المعنوي كالتغافل عن التكليف والانشغال بالبحث النظري الذي لم تكلّف به، ومن ذلك البعد عن العمل الإيجابي البنّاء وتمثّل العمل الهدّام.

يؤكّد النورسي أنّ وظيفتنا الخدمة فحسب. بينما النتيجة تعود إلى رب العالمين، وأنّنا مكلّفون ومرغمون في الإيفاء بوظيفتنا. وبهذا الصدد يردد الأستاذ

قول جلال الدين خوارزم شاه: إنّ وظيفتي الخدمة الإيمانية، أمّا النصر أو الهزيمة فمن الله سبحانه. وإنّني قد تلقيت درس التقلد بالإخلاص التام من القرآن الكريم."[28]

ييسّر إنقاذ الإيمان تحرير مجال الفعل الإنساني بدقة متناهية، فتجلي تلك الحقيقة المنقذة مساحة الفعل، وتؤسس للعمل في المساحات المتاحة فعلا والابتعاد عن المساحات غير المطلوبة أو الممنوعة،

والقيام بوظيفة الخدمة انسجام مع العناصر الكونية في شقيها المادي والمعنوي، ذلك أنّ بين العناصر الكونية تكاملا يستغرق الجميع؛ فقد أعطى القدير الجليل كلَّ عنصرٍ من العناصر وظائف كثيرة، ويُنشئ على كلٍ من تلك الوظائف نتائج كثيرة.[29]

- خدمة الإيمان:

تتميّز رسائل النور بإكساب قرائها علما بطريقة مبتكرة أصيلة في تحصيل الحقيقة؛ذلك أن كلّ تحصيل علمي آخر تكون الغاية من الاستمرار فيه هي المنفعة المادية أو الحصول على موقع ما. أي أنّ الدوام لهذه الدروس لا تكون عن رغبة بل في الغالب للحصول على منافع مادية أو على شهرة. أما رسائل النور فتشبه جامعة حرة مفتوحة، والذين يداومون في هذه الجامعة بقراءة رسائل النور لا يبتغون أي هدف دنيوي بل يبتغون خدمة الإيمان والقرآن فقط لا غير.[30]

خدمة الإيمان تيسّر للإنسان تذكّر الغايات والمقاصد لأنّ الإنسان مبتلىً بالنسيان، وأسوأ النسيان نسيانَ نفسه. إلاّ أنّ نسيان النفس إن كان في المعاملة، والخدمة، والسعي، والتفكّر فهو الضلال. وإن كان في النتائج والغايات فهو الكمال. فأهل الضلال، وأهل الهدى متعاكسان في النسيان والتذكر. أما الضال؛ فينسى نفسه عند النظر للعمل، وتطبيق دساتير الوظيفة، بل يمدّ نظرَه إلى الآفاق لتطمين الأنانية المتفرعنة، وغرورَه المنبسط الذي تضيق عنه النفس. لكن يتذكر نفسه في كل شئ من الغايات فتيلاً أو نقيراً. حتى لا غاية عنده، إلاّ ما يعود إلى نفسه. وأنّ غاية الغايات في نظره، حب ذاته.[31]

ومن مظاهر خدمة الإيمان جعل الهدف المباشر لرسائل النور هو الآخرة، ولا علاقة له بالدنيا إلا بقدر ما ييسّر له العمل على تحقيق مقصد الآخرة، يشهد لهذا قول الأستاذ: ''إنّ رسائل النور لا تستهدف الدنيا، بل تستهدف السعادة الأخروية الدائمة وتستهدف نيل رضى الله الباقي الأزلي الرحيم ذي الجلال الذي لا يشكّل الحسن والجمال في الدنيا إلاّ ظلاً خافتاً لجماله ولا تشكّل لطائف الجنة جميعاً إلاّ لمعة من محبته سبحانه. فما دام مثل هذا الهدف الإلهي المقدّس ومثل هذا الهدف السامي موجوداً، فإنني أبرئ رسائل النور وأنزهها ألف مرة من الوقوع في أمور سفلية ومحرمة تؤدي إلى نتيجة كتحريض الناس ضد الحكومة. ونحن نلوذ بحمى الله تعالى من شرور هؤلاء الذين لا يريدون منا أن نتعلم أمور ديننا ولا أن نخدم إيماننا فيفترون علينا مثل هذه الافتراءات لكي يقضوا علينا.[32]

- نيل مرضاة الله:

يحقق السعي إلى الخدمة الإيمانية التهيّؤ لنيل رضا الله سبحانه وتعالى، لأنّ الله هيّأ لنا فرصة اكتساب محبّة الملايين من أهل الحقيقة ودعاءهم وشفاعتهم. وأنّ الحقيقة السامية المسماة بـ ''رسائل النور'' أمامكم. فهل المراتب والمقامات الدنيوية الفانية والسفلية هي غايتها؟ أم أنّ غايتها هي نيل رضى الله تعالى الذي هو السعادة العظمى والفرحة الكبرى والهناء التي ما بعدها هناء؟ أو تَحفز كلماتها الإنسان إلى الأخلاق الرديئة والهابطة أم تجهزهم بالإيمان وتجملهم بالفضيلة وبالأخلاق السامية؟ أنتم تجدون رسائل النور أمامكم وهى منبثقة من الإعجاز المعنوي للقرآن المبين الذي هو نور إلهي. فما دام اكتساب الإيمان، والانتقال بهذا الإيمان في الدنيا إلى سعادة الدار الآخرة أهم غاية للإنسان، ومادامت رسائل النور تقدم -بفيض من القرآن- الحقائق الإيمانية وتقرب مئات الآلاف من قرائها ومستنسخيها إلى هذا الهدف، إنّ طلاب النور لا يسعون إلا لنيل رضى الله تعالى وانه لا هدف لهم سواه.[33]

- بعث الصلة بين الإيمان والأخلاق:

شاع في أدبياتنا الانفصال النكد بين الأخلاق والإيمان، حتى صارت الصلة بينهما مفقودة؛فتجد الرجل يدندن بكلمات إيمانية لا صلة لها بحياته الشخصية أو الاجتماعية، كأن يكون لسانه لاهجا بذكر الله ولكن عقله وسلوكه في أبعد ما تكون عن تلك المعاني المردّدة باللسان، وقد ظهرت رسائل النور من أجل تجاوز ذلك الانفصال بالتأسيس للتواصل بينهما؛فجعلت الهدف الوحيد والخدمة الوحيدة لرسائل النور والأستاذ وطلبة النور هي إيفاء خدمة مقدسة للإسلام ولاسيما إيفاء خدمة مقدسة للأمة المسلمة من ناحية الإيمان والأخلاق... وأنّ إيفاءنا هذه الوظائف هو في سبيل الحصول على رضى الله تعالى...[34] بل نعمل على الاشتغال بالحقائق الإيمانية وحدها[35] وربطها بالأخلاق، إذ لا معنى لإيمان مفصول عن الأخلاق.

- الأخوة والمحبّة والتضحية:

رسائل النور سعي إلى تحصيل المحبّة والأخوة والتضحية وصورة عملية لتمثّلها، وبهذا تيسّرت لها فرصة تبليغها، ذلك أنّها عملت على التأسيس العملي لجمعية الجنود المؤمنين، وتشمل في عضويتها جميع الذين انخرطوا في سلك الجندية المؤمنة المضحية ابتداءً من الجندي إلى القائد كلهم داخلون في هذه الجمعية. والذي يعد من أقدس أهدافها الاتحاد والاخوة والطاعة والمحبة وإعلاء كلمة الله.

يمثّل جنود تلك الجمعية مراكزها، لهذا ينصح الأستاذ بالسعي إلى الانتساب إليهم، لأنّ صفّهم الأول المجاهدون والشهداء والعلماء والمرشدون.[36]

- الاتّحاد بين أهل الإيمان:

صرّح بديع الزمان في أكثر من موضع وبأسلوب صريح -كما هي عادته- أنّ من أهم غايات ومقاصد رسائل النور العمل على توحيد كلمة المؤمنين، ولمّ شملهم لخدمة هدف واحد مؤدّاه خدمة الإيمان نفسه، وطريقه التأسيس العملي للوحدة الشعورية بين المؤمنين أنفسهم؛فلا يصح أن يبقى المؤمنون مشتتين في أهدافهم وجهودهم، ولهذا المسعى أثر عظيم في استئصال مرض خطير معبّر عنه بقولهم: ''مالي وما عليّ فليفكر غيري''، يشهد لهذه المعاني قوله رحمه الله:

''إنّ قصدنا وهدفنا هو اتحاد الجماعات الدينية في الهدف. إذ كما لا يمكن الاتحاد في المسالك والمشارب فلا يجوز أيضاً، لأن التقليد يشق طريقه ويؤدي إلى القول: ''مالي وما عليّ فليفكر غيري''.[37]

- دفع الأمراض الاجتماعية بالإيمان:

يدفع الإيمان كثيرا من الأمراض الاجتماعية الفتّاكة، منها على سبيل المثال لا الحصر، مرض الحرص الذي يعدّ من رؤوس البلايا الأخلاقية والاجتماعية، ذلك انّه كان وسيبقى سببا في تضييع كنز العيش الهنيء الرغيد ومبعث الراحة في الحياة المنبعث من القناعة، ومن هنا كان الحرص علّة الخيبة ومعدن الخسران والسفالة كما يتبين ذلك من الحديث الشريف: (القناعة كنز لا يفنى) فيتلف الحرص الإخلاص ويفسد العمل الأخروي؛ لأنّه لو وُجد حرص في مؤمن تقي لرغب في توجه الناس وإقبالهم إليه، ومن يرقب توجه الناس وينتظره لا يبلغ الإخلاص التام قطعاً ولا يمكنه الحصول عليه. فهذه النتيجة ذات أهمية عظمى جديرة بالدقة والملاحظة.[38]

ويصون دفع الإيمان من الحسد والمنافسة غير الشريفة، ذلك أنّ من مقتضيات الإيمان أن يتحرر المؤمن من تلك الأمراض، إذ ليس في أمور ديننا أمثال هذه الأمراض، ويرجع منشأ تلك الأسقام إلى تجاوز أو غفلة عن الأبعاد الوظيفية للإيمان، وما يترتّب عنها من تهالك على الشهوات وما ينجرّ عنها من مناقشات وتسابق ثم تزاحم ينتهي بأصحابه إلى الحسد. ولما كانت الدنيا ضيقة ومؤقتة ولا تشبع رغبات الإنسان ومطالبه الكثيرة، وحيث إنّ المتهالكين على الدنيا كثر يتزاحمون على شيء واحد، فالنتيجة إذن السقوط في هاوية الحسد والمنافسة.

ويدفع خطر تلك الأسقام بالتعلّق بالإيمان ومقتضياته وخاصة التفكير العملي في الآخرة وما أعدّ الله فيها للمؤمنين، إنّها فسيحة، بحيث يكون لكلّ مؤمن جنة عرضها السماوات والأرض تمتدّ إلى مسافة خمسمائة سنة، ولكل منهم سبعون ألفاً من الحور والقصور، فلا موجب هناك إذن إلى الحسد والمنافسة قط، فيدلّنا هذا على أنّه لا حسد ولا مشاحنة في أعمال صالحة تفضي

إلى الآخرة، أي لا مجال للمنافسة والتحاسد فيها، فمَن تحاسد فهو لاشك مراء أي أنّه يتحرى مغانم دنيوية.[39]

٣ – ضياع الإخلاص التام:

يذكر الأستاذ أنّ لهذا العصر مرضاً داهماً. هو الأنانية وحب النفس، واشتهاء قضاء حياة جميلة في ظل مباهج وزخارف المدنية الجذابة وأمثالها من الأمراض المزمنة.

يرى الأستاذ أنّ أوّل درس من دروس رسائل النور الذي تلقاه من القرآن الكريم، هو التخلي عن الأنانية وحب النفس. حتى يتم إنقاذ الإيمان بتقلّد الإخلاص الحقيقي. ولله الحمد والمنّة، فقد برز في الميدان كثيرون ممن بلغوا ذلك الإخلاص الأعظم الحقيقي. فهناك الكثيرون ممن يضحون بأنانيتهم وبمنصبهم وجاههم في سبيل أصغر مسألة إيمانية.

ويرى الأستاذ أنّ الذي يختار الإخلاص التام مسلكا لا بدّ أن يتهيّأ للتضحية والفداء، ولا يحقق ذلك ما لم يتجاوز الأنانية.

منح بديع الزمان تجاوز هذا المرض الخطير الأولوية المطلقة، تأسيسا للإخلاص التام الذي من مقتضياته خدمة المسائل الإيمانية، ظهر هذا المسلك في أحلك الظروف وأصعبها.

ويعبّر النورسي عن الالتزام بخط الإخلاص التام بتفضيله مسألة إيمانية عن الدنيا وما فيها، ذكر أنّه لو منحت له سلطنة الدنيا لفضّل عنها مسألة إيمانية واحدة باقية. لذا فقد فضّل نكتة دقيقة قرآنية في آية واحدة أو في حرف منها في الحرب، وفي الخط الأمامي بين قنابل مدافع الأعداء فأمر طالبه المسمى بـ حبيب: أخرج الدفتر فأملى عليه تلك النكتة وهو يمتطي صهوة جواده. أي أنّه لم يترك حرفاً واحداً ونكتةً واحدة من القرآن الكريم مقابل قنابل الأعداء بل يفضلها على إنقاذ حياته.[40]

٤ – شيوع التخريبات الداخلية:

من المهام التي طلب الأستاذ النورسي مجابهتها التخريبات الداخلية التي تسرّبت إلى صفوف الأمّة، وقد أكّد ذلك بعبارات واضحة، حيث يقول: ''في

الداخل ينبغي الوقوف أمام التخريبات المعنوية بشكل إيجابي بنّاء هدفه الحد من الكفر المطلق لدعوته إلى جهنّم المعنوي، وقد سعى رحمه الله إلى تحقيق ذلك الهدف النبيل بوصفه سدا أمام خطر داهم متعدد الوجوه والأشكال:

- الكفر المطلق مولّد لجهنّم معنوي.
- الكفر المطلق أب الفوضى.
- الكفر المطلق أصل الإرهاب.
- وسيلة المنافقين والزنادقة للحد من أثر الإيمان في الحياة.[41]

وبيّن النورسي أنّ رسائل النور سد أمام الكفر المطلق والإرهاب في هذا القرن، فقد كان الدرس القرآني واقيا من التيار الجارف للإلحاد الذي استولى على دول كثيرة وأقام سداً أمام هذا الهجوم. وهكذا وُجد حل سليم أمام هذا الخطر الداهم.

ومن أثار تلك التخريبات أنّ المسلّم المتحوّل عن دينه يتحوّل إلى إرهابي، لأنّ المسلم الصميم لا يمكن أن يخرج عن الإسلام ويتنصّر أو يتهود أو يكون بلشفيا... لأن النصراني إذا أسلم فإنّ حبه لعيسى عليه السلام يزداد أكثر. واليهودي كذلك يزداد حبه لموسى عليه السلام بعد دخوله الإسلام. ولكنّ المسلم إذا ارتد وحلّ ربقته من سلسلة الرسول محمد ﷺ وتخلى عن الدين الحنيف فلا يمكن له أن يدخل أي دين آخر بل يكون إرهابياً. ولا يبقى في روحه أي نوع من الكمالات. بل يتفسخ وجدانه، ويكون بمثابة سمّ قاتل للحياة الاجتماعية.[42]

ساهم انتشار رسائل النور بقسط وافر في قطع دابر تلك التخريبات، فكان لها الفضل بعد الله في إنقاذ كثير من أفراد المجتمع -على تنّوع أعراقه- من الكفر والفوضى وساعدتهم على التآخي والوحدة رغم اختلاف الأعراق المكوّنة للأمة، ومساهمتها مازالت حيّة بيننا، إذ تقدّم للإنسانية في العصر الحاضر تعريفا شاملا مجملا بالحقيقة الإسلامية وبذلك تسعف الإنسانية بقارب ينقذها من الإرهاب ويدفعه عنها.[43]

الخاتمة

يؤسس الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي لتجاوز مرض تغليب العمل السلبي على العمل الإيجابي بحل بسيط واضح وعميق منطلقه بعث العمل الإيجابي والابتعاد عن العمل السلبي، ومقتضى هذا السعي العمل على إنقاذ الإيمان، وعلى رأس مظاهر ذلك المسعى القيام بوظيفة الخدمة الإيمانية، إذ ليس الإيمان مجرّد كلمة تلاك، بل يمثّل برنامجا مكثّفا يسع الحياة في شمولها المادي والمعنوي، الفردي والاجتماعي، العقلي والقلبي... ولا يمكن التحقّق بذلك بغير الإخلاص التام الذي يدفع المتحلّي به إلى تطليق الأنانية ويرشّدها خدمة للصالح العام للأمّة، وبهذا يكون مستعدا لمقاومة التخريبات المعنوية الداخلية والخارجية التي يمثّلها الكفر المطلق، وطريق ذلك الاستعداد للتضحية من أجل الآخرة من أجل نيل مرضاة الله سبحانه وتعالى.

* * *

الهوامش:

[1] كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر.

[2] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي) الْآيَةَ وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام: (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي وَبَكَى فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ وَهُوَ أَعْلَمُ فَقَالَ اللهُ يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ. رواه مسلم (١/٤٦٥).

[3] النورسي، بديع الزمان سعيد، سيرة ذاتية، الدرس الأخير، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٥.

[4] رسائل النور تشبه جامعة حرة غير منظمة، والذين يداومون في هذه الجامعة بقراءة رسائل النور لا يبتغون أي هدف دنيوي بل يبتغون خدمة الإيمان والقرآن فقط لا غير.

[5] تعيش عزلة اختيارية.

[6] انظر سيرة ذاتية، ص، ٤٦٩.

[7] المصدر نفسه.

[8] المصدر نفسه.

[9] انظر المصدر نفسه.

[10] أبينُ شاهد على ذلك مقابلته لكثير من الإساءات بإحسان منقطع المثيل، ولعلّ من أبينِ الشواهد على ذلك أنّه لم يدع بسوء على من أذاقه الأمرّين في المحاكمة أو في النفي أو...

[11] يرجع أساسا إلى سوء عرضهم لبضاعتهم الفكرية والدينية.

[12] انظر سيرة ذاتية ص ٤٧٢.

[13] النورسي، بديع الزمان سعيد، الشعاعات، ٣٣٤ -بتصرف، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، إسطنبول ١٩٩٣-.

[14] انظر الشعاعات ٣٤٧.

[15] سيرة ذاتية ١٨٢.

[16] انظر عددا أكبر من الأمثلة ، سيرة ذاتية ٤٧١...

[17] انظر كتابنا، ماهية الإنسان وصلتها بحريته ووظيفته الاجتماعية.

[18] انظر سيرة ذاتية ٣٦٤.

[19] سيرة ذاتية ٥٠٦.

[20] انظر النورسي، بديع الزمان سعيد، المكتوبات، ص ٣٠٨، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٢.

[21] النورسي، بديع الزمان سعيد، اللمعات، ص ٥٥٩، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، إسطنبول ١٩٩٣.

[22] انظر الشعاعات ٤٠٦.

[23] انظر الشعاعات ٥١٩.

[24] النورسي، بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص ٢٩، تحقيق إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، إسطنبول ١٩٩٤.

[25] انظر النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات، ص ٦٩، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٢.

[26] انظر النورسي، بديع الزمان سعيد، صيقل الإسلام، ص ٣٦٧، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٥.
[27] انظر سيرة ذاتية ٣٨٣.
[28] انظر سيرة ذاتية ٤٧٠.
[29] انظر الكلمات ١٩٧.
[30] انظر الشعاعات ٥٩٣.
[31] انظر النورسي، بديع الزمان سعيد، المثنوي العربي النوري، ٤٠٦، تحقيق إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، إسطنبول ١٩٩٤.
[32] انظر الشعاعات ٤٢٩، ٦٠١.
[33] انظر الشعاعات ٦٠٦.
[34] انظر الشعاعات ٦٢٢.
[35] انظر النورسي، بديع الزمان سعيد، الملاحق، ٩٤، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٥.
[36] انظر صيقل الإسلام ٤٤٧ ، سيرة ذاتية ١٠٧.
[37] صيقل الإسلام/الخطبة الشامية، ٥٣٦ سيرة ذاتية ٩٩
[38] انظر النورسي، بديع الزمان سعيد، اللمعات، ص ٢٢٠-٢٢٢ ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، إسطنبول ١٩٩٣.
[39] انظر اللمعات ٢٣٧
[40] انظر السيرة الذاتية ٤٧٤
[41] انظر السيرة الذاتية ٤٧٢-٤٧٣
[42] انظر السيرة الذاتية ٤٧٤
[43] انظر السيرة الذاتية ٤٧١-٤٧٤

الحوار والإصدارات والمؤتمرات

حوار الأستاذ الدكتور العلامة محسن عبد الحميد حفظه الله ورعاه

عُرف الأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد بعنايته الفائقة بالفكر الإسلامي، وقبل الغوص في تفاصيل الفكر وأسسه، يحسن التعرّف على سيادتكم من الناحية الأكاديمية من خلال سيرة موجزة.

س١. ما أهمّ مصنفاتكم، وما مجالاتها البحثية؟

ج١. مصنفاتي والحمد لله كثيرة، وموضوعاتها متنوعة ومهمة – لأنني منذ أن وفقني الله تعالى لهذه المهمة العلمية، كتبت في العقائد ومناهج التفسير والفكر الاسلامي القديم والمعاصر، ودراسات عن بعض الفرق الهدامة، ولم أكتب كتابا إلا استجابة لتحد معين، ذلك أنني لم أكتب لترف علمي وإنما لضرورة قاهرة.

س٢. جمعتم في مسيرتكم العلمية بين التعليم الأصيل وفق المسالك القديمة من جهة والتعليم الأكاديمي في مختلف مراحله، فما موقع كلّ واحد منهما في رحلتكم العلمية العامرة؟ وما ميّزات كلّ منهما ونقائصه؟

ج٢. المزج بين التعليم الأصيل وفق المناهج القديمة والتعليم المعاصر مهم جداً، ذلك أن التعليم القديم يعلمك الفهم الدقيق للنصوص والتعليم المعاصر يعلمك الفهم الضروري لاستيعاب المشكلات المعاصرة، ثم إن المزج بين الإثنين يوضح أمامك كيفية تطور الأفكار ومعرفة تولد المناهج المعاصرة من القديمة وجذور معرفة أدلتها ومواقفها وهذا يقل عندك التعصب أو يمحيه.

هذه العناية المبكرة جاءت من إيماني بأنّ الانطلاق من القرآن الكريم ضرورة لخوض الصراعات المتنوعة بإخلاص واستقامة من أجل تأكيد النجاحات وتثبيتها، فالقرآن هو أساس انقاذ الإيمان عند حدوث الانحرافات الخطيرة في الحياة. وهذا هو القانون الذي قرره الله تعالى لهداية العباد قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٩] وقال

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.[الشورى:٧]

س٣. كانت لكم عناية مبكّرة بدراسة منهج التفسير، فما سرّ هذه العناية المبكّرة؟ وما نتائجها على تكوينكم؟

ج٣. وعنايتي بتفسير القرآن الكريم ومناهجه –لأنني كنت حريصاً وواعياً أنني لابد أن أجد المنهج المستقيم من فهمه- كي أمشي على بصيرة ولا انحراف، وأما نتائجها هي أن القرآن وضعني على الصراط المستقيم والحمد لله.

س٤. عرفت حياتكم محطات فارزة في مساركم، فما أهمّها؟ وما الذي كان منعطفا في مسيرتكم المعرفية والتربوية؟

ج٤. يجب على الداعية المسلم ألا يقف على محطة واحدة، لأن الوقوف هو بقاء في الماضي، وقتل للحاضر والمستقبل، ومن هنا فلا بد من ملاحقة المعارف الجديدة، كي يستجيب الداعي لكل تحد جديد، في أية ناحية من نواحي الحياة ولا سيما بالنسبة إلى العقل المسلم الذي تقع على عاتقه ضرورة مواجهة الفصام النكد في زماننا هذا، وهو الذي أدركه مجددو الإسلام في عصرنا الحاضر.

س٥. لم تكن كتابتكم عن الأستاذ النورسي بداية عنايتكم بالفكر الإسلامي، فما هي بدايات العناية بالفكر الإسلامي عندكم؟ وما مبرراته؟

ج٥. الاستاذ النورسي، لأنه كان مجدداً واجه طغيان ذلك الفصام، وكان موضع عنايتي ولذلك كان نموذجاً تطبيقيا لعنايتي المبكرة بقضايا الفكر الاسلامي. لقد كانت بداية اهتماماتي استيعاب أفكار مدرسة (الأفغاني-عبده-رشيد) لأنهم واجهوا مشكلات وتحديات الفصام النكد، فأردت أن أتتلمذ عليهم وعلى غيرهم من أجل أداء مسيرتي الإسلامية في الحياة، ولذلك فضل على جميع ما أنجزت في حياتي.

س٦. يذكر أنّ بداية عنايتكم بالنورسي كانت عرضية ثم ما لبثت أن استقرّت وتمكّنت من الفؤاد، كيف كان ذلك؟

ج٦. لم تكن عنايتي بالأستاذ النورسي عرضية –إذ مع ترجمة الأستاذ إحسان الصالحي لرسائل النور من منتصف السبعينيات، استقرت تلك العناية قوية هادفة، وظهر لي تماماً أن هذا الإمام المجدد قاد حركة إحياء الجسد الإسلامي، ابتداء من

انقاذ الإنسان إلى مواجهة كل التحديات التي حرفت الأمة الإسلامية، وأدخلتها إلى أتون المنظومة الغربية المادية، وتأكد عندي أنه رحمه الله هو متكلم العصر الإسلامي الجديد، كما سميت كتابي فيما بعد بعنوان (النورسي متكلم العصر الحديث).

س٧. ما أهمّ ما استوقفكم في رسائل النور؟

ج٧. استوقفني أسلوبه العلمي والعقلي الرائع لتبليغ ما يريد أن يقوله للبشرية جميعاً. واستوقفني أسلوبه التربوي السديد في تهيئة الجيل للتغيير المنشود، بلا صدام ولا إثارة الزوابع والقعقعات الفارغة. كما استوقفني تركيزه على دعوته وعدم إحداث الخصومات مع أصحاب المدارس الأحادية الضيقة في فهم الإسلام، وإثارة الروح الحزبية فيهم. وهكذا الكثير من المواقف.

س٨. عرفتم بكتابكم الموسوم بـ "النورسي متكلم العصر"، فهل يمثّل جهده من قبيل استئناف درس علم الكلام أو تجديد علم الكلام، أم بمثابة علم كلام جديد؟

ج٨. لم يكن جهده نشر علم الكلام بلغة جديدة، وإنما كان كل ما كتبه تقديم علم كلام قرآني جديد، مبني على تتبع خلايا الكون المتجلية عليها انعكاسات أنوار الأسماء الحسنى دون الخروج على ثوابت مقومات الكون والحياة والمجتمع والإنسان في الإسلام، وهذا الأسلوب كان مناسباً جديداً للأزمة العقدية في حركات إنسان هذا العصر، مسلماً أو غير مسلم.

س٩. هل يمكن أن يقال: إنّ رسائل النور مسلك جديد في عرض حقائق الإسلام؟ وما بيّنات ذلك وشواهده؟

ج٩. نعم كما قلت كان مسلكاً جديداً في عرض حقائق الإسلام لا ينكص إلى الماضي بل يدخل تلك الحقائق المباركة في عقول وقلوب البشر المعاصرين وأهل المستقبل أيضا، لأنه تفسير مجهود للقرآن الكريم الذي هو ماض الى يوم القيامة.

س١٠. توخّت رسائل النور العمل على إحداث تغيير جذري في النظر لمسألة التبليغ عن الله، فما عناصر تميّزها عن الحركات التي تشاركها ذات المسلك؟

ج١٠. عناصر التغيير كثيرة في رسائل النور تميزها جزئياً أو كلياً عن الحركات التي تشاركها في المسلك:

أولاً: اعتمادها الكامل على أنوار تجليات الأسماء الالهية الحسنى في الوجود.

ثانياً: اعتمادها على الجهاد المعنوي الشامل في مواجهات الطواغيت في الداخل والخارج.

ثالثاً: تطبيقها للسياسة الشرعية التي توجه الجماعة والأمة إلى الصلاح المتوازن ويبعدها عن الفساد المعيق المدمر.

رابعاً: وليس آخراً إدراكها لحركة العصر دقها وجلها، لاسيما مؤامرات الشياطين والنفوس البشرية الأمارة بالسوء داخلياً وخارجياً.

س١١. من أين يبدأ التغيير بحسب برنامج رسائل النور؟ وما عناصر التميّز فيها؟

ج١١. يبدأ التغيير في رسائل النور من النفس الإنسانية إلى إصلاح الأسرة والمجتمع والدولة، أي تريد تغيير الأمة قبل تغيير الدولة بالقوة الفوقية القاهرة التي تتحرك في الفراغ وتحدث كوارث إنسانية لها ولكيانها ولمجتمعها. وتعطي قوة جديدة للدولة الفاسدة لسفك دماء الدعاة والمصلحين وإعاقة تقدم الأمة نحو الإسلام.

س١٢. كان الاتصال برسائل النور في البيئات العربية متأخّرا؛ فكان من النادر جداً أن يكون الاتصال بها أولياً، فكان قارئ الرسائل يتّصل بها من خلال نماذج ذهنية سابقة، يتواصل معها بناء على ما استقر في نفسه من تكوينه السابق، لهذا كثيراً ما تُكيّف قراءتها بل وتلوّن بمعارف سابقة أو مسالك آنفة، كيف السبيل إلى جعل رسائل النور بالنسبة لهذا الصنف من القرّاء استئنافا لسير عملية البلاغ عن الله وليست بديلا؟

ج١٢. كان ما تقول قبل ترجمة الرسائل كاملة إلى اللغة العربية واللغات الأخرى فلما اطلع المثقفون الإسلاميون عليها اطلاعا مباشراً، استوعبوها تماماً ووجدوا أنفسهم أمام نمط جديد من التفكير المعرفي والمنهج المسدد في فهم القرآن الكريم - فمع زيادة اطلاعهم المعرفي على موضوعات الرسائل كتبوا مئات الأبحاث وعشرات المؤلفات في تحليل رسائل النور واستخراج الكنوز المعرفية منها في اتجاهات الحياة

كلها- ولاشك أن المؤتمرات العالمية التي أقامها طلاب النور في داخل تركيا وخارجها كان له تأثير كبير على دخول تلك الرسائل المباركة إلى العالمية بعد أن كانت موضعية ضيقة، وهذا الذي كان يريده الإمام النورسي ويشجع طلابه إلى إيصال أفكاره إلى العالم.

س١٣. كانت ثقافة العمل الإيجابي آخر ما توجّه به الأستاذ بديع الزمان لتلاميذه، ما المراد بثقافة العمل الإيجابي في رسائل النور؟ وما مكاسبه المعاصرة؟

ج١٣. وكل ما كتبه الاستاذ النورسي كان إيجابياً في خدمة انقاذ الإيمان والإسلام وكلما ذكرته في أجوبتي السابقة كان معبراً عن تلك الإيجابية

س١٤. ما أهمّ الشخصيات التي استوقفتكم في مساركم الفكري والحركي والأكاديمي، وما موقع النورسي منها؟

ج١٤. الشخصيات التي استوقفتني كثيرة جداً في حياتي الدراسية ابتداء من دراستي الجامعية إلى التتلمذ على بعض علماء المساجد، إلى تأثري بالعقلانيين الإسلاميين قديما وحديثاً، وإلى الفقهاء المقاصديين منهم، ولاشك أن النورسي كان تأثيره عليّ واضحاً، بحيث أعده من أساتذتي الأئمة الكبار الذين تأثرت بهم، كالإمام الغزالي والرازي والآلوسي ومدرسة (الأفغاني عبده رشيد) وكالفقهاء الكبار من أمثال الشاطبي والعز بن عبد السلام ومصطفى الزرقا والإمام حسن البنا ومدرسته الفكرية الدعوية. ومن أشهرهم الشيخ محمد الغزالي والشيخ القرضاوي.

س١٥. لعلّ من أهم القضايا الفكرية المعاصرة مسائل: الحريات، وحقوق الإنسان، والوسطية، و... وخاصة في ظل تناول مغالط لها، فيجعل -على سبيل المثال لا الحصر- من الوسطية التسامح في حقوقنا (القدس الشريف مثلا) أو قبول أنصاف الحلول في شأنها وفيما شابهها من قضايا المصير، فهل في رسائل النور ما ينفع في هذا المجال؟

ج١٥. الأئمة والعلماء الوسطيون لا يتسامحون في حقوق المسلمين، لأن هؤلاء أدركوا حقائق الإسلام من خلال دراساتهم للقرآن الكريم والسنة النبوية وحياة الصحابة الكرام وما قدمه للأمة أئمة المذاهب الفقهية والفكرية والدعوية والعقلية عبر

التاريخ، وأما مَن يدّعون الوسطية بلا علم ولا برهان، فهؤلاء لا قيمة لأقوالهم ولأفكارهم المنحرفة.

ولا شك أن رسائل النور تمثل الوسطية المنضبطة إيمانياً وعلمياً ودعوياً في أجل صورها. لأن صاحبها النورسي إمام جليل من أئمة الصف الأول في غزارة علمه واستقامة حياته ووعيه العميق لحركة العصر ومواجهة الحياة ومعالجته لمناهج إصلاحها ونقلها من الفساد إلى الصلاح.

س١٦. استوقفتنا بعض مواقفكم الجريئة من مسألة علاقة الدين الإسلامي بالسياسة، فما سبل ضبط العلاقة، وما مكان الجدّة في هذا الموقف؟

ج١٦. إن مواقفي ليست في موضوع علاقة الدين بالسياسة، فالإسلام كله سياسة بمعنى أنه يقود الإنسان إلى الصلاح الشامل ويخلصه ويبعده من الفساد الشامل، والأنبياء كلهم ساسوا أممهم وبيّنوا لهم التوحيد وقادوهم إلى حياة العدل والصلاح وطلبوا ترك الفساد وحياة التمرد على الله تعالى.

ولكني ذكرت في بياني من خلال واقع كوني رئيسا للحزب الإسلامي العراقي سابقاً أن الحزب السياسي في عصرنا، لا يجوز أن يتسمى باسم الإسلام الذي هو دين جميع المجتمع، لأن وظيفة الحزب السياسي هو تقديم البرامج التنموية وفي قضايا الحركة جميعها -وأيدت ذلك بأدلة كثيرة- يمكن لمن يريد مراجعتها في صفحتي على (الفيس بوك).

س١٧. البلاد الإسلامية حبلى بالمفاجآت غير المحسوبة، فما أثرها على ما تفكرون في التصنيف فيه؟ وبما تشيرون على الباحثين في القابل؟

ج١٧. لابد للمفكر المسلم أن يتوقع تلك المفاجئات وأن يضع الحلول اللازمة لاستجابة تحدياتها، فما يكتب من الأبحاث والمصنفات لابد أن تتحدث عن الحاضر والمستقبل، حتى لا يبتعد عن مسيرتها الحيوية، والإمام النورسي مثال واضح -للعالم المفكر العصري الذي يتابع يوماً فيوماً الأحداث- والذي يقرأ حياة الأستاذ يجد أن رسائله النورية هي متابعة دقيقة لعصره ورفد المسلمين بما يجب أن يفعلوه للمحافظة على دينهم وشريعة حياتهم وأمتهم.

* * *

الإصدارات

قراءة في كتاب ١

اسم الكتاب: تعامل مسلم مع الشر: سعيد النورسي على ثيوديسيا.

A Muslim Response to Evil: Said Nursi on the Theodicy.

الدرجة العلمية: أطروحة دكتوراه.

العنوان الأصلي للأطروحة: ثيوديسيا ومشكلة الشر في الإسلام؛ دراسة في إطار رسائل النور.

Theodicy and the Problem of Evil in Islam: The Risale-i Nur as Case Study.

الجامعة: جامعة دورهام، إنجلترا.

الكلية: كلية العلوم الاجتماعية.

القسم: العلاقات الدولية.

تاريخ تسليم الأطروحة: ٢٠١٣.

الأطروحة من إنجاز: طوبانور يشيلحرك أوزكان.

المشرف: أ.د. كولن تورنر.

طبع الكتاب: فرنهام: أشغيت للنشر (Farnham: Ashgate Publishing).

تاريخ طبع الكتاب: ٢٠١٥.

عدد الصفحات: ٢٢٤.

تعريف الكتاب: حاقان كولرجه.

ترجمة التعريف للعربية: مولاي الحسن الحفيضي.

* * *

ABSTRACT

The thesis at hand presents a critical analysis of the writings of the contemporary, 20th century Muslim scholar, theologian and exegete Said

Nursi (1876-1960) of Turkey. Special reference is given in this thesis to his views and writings on theodicy and the problem of evil from the perspective of Islām.

This thesis is an attempt to discover the Qur'anic narrative of evil (sharr) as deviating from the human perception of evil in this world; to analyze Nursi's magnum opus on the definition of sharr and its correspondence to the Qur'anic definition thereof; and to challenge Nursi's works with the thoughts and views of his predecessors and contemporaries in order to try to filter new insights and offer possible solutions to theodicy and the problem of evil through Nursi's Risale-i Nur Collection.

The methodology that has been used in this study follows Izutsu's example as seen in Ethico-Religious Concepts of the Qur'an and God and Man in the Koran: namely to conduct an inductive investigation of the term sharr in the Qur'ān and Nursi's Risale-i Nur Collection.

There are several issues that can be considered to be the main findings of this study: 1) human perception of evil in this world to a great extent at odds with the Qur'anic definition of sharr, 2) new theological concept called 'negative worship', establishing a relation between sharr and worship, 3) relationship between theodicy and the Divine Names of God, 4) link between the human 'I' (ana) and, if misused, its encouragement for all kinds of ashrār (pl. sharr), 5) original interpretation to the Qur'anic verse [2:30], 6) sharr, ana and free choice (juzʾī ikhtiyār) consist of the same nature and finally 7) suffering of on-human beings part of the field of theodicy.

* * *

''ثيوديسيا'' أو المصطلح الذي يشرح مفهوم الخير المطلق مع الشر في الفلسفة الدينية؛ أو بصفة عامة هو دراسة تهدف إيضاح التناقض الذي يظهر بين ظاهرة الشر وعدالة الله، لمَ يأذن الله بالشرور؟ كيف تتوافق الشرور مع مطلق الخير عند الله وعدالته؟ ماهو الشر وهل هو موجود؟ بحث عدة فلاسفة وعلماء الدين لهذه الأسئلة الأساسية وغيرها عن جواب ورغم أنه قد أُجيبَ عن هذه الأسئلة بأجوبة كثيرة فإن ذلك لم يمكّن من توفير توافق وتفاهم نهائي، وبالتالي فإن المناقشات مستمرة والمسألة مازالت تحافظ على جديتها، يجب أن يتصالح كل مؤمن يسعى أن يكون إيمانه تحقيقيا مع هذه الأسئلة الأساسية وأن يجد أجوبة للأسئلة التي تنتظر لها جوابا، لأجل هذا السبب اخترنا تدقيق هذا الكتاب.

هذه الصفحات عبارة عن قراءة في أطروحة دكتوراه، وهي نتاج دراسة شاملة وأبحاث مكثفة ودقيقة، فيما يخص موضوع مسألة الشر فإن فلاسفة الغرب وكذلك اللاهوتيين المسيحيين والمفكرين الإسلاميين قد وضعوا إجابات معقولة لتلك الأسئلة منذ وقت مبكر، وهي مرة أخرى تعاد للطرح من جديد وأنهم بصدد وضع تعليقات جديدة لها، كما تقوم بالتحليل الدلالي لمفهوم الشر في القرآن، وتتناول آراء منفتحة فيما يتعلق بمسألة الشر من خلال التركيز على رسائل النور لمؤلفها سعيد النورسي التي هي تفسير للقرآن.

الحجة الأساسية للكتاب هي أنه عند مناقشة الشر تم إبعاد القرآن عن كونه نقطة انطلاق ومرجعا أساسيا، وسعيد النورسي مجدِّدا جعل القرآن نقطة مرجعية فيما يخص مسألة الشر، وفسر القرآن بإعطائه جوابا للمناقشات العصرية.

يزعم الكِتاب أن العالم الغربي خاصة الذي يحكمه (مفهوم أو تعريف) الشر لا يتوافق مع القرآن، ويُعرب قبل كل شيء عن أنه ينبغي وجوب التحقيق في ذلك وأن يكون موضوع تساؤل، ويؤكد على أنه إذا أردنا أن نتدخل في مناقشات مسألة الشر فإنه يجب مساءلة الأفكار المسبقة التي تسود العالم الغربي؛ لذلك فإنه إذا بُني أساس بناية أو عمارة ما بشكل خاطئ فبدلا من العمل على إنشاء البناء وإتمام رفعه يجب أولا إصلاح تلك الأساسات وإلا لن يكون هناك مبنى سليم.

الثقافة التي نعيش فيها تُشكّلنا إلى حد ما بشكل أفضل في جزء منها وتشكلنا بطريقة سيئة في جزء آخر منها، وأحكامنا المسبقة تتطور معنا، وإدراك ذلك ومحاولة ترك ما يمكن تركه من الأحكام المسبقة وكل مسألة نحاول البحث عن إجابات لها يجب معالجتها؛ يجب أن ننصت للكلام الإلهي قائلين: ماذا قال ربنا في القرآن.

توصل هذا البحث في فصله الأول إلى تعريف قرآني للشر عن طريق التحليل الدلالي للمفاهيم والكلمات ذات الصلة بالشر الذي ورد ذكره في القرآن.

ينقسم الشر في تقاليد الفلسفة الإنسانية إلى شر طبيعي وشر أخلاقي، هذا التمييز لا يتوافق مع القرآن، وفقا للقرآن فإنه يظهر عدم وجود شر طبيعي حسب التحليل الدلالي.

في الفصول التالية تم تخصيص مناقشات الشر في التقاليد الإسلامية، وتتلخص هذه المناقشات من خلال المصادر الثانوية، ويظهر مكانة التقاليد الإسلامية عند سعيد النورسي وكم استفاد من التقاليد، وحسب الكاتبة فإن سعيد النورسي عندما وضح مسألة الشر فإنه حتى لو أخذ بعين الاعتبار الإرادة الإلهية والعدالة والقدرة فإنه جعل الحكمة الإلهية في المركز؛ وبذلك يأخذ مكانه داخل تقليد الماتريدي الذي شرح مسألة الشر، تمّ في البحث تناول ومناقشة ماهية الشر وهل هو موجود في التقاليد الإسلامية أم لا، وعادة ما ارتبط الشر بالعدم.

على سبيل المثال، فقد اعتُرِف بأن فقْد الحياة شر، في هذا الصدد تعتبر الفلسفة الإنسانية الموت شر. هل الموت عدم؟ في الحقيقة ليس كذلك، إنما هو عبارة عن انتقال إلى مرحلة أخرى من الحياة فقط، إذا نُظر من هذه الناحية فلماذا لا يكون الموت عدما وبالتالي لا يكون شرا. في حالة مقاربة القضية بدون مساءلة افتراضات الفلسفة الإنسانية يظهر أنه تم الدخول في النفق المسدود، فمع عدم القبول بالآخرة وبدون أخذها بعين الاعتبار وتجاهلها تبدو بعض الأحوال التي تظهر كشر مستحيلة الشرح وغير ممكنة التوضيح، وجود اختلاف وفرق بين مفهوم الشر في الفلسفة الإنسانية ومفهومه في القرآن هي واحدة من الإضافات النوعية التي أسهم بها هذا البحث.

لذا فإن مشكلة الفلسفة الإنسانية أنها تقدم عددا من المشاكل وتُظهرها وتبرزها على أنها كائنة؛ في حين أنها غير موجودة أصلا، مما يعني أنها تُظهر مشاكل اصطناعية.

هذا العمل الذي يتناول في فصوله ما يتعلق بقضية الشر ينتهي بعرض التوضيحات التي تناولها سعيد النورسي من التقليد الإسلامي الأصلي، أخرجت الكاتبة تجربة ناجحة حيث حاولت فيها النظر إلى قضية الشر من منظور القرآن ورسائل النور كما قال النورسي: ''يجب أن تكون الكتب والاجتهادات منظارا للقرآن، ومرآة له، ولا يجب أن تكون ظلا ولا بديلا له''.

* * *

قراءة في كتاب ٢

تقرير عن رسالة مقدمّة لنيل دكتوراه علوم في الآداب والعلوم الإنسانية.

نوقشت يوم ٢٣ من فيفري ٢٠١٧ برحاب جامعة محمّد الأول بمدينة وجدة بالمملكة المغربية،

رسالة الطالب عبد القادر الأبيض وذلك بكلية الآداب والعلوم الإنسانية.

اختار الباحث لأطروحته عنوان ''منهج بديع الزمان النورسي في إحياء العمل الاجتماعي''، وقد تقدّم بها لنيل دكتوراه علوم في شعبة الدراسات الإسلامية، وذلك في إطار وحدة التكوين والبحث: العمل الاجتماعي في الإسلام وتطبيقاته المعاصرة، وأشرف على الأطروحة الأستاذ الدكتور عمر آجة.

تعد الرسالة المُقَدَّمَة تعريفا مهما بتجربة بديع الزمان في إحياء العمل الاجتماعي، ذلك أنّها منحت العنصر الإيماني مركزاً متقدّما في الدفع إلى الاستكثار من الخير، وهو عامل رئيس في التأسيس للروح الجماعية الوثّابة المستشرفة أنموذج الإنسان الكامل، وبيّن ذلك الباحث من خلال دراسة نظرية ونماذج تدبيرية، فقد كانت رسالة غنية ببيان الوسائل العملية لتيسّر الخلوص إلى المراد.

يلبّي البحث حاجة واقعية ملحّة تستقطب تشجيع العمل الاجتماعي بأسس إيمانية، وخاصة في ظل شيوع الأنانية والتمحوّر على الأنا الفردية، وفضلا عن ذلك يُعَدُ هذا البحث من متطلبات الساعة، وأولوية العناية به ملحّة، وقد اقترب من التعبير عنها الباحث بما عدّده من أسباب اختيار الموضوع وأهدافه، اجتهد الباحث في استعمال عدّة مناهج فصرّح في مستهل بحثه بأنّه وظف المنهجين الاستقرائي والتحليل، وقد تميّز هذا العمل بافتقاد الالتزام بصرامة الوفاء بمتطلبات هذين المنهجين، وتجلى شيء من ذلك بافتقاد البحث لعرض إشكالية مضبوطة، وفي الوقت نفسه افتقد لأطروحة واضحة يرافع عنها.

عرض الباحث مشروعه في بابين، وضمّن كلّ باب ثلاثة فصول، اشتمل الباب الأول الموسوم بـ : ''في التعريف والتاريخ''، وضمّنه ثلاثة فصول،

خصص الأول للتعريف ببديع الزمان وجماعة النور، وقد حوى الفصل مبحثين، بيّن في الأول لمحات من الحياة الاجتماعية لبديع الزمان النورسي، وأفرد الثاني للتعريف بجماعة النور، أما الفصل الثاني فقد اختار له عنوان: دراسة العنوان ومصطلحات نورية، وقد استصحب مفردات الفصل في ثلاثة مباحث، كان الأول بعنوان دراسة العنوان، أما الثاني فبيّن فيه مميّزات العمل الاجتماعي عند بديع الزمان النورسي، وختمه بثالث خصصه لمصطلحات نورية (الهيئة الاجتماعية/الإنسان الكامل/العمل الإيجابي/الفقر)، انتقل بعدها إلى الفصل الثالث: السياق التاريخي للعمل الاجتماعي في تركيا، وتضمّن ثلاثة مباحث، فكان الأوّل خاصا بالعمل الاجتماعي في ظلّ الدولة العلية، أما الثاني فكان للتعريف بالعمل الاجتماعي بعد الدولة العليّة، وختمه بثالث خصصه للنشاط الاجتماعي لبديع الزمان النورسي.

أما الباب الثاني فقد اختار له عنوان ''الأصول والمنهج''، وقد اشتمل كسابقه ثلاثة فصول، اشتمل الأول ''أصول إحياء العمل الاجتماعي عند بديع الزمان النورسي '' على مبحثين، خصّص الأول لبيان الأصول الأول لإحياء العمل الاجتماعي(القرآن الكريم)، أما الثاني فعرض فيه الأصل الثاني للمهمّة نفسها (السنّة المطهّرة)، أما الفصل الثاني فأفرده لـ ''قواعد للعمل الاجتماعي عند بديع الزمان النورسي''، وفرّع عنه أربعة مباحث، فكان عنوان المبحث الأول: الاقتصاد سبب البركة، والثاني كان عنوانه ''القناعة كنز لا ينفد''، أما الثالث فعنوانه: الزكاة جسر التساند والتعاون والتضامن، وختم برابع ''تربيته صلى الله عليه وسلّم أهله على القناعة''، وأنهى الباب بالفصل الثالث الموسومة بـ ''مرتكزات العمل الاجتماعي عند بديع الزمان النورسي''، وعرضه في ثلاثة مباحث، وهي على التوالي: إصلاح النفس أساس استقامة المجتمع وصلاح الأمة، الإيمان نور يضيء طريق العمل الاجتماعي، المرأة والمشاركة في العمل الاجتماعي، وخلص في آخر البحث إلى خاتمة أكّد فيها أنّ مفتاح سعادة المجتمع الإسلامي والإنسانية بوجه عام هو العمل الاجتماعي البنّاء، وأساس ذلك الإيمان الذي يعدّ أساسا للتعاون والتضامن والتساند، تلك الأسس التي

يعدّ بناء الإنسان الفاعل والفعّال من أهمّ مقاصدها، إنسان يبني نفسه بالسعي الدؤوب لتغييرها، وسيلة تحقيق هذا المقصد التربية المتوافقة مع الأصول المعتبرة في المجتمع والمتناغمة مع احتياجات ومشكلات الأفراد والمجتمعات، ومن هذا المنطلق وضع بديع الزمان النورسي نصب عينيه إحياء العمل الاجتماعي بطريق التربية والتعليم في إطار نظام معرفي وتربوي يربط الإنسان بالله فيستهديه في طلب السعادة الدنيوية والأخروية، وهي أسس مهمّة باعثة على الوحدة والأخوّة والتساند والمحبّة بين المسلمين قاطبة، وتفعيل الحياة الاجتماعية.

يسجّل على الباحث تصوره التقليدي المحافظ لمسألة العمل الاجتماعي ومسالك إحيائه؛ وقد تجلى ذلك في طريقة المعالجة. ومع ذلك يعدّ هذا البحث قيمة مضافة في خدمة المجتمع وإفادته من تجربة قمينة بالاعتبار والإفادة منها القابل، فضلا عن كون الأطروحة خليقة بما أدرجت فيه من تخصص، فهي من صميم وحدة التكوين والبحث الموسومة بالعمل الاجتماعي في الإسلام وتطبيقاته المعاصرة.

مصادر البحث ومراجعه: استوعب الباحث مصادر البحث، فقد أجال النظر في رسائل النور بكلّ أجزائها، كما استفاد من كثير من الكتب التي اعتنت بأدبيات النورسي، ولكن غابت عنه بعض المراجع ذات الصلة بالبحث.

نتائج البحث: لم يفصل الباحث وفق الصيغ المعروفة في ذكر نتائج بحثه، كما افتقد البحث للتوصيات العمل التطبيقية التي ينتظر الاستفادة منها في سياق فلسفة وحدة التكوين، لهذا جاءت الخاتمة باهتة خالية من العناصر المشار إليها.

الفهارس: لم تعرض وفق الطرق المعمول بها، ولهذا فهي بحاجة إلى ضبط وتوسيع بحيث تشمل الأعلام والمصطلحات والقواعد الاجتماعية.

وتقع الرسالة في ٣٤٣ صفحة.

* * *

المؤتمرات والحلقات الدراسية

رسائل النور في جامعات الهند.

إعداد: حاقان كولرجة. ترجمه عن التركية مولاي الحسن الحفيضي.

نظّمت عدّة مؤسسات علمية أكاديمية هندية بمشاركة مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم خلال الفترة الممتدة من ١٢ إلى ١٨ من عام ٢٠١٧م، وقد كان النشاط العلمي على النحو الآتي:

• ٢٠١٧/٠٢/١٢: جامعة مومباي؛ كلمة تمحورت على ''فهم رسائل النور'' شارك فيه طلبة من هذه الجامعة، شاركهم فيها بأعمالهم المميّزة باحثون أكاديميون أتراك، فكان الفرصة مواتية للتساؤل عن مضامين الرسائل ومناهجها، مما يؤكّد أهمية رسائل النور في عصرنا.

• ١٣-٢٠١٧/٠٢/١٤: عقدت ندوة الشباب الأكاديميين العالمية حول دراسات رسائل النور بجامعة كاليكوت في الهند، حضرها ثلّة من الأكاديميين الشباب والخبراء والرسميين الحاليين والسابقين فضلا عن بعض رجال الإعلام، ومن الكلمات المميّزة في هذه الجلسة ما عبّر عنه وزير التربية الوطنية ب. ك. عبد الرب بقوله: ''العديد من المشاكل التي تواجه كل المجتمعات اليوم تجد لها الحلول في رسائل النور وفي منهج سعيد النورسي''، وانطلاقا من كون سعيد النورسي كافح الجهل خلال حياته كلها أضاف عبد الرب ''باعتباري وزيرا سابقا للتربية الوطنية فإنني اليوم أفهم من جديد أهمية مشروع مدرسة الزهراء للنورسي''، وأضاف قائلا: ''وإن شاء الله تكون هذه الندوة قد أسهمت في إنشاء هذا المشروع الذي لم يكتمل بعد''.

وشارك في هذه الأعمال العلمية الأكاديمية من تركيا أ.د. ألب أرسلان أجك كنج والأستاذ المساعد أحمد يلديز، بمداخلتين طويلتين استغرقت كلّ واحدة منها ساعة، وكانت الفرصة مواتية لمناقشة الباحثين الناشئين في مشاريعهم وأسس مختلف أطروحاتهم.

• ١٢-٢٠١٧/٠٢/١٥: استضافت ندوة العلماء، لكناو، الحدث العلمي وخصص لتعليم رسائل النور، وهو بمثابة برنامج تدريبي مدّته أربعة أيام حول رسائل النور، وشارك في هذا البرنامج عدد من الطلاب والأكاديميين الذين ينجزون أعمالا ودراسات عن رسائل النور، وذلك بمشاركة مترجم رسائل النور للغة العربية الأستاذ إحسان قاسم الصالحي بمعية عدد من الأكاديميين من تركيا.

• ١٦– ١٧ /٢٠١٧/٠٢: عقد مؤتمر عالمي حول العمل الإيجابي في رسائل النور بجامعة كوهاتي بأصام. قُدِّمَت فيه خمسون ورقة بحثية تقريبا باللغتين العربية والإنجليزية، وشارك في المؤتمر باحثون وأكاديميون وطلاب من الهند وكشمير وبنغلاديش والعراق وتركيا، وبعث سعادة سفير الجمهورية التركية السيد شاكر أوزكان طورونلار للمؤتمر رسالة تلاها على مسامع الحضور رئيس مجلس إدارة مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم ونائب مدينة إسبارطة سعيد يوجه، كما ألقى كلمة لقيت اهتمام الحاضرين نقتطف منها العبارات التالية: ... أريد أن أتكلم عن مشكلتين يعيش فيهما العالم الإسلامي اليوم، وهما الحروب والصراعات التي تسببت فيها القومية العرقية وكذا العنصرية الطائفية، وقد شخص بديع الزمان هذين المرضين مثل الطبيب الحكيم وقدم لنا العلاج من صيدلية القرآن... يرفض بديع الزمان الشعور العنصري والقومية العرقية التي تؤدي إلى دمار الحياة الاجتماعية، وقد أطلق على هذا النوع من القومية ''القومية السلبية''، وهي القومية السلبية والمضرة التي مفادها أن شخصا ما يدعي أن القومية التي ينتمي إليها أعلى من غيرها ويزعم أنه متفوق على الآخرين... وقوميتنا هي الإسلام، هذه القومية هي تلك القومية التي تجمعنا كلنا جميعا وينتسب إليها أكثر من مليار شخص... نشاهد في العالم الإسلامي في السنوات الأخيرة وضعا مؤلما للغاية؛ حيث يعيش العالم الإسلامي مذبحة

المسلمين من قبل المسلمين، وكل من القاتل والمقتول يقول الله أكبر، كما نرى استقطاب الناس وفقا لطائفتهم، ويعلنون عن العداوة فيما بينهم، وربما هذه المشاهد هي الأكثر مرارة في تاريخ الإسلام. المسلمون بحاجة ماسّة إلى إيجاد حل عاجل لهذه المشكلة، ومفهوم ''الجهاد المعنوي'' عند بديع الزمان أو بعبارة أخرى ''الجهاد بالقلم'' يبين لنا الطريق في هذا الصدد، فهو يؤكد على أنه لا يمكن الجهاد المسلح داخل البلاد؛ إذ يقول: ''إن الجهاد المعنوي الداخلي يؤدي إلى العمل على تدمير المعنويات، فلذلك لابد من الخدمة المعنوية وليس المادية''. فمصدر كل الأضرار المادية حقيقة هو علاج للجروح المعنوية. في يومنا الحاضر على الرغم من وجود الدرك والشرطة والكاميرات الأمنية والسجون والمحاكم والقوانين فإن الجريمة لا يقل عددهم بل آخذ في الازدياد.

غرس الإيمان الحقيقي بالله في القلوب والإيمان بالآخرة هما الحلاّن الوحيدان الكفيلان بالتقليل بل حتى بإنهاء هذه المشاكل، يعني يمكن أن نقول ينبغي أن نغرس المانع المعنوي في القلوب حتى ننتهي من هذه المشاكل.

شارك في المؤتمر رئيس جامعة كوهاتي بالإضافة إلى رؤساء الأقسام من مختلف الجامعات وعمداء الكليات والعديد من الأكاديميين من جامعات مناطق عديدة من الهند.

ويسجّل في هذا السياق قول الأستاذ الدكتور هازاريكا (رئيس الجامعة) في كلمته: ''عندما ننظر فقط إلى عنوان المؤتمر يظهر ويُفهم كم هو مهم، ومحاوره تبعث رسائل مهمة جدا، والعمل الإيجابي يضفي على الحياة أهمية كبرى من أجل العيش في عالم أفضل، فالعمل الإيجابي ليس مجرد إجراءات وأفعال وحسب، بل يجب أن نفهمه في نفس الوقت على أساس أنه نظام فكر أيضا، ولأن مفهوم العمل الإيجابي عند النورسي يحمل في طياته فكرا إيجابيا ويحتوي داخله مفهوما إيجابيا، من هنا أطلب من جميع المشاركين شيئا وهو، دعونا جميعا عندما نغادر هذه القاعة نشارك كل العالم بمفهوم العمل الإيجابي للنورسي''.

وكانت الفرصة مواتية لتوزيع رسائل النور على الأكاديميين المشاركين في المؤتمر تشويقا وتشجيعا لهم على ما قدموه من خدمات، وتعزيزا للبحوث التي قدموها بكل من العربية والإنجليزية. ختمت الأعمال بجلسة خاصة تداول فيها الحضور بحث ''مستقبل رسائل النور في الهند''، خلصت تلك المحاورات إلى التأكيد على أهمية رسائل النور في الهند مما يسترعي عناية مختلف الجامعات الهندية.

• ٢٠١٧/٠٢/١٨: عقدت جامعة جواهر لال نهرو دلهي الجديدة ندوة العمل الإيجابي، نظّمها طلاب جامعتها بعد علمهم بأن القائمين على مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم بينهم، واستضافوا في تأطير هذا النشاط الأستاذ إحسان قاسم الصالحي فألقى كلمة مطولة باللغة العربية دامت ساعتين، وفي عقد الندوة تزامنا مع الزيارة تسجيل رمزي للاستزادة من دوحة رسائل النور.

• ٢٠١٧/٠٢/١٨: استضاف مجمع الفقه الإسلامي، دلهي الجديدة. ندوة عن رسائل النور بحضور العلماء والأستاذ إحسان قاسم الصالحي، وتناول بالعرض والتحليل: ''الأفكار الأساسية في رسائل النور ثم تلته مناقشات شارك فيها كثير من العلماء.

* * *

أسبوع رسائل النور في لبنان

عقدت أعمال هذه الندوات في بيروت وطرابلس وعكّار أواخر شهر نيسان (أبريل) ٢٠١٧، شارك في هذه الفعاليات العلمية تلميذ الأستاذ النورسي الأخ الكبير محمد فرنجي ورئيس مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم، وسعيد يوجه النائب البرلماني عن مدينة إسبارطة ورئيس مجلس إدارة مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم، وعلي قاطي ئوز الإمام والواعظ المتقاعد، وسعيد أوز أدالي رجل الأعمال، ومحمود أردوغان من المؤسسة، والدكتور مأمون جرار من الأردن.

استهلت النشاطات -بعد الاستقبال الرسمي في مطار بيروت من قِبَل اللجنة المحلية المنظّمة للنشاط برفقة مسؤولي جمعية الإرشاد والإصلاح- بافتتاح

معرض الصور تحت عنوان: ''سنوات ولادة ونشر رسائل النور'' بمعهد يونس أمره، وقد شارك كل من الأساتذة محمد فرنجي وسعيد يوجه، وسفير الجمهورية التركية جاغطاي أرجييس، ومدير معهد يونس أمره جنكيز إروغلو، إضافة إلى طلاب المعهد وبعض الشخصيات اللبنانية والجالية التركية المقيمة في لبنان.

وقال بهذا الصدد الأستاذ سعيد يوجه بأنّ هذا المعرض وضع رحاله -حتى الآن- في إثنين وعشرين مكانا من مختلف أنحاء تركيا وفي أربع دول أخرى، ومما قاله في هذا السياق أنّ بديع الزمان سعيد النورسي عالم مميّز ومفكر كبير عايش قضايا أمته في القرن العشرين، ويمثّل هذا المعرض تقديما ميسّرا لحياة النورسي يعرف الإنسانية ويعلمها الرسالة التي أراد سعيد النورسي تبليغها وتعليمها الجميع، وتكلّم في هذا السياق الأستاذ محمد فرنجي تلميذ الأستاذ النورسي عن معهد يُونُس أَمْرَه وما يقدّمه من خدمات جليلة، ثم قال: ''إنه من الخدمات المهمة ومن الأعمال الجميلة للغاية أن يعقد في بيروت معرض عن بديع الزمان، فبعدما ألقى سعيد النورسي خطبته المشهورة في دمشق جاء إلى بيروت ومن هنا ذهب إلى إسطنبول على متن الباخرة، في الفترة التي كتبت فيها رسائل النور كان نشر وتوزيع هذه المؤلفات يقع في ظل ظروف صعبة للغاية حتى إننا كنا نحاول إيصالها للعالم الإسلامي، وبعدما كنا فيما مضى لا نستطيع فعل ذلك إلا بصعوبة نجد أنفسنا اليوم نستطيع أن نعقد هذا المعرض بسهولة، فأين اليوم المشرق من تلك الأيام الغابرة، فالحمد لله إذن''.

وحظي وفدا المؤسسة وجمعية الإرشاد والإصلاح بمأدبة عشاء أقامها على شرفها سعادة سفير الجمهورية التركية جاغطاي إرجييس.

عقدت بعدها في مسجد الشهداء بمدينة صيدا جلسات تعريف عام برسائل النور تناولت ذكريات البذل في خدمة رسائل النور وخدمات الأستاذ الملا زاهد الملازكردي رحمه الله تعالى. شارك فيها الأستاذ محمد فرنجي والأستاذ علي قاطي ئوز ، وقد حضر الجلسات ثلّة من العلماء على رأسهم الشيخ مدرار مفتي مدينة صور، فضلا عن جمع من طلبة العلم. وبعد زيارة المدرسة الحميدية

(نسبة للسلطان عبد الحميد رحمه الله) في بلدية مشحا بطرابلس، أقيمت محاضرة في عكّار موضوعها ''الإنسان في رسائل النور'' ألقاها رئيس مجلس إدارة مؤسسة استنبول الثقافة والعلوم الأستاذ سعيد يوجه، ومما جاء فيها قوله: ''لم يكن بديع الزمان يفكر يوما ما في الاستيلاء على الدولة وإدارة الحكومة وإنشاء المؤسسات والإدارات لخدمة الإنسانية. بل كان يقول إنه يقدم الخدمات الإيمانية والقرآنية من دون أي غرض مادي أو روحي أو دنيوي أو سياسي أو حتى أخروي، فمنذ اليوم الذي ظهرت فيه الإنسانية وهو يسعى للبحث عن أجوبة للأسئلة الرئيسية الثلاثة: من أنت، ومن أين أتيت، وإلى أين أنت سائر وما مهمتك في هذه الدنيا؟ وأثناء البحث عن جواب لهذه الأسئلة لفت الانتباه إلى رسالة القرآن. وذكر أن هذا العصر في أشد الحاجة إلى ضرورة تقوية الإيمان. قدم الوصفة الطبية لإنسان هذا العصر من صيدلية القرآن''، وقد أضفت على الكلمة التعليقات الضافية للأستاذين مأمون جرار وعلي قاطي ئوز رونقا وبهاءً، وانتهى الحفل بهدية رمزية قدّمتها دار الإفتاء بلبنان للأستاذ محمد فرنجي.

• السبت ٢٩ نيسان (أبريل ٢٠١٧): عقدت ندوة برحاب جامعة الجنان بطرابلس موضوعها: ''الإنسان في رسائل النور''، شارك في الندوة د. مأمون جرار من الأردن والأستاذ علي قاطي ئوز وسعيد أوزادالي من تركيا وماجد درويش من دار فتوى طرابلس، وواكب ذلك تدشين معرض بديع الزمان. وحاضر الأساتذة السابق ذكرهم بعدها في جامعة طرابلس، وكانت الفرصة مواتية للحديث عن التعاون بين الجامعة ومؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم.

ألقيت بعدها كلمات علمية عن رسائل النور وظروفها ومعطيات متعلّقة بما حولها في قاعة المؤتمرات دار الفتوى بحضور المفتي الدكتور مالك الشعار، وشارك فيها الوفد العلمي الآنف الذكر فضلا عن المفتي والوزير السابق عمر مسقاوي وشخصيات علمية لبنانية.

• وفي يوم الأحد ٣٠ نيسان (أبريل) ٢٠١٧: عقدت ندوة علمية بمدينة القلمون شمال طرابلس، تمحورت حول: ''مفهوم القرآن في رسائل النور''،

شارك فيها وفد المؤسسة، وقد كانت هذه الكلمات سببا في طلب الاستزادة من التعريف برسائل النور.

واستضافت فعاليات وإذاعات محلية -على هامش هذه النشاطات العلمية المكثّفة- الأساتذة المحاضرين، منها دروس شارك فيها الدكتور مأمون جرار، فكانت تلك النشاطات سببا تسجيل إعجاب الحضور برسائل النور، ومن توابع هذا النشاط استضافة برنامج إذاعي تبثّه إذاعة القرآن الكريم التابعة لدار الفتوى.

* * *

خدمة الإيمان بإرشاد القرآن والسنة؛ العمل الإيجابي

يواجه الناس في يومنا الحاضر العديد من المشاكل المادية والمعنوية في جميع أنحاء العالم، مثل الجوع والفقر والظلم الاجتماعي والمظالم والحروب والهجرة والفوضى والإرهاب وكل أشكال العنف والاحتباس الحراري وتلوث البيئة، وللأسف فإنها في تزايد مستمر، وعلى الرغم من الجهود المختلفة والمتنوعة فإنه لازال لم ينتج الحل الدائم والناجع لهذه المشاكل.

نتساءل كيف تؤمَّن السعادة الدنيوية والأخروية للبشرية يا ترى؟ بأي مقاربة وبأي وجهة نظر يمكن حل هذه المشاكل وأمثالها أو على الأقل النقص منها؟ هل يمكن التصحيح بدون تدمير والإنشاء بدون هدم من الناحية المادية والمعنوية؟ هل يمكن إيجاد حل جذري مشترك ومستدام لهذه المشاكل؟ نحن بحاجة اليوم إلى الإجابة على هذه الأسئلة ومثيلاتها أكثر من أي وقت مضى.

حياة بديع الزمان سعيد النورسي ومؤلفاته كليات رسائل النور مصدر مهم للعثور على الإجابات لهذه الأسئلة وغيرها من المشاكل، حلول المشاكل الفردية والاجتماعية والعالمية له علاقة بنظرة الإنسان للكون، فقد عبّر النورسي عن نظرته للإنسان والكون وشكل تعامله معهما بمفهوم أصلي هو "العمل الإيجابي"، وهو أي العمل الإيجابي عبارة عن نمط من أنماط الحياة ووجهة نظر مهمة يجب مناقشتها من حيث النظرية والتطبيق ويتأسس على الإيمان والوحي، هذا المفهوم بمثابة الأساس لمناقشات جادة عن كيفية وضع مفهوم لكل علاقات الحياة وكيفية إيجاد حلول دائمة للمشاكل.

لأجل السعادة الدنيوية والأخروية للمجتمع الإسلامي على وجه الخصوص وللإنسانية جمعاء على وجه عام تجد هذه الآراء لها مكانا في رسائل النور؛ حيث سينعقد المؤتمر العالمي الحادي عشر بإسطنبول بتاريخ ١–٣ أكتوبر ٢٠١٧ تحت عنوان: ''خدمة الإيمان بإرشاد القرآن والسنة؛ العمل الإيجابي'' وتناقش فيه هذه الأمور. ومن المتوقع أن يشارك ويسهم في هذا المؤتمر خبراء ومفكرون وعلماء بمختلف اللغات والأديان والثقافات قادمين من دول ومناطق مختلفة، ومن مختلف التخصصات والمدارس.

* * *

أنباء النور للدراسات الحضارية والفكرية

صدر حتى يومنا هذا ستة عشر عددا من المجلة التي يرأس تحريرها أ.د. عمار جيدل من جامعة الجزائر، ويرسل الأكاديميون مقالاتهم إلى المجلة من مختلف دول العالم من تخصصات العلوم الدينية على وجه الخصوص والعلوم الاجتماعية والإنسانية بشكل عام، وتُبعث كل مقالة لحكمين على الأقل من لجنة التحكيم وبعد التصحيحات الضرورية والتعديلات اللازمة إن وُجدت بناء على ما يقرره المحكّمان.

تتكون المجلة من ثلاثة أقسام رئيسية، القسم الأول هو قسم الدراسات؛ ويتضمن هذا القسم مقالات متنوعة، والقسم الثاني هو ملف العدد ويحتوي هذا القسم موضوع الغلاف، والقسم الأخير يتعلق بالحوار وتعريف بالأطروحات والمنشورات الأكاديمية التي صدرت حديثا وكذا الأنشطة الأكاديمية المختلفة التي تقوم بها مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم في أنحاء العالم.

إشادة وتنبيه:

مجلة النور مجلة أكاديمية فصلية تصدر مرتين في السنة باللغة العربية، ويتم مسحها من المؤشرات الدولية مثل: Ebsco مصدر بحث العالم العربي (المصدر) وقاعدة البيانات الإلكترونية العربية (المنهل)، إلى جانب ذلك فإنه يتم نشر المجلة من قِبل معهد البحوث العلمية والتكنولوجية بتركيا (Tübitak) التي تتبنى Dergipark بوصول مفتوح، ويمكن الوصول إلى جميع أعداد ومقالات المجلة

من الموقع الإلكتروني التالي: http://dergipark.gov.tr/alnur وحسب التحقيق الذي قمنا به فإنه قد حصل أكثر من ٣٠,٠٠٠ تحميل من موقع Dergipark لمقالات مجلة النور فقط، بالإضافة إلى ما يزيد مجموعه عن ٢٠,٠٠٠ تنزيل من مؤشر المنهل والمصدر.

صاحب الامتياز للمجلة والمدير المسؤول عنها هو كنعان دميرطاش عضو هيئة أمناء اللجنة التنفيذية لمؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم التي تصدر المجلة، وللمجلة لجنة تحكيم دولية ومؤسسة إشراف واسعة، والمشرف العام للنشر للمجلة هو مترجم كليات رسائل النور من التركية إلى العربية إحسان قاسم الصالحي.

يتم توزيع كل عدد جديد صدر من المجلة على أهم المكتبات وكل عمادات كليات الإلهيات على صعيد تركيا، علاوة على ذلك فإنه يتم إرسال نسخ ورقية من المجلة عن طريق الشحن إلى أكثر من خمسين جامعة في دول الشرق الأوسط وآسيا.

ومن أراد من الباحثين إرسال مقالته إلى المجلة فما عليه إلا أن يبعثها إلى العنوان الإلكتروني التالي: editor@nurmajalla.com

* * *

عنوان التوزيع

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk.
No: 6, VEFA 34134 Fatih
ISTANBUL – TURKEY
Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla. com
www. nurmajalla. com

عبد الكريم بابيارا kerimbaybara@gmail.com
شركة سوزلر للنشر
٣٠ شارع جعفر الصادق – الحي السابع
مدينة نصر– القاهرة – جمهورية مصر العربية
تلفون + فاكس: ٩٣٨ ٦٠٢ ٢٢ (٢٠٢+)

معلومات عن النشر في المجلة

١. تنشر المجلة البحوث الأصيلة (تنشر أول مرة) المنجزة في الدراسات الحضارية والفكرية بمعناه العام.
٢. تسعى المجلة إلى نشر البحوث والدراسات المتوافقة مع العمل العلمي الجدي المتجلي في وضوح المقاصد والأهداف، ودقة المنهجية.
٣. لا ترى المجلة مانعا من نشر الدراسات التأصيلية في ميادين الدراسات الفكرية والحضارية، وخاصة إن حازت عناصر الجدة والدقة.
٤. ترحب المجلة بالبحوث المقارنة سواء تعلّقت بالدراسات المقارنة في ذات الفضاء الفكري أو من فضاءين مختلفين أو من فضاءات متعددة.
٥. تعمل المجلة على تشجيع الدراسات والبحوث النقدية الواضحة المقاصد الملتزمة بآداب الحوار والنقاش، المتقيّدة بالمنهجية العلمية.
٦. تشجع المجلة على التعريف بأعلام الفكر والدراسات الحضارية، لهذا تتبنى خدمة هذا الهدف بنشر الدراسات المعرّفة برجالات الفكر ولاسيما الشخصيات العلمية التي لم تحظ بالتعريف بالقدر الكافي.
٧. تخدم المجلة الباحثين الناشئين وتشجّع دراساتهم المنجزة، وتقدّم ملخصات مركّزة عن أعمالهم المقدّمة لنيل الدرجات العلمية الأكاديمية.
٨. تنشر المجلة بعنوان المقالات المحكّمة التغطية الجيّدة لأعمال المؤتمرات والورشات أو الأيام الدراسية العلمية الحضارية والفكرية.
٩. تنشر المجلة بعنوان الدراسات الأكاديمية، البحوث المنجزة في التعريف بالكتب النوعية في ميدان الدراسات الحضارية والفكرية، يقدّم فيها الباحث أهم عناصر الكتاب وأهم النتائج التي خلص إليها، مع بيان المآخذ التي سجّلها على الكتاب.
١٠. تعرض الدراسة أو البحث المقدم للنشر على محكّمين من أهل الاختصاص، تختارهم إدارة المجلة، ويُلْزَم صاحب العمل المقدّم بإعادة النظر في بحثه أو دراسته في ضوء الملاحظات المقدّمة له.
١١. يمنح صاحب البحث نسخا (عدة مستلات) من بحثه المنشور، فضلا عن عدد من المجلة التي نشر بها بحثه.
١٢. تحتفظ المجلة بحق نشر العمل المنشور في كتاب أو بشكل مستقل، بلغته الأصلية أو مترجما.
١٣. البحوث والدراسات التي وصلت المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
١٤. ترسل البحوث والدراسات على العنوان الإلكتروني للمجلة editor@nurmajalla.com بشرط أن لا يزيد حجمها عن ٤٢٠٠٠ حرف (مع الهوامش والفواصل).

Contents

Editorial

• Prof. Dr. ‘Ammar Djidel: Introductory Note 3

Miscellaneous Studies

• Prof. Dr. Da’ud Salih ‘Abdullah and Dr. Ahmad Mar‘i Hasan: Reformative Fiqh in Said Nursi’s Thought and Its Influence on a Positive Lifestyle – A Reading from the Risale-i Nur 13

• Dr. Jamal al-Sa‘idi: The Role of Belief in Developing a Sense of Responsibility and Self-Questioning 37

• Nasruddin bin Sarai: The Term, the Human Being, according to the Sages; Jalal al-Din al-Rumi as an Example 61

Dossier: Positivism and Positive Action in the Risale-i Nur

• Dr. Um Kalthum Hakum Da’ud ibn Yahya: The Role of Positive Action in Utilising the Law of Opposites in Building a Better World. An Interpretative Study from the Risale-i Nur 83

• Benomar Lakhsasi: Intellectual Jihad and Its Relation with Positive Action in the Risale-i Nur 109

• Dr. Ziyad Khalil al-Daghamin: Positive Dimensions of the Concept of Jihad in the Light of the Risale-i Nur 131

• Prof. Dr. ‘Ammar Djidel: The Absence of Positive Action in Contemporary Muslim Life –Causes and Solutions– A Study of Bediuzzaman Said Nursi’s Risale-i Nur 143

Interviews, Publications and Conferences

• An Interview with Prof. Dr. Muhsin ‘Abd al-Hamid 169

• Publications:

1. A Muslim Response to Evil: Said Nursi on the Theodicy 175

2. Bediuzzaman Nursi’s Method of Reviving Social Action 179

• Conferences and Study Circles:

1.The Risale-i Nur in the universities of India 183

2. A week in the Lebanon with the Risale-i Nur 186

3. Serving belief through the guidance of the Qur’an and Sunna: Positive Action 189

4. ‘al-Nur’ news about intellectual and cultural studies 190

• Annual Subscriptions 191

• Information on Publishing Papers in al-Nur 192

Only papers conforming to academic standards will be considered for publication